2

سلسلة (في ذاك المكان)

# الجزيرة المجهولة

ضياء
t.me/twinkling4

عثمان عابد

هذه الرواية تحتوي على مشاهد مزعجة ومرعبة، لا ينصح بها لأصحاب القلوب الضعيفة

# الجزيرة المجهولة

سلسلة (في ذاك المكان)

الجزء الثاني والأخير

عثمان عابد

الطبعة الثانية

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

ⓒ مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٤٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عابد، عثمان إبراهيم
الجزيرة المجهولة. / عثمان إبراهيم عابد - ط٢ - الدمام، ١٤٤٤هـ
٥٢٨ ص ؛ ١٤ سم
ردمك: ٨-١٦-٧٣٩١-٦٠٣-٩٧٨

١ - القصص العربية - السعودية أ. العنوان
ديوي ٨١٣,٠٣٩٥٣١ ١٤٤٤/٢٧٣٨

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٢٧٣٨
ردمك: ٨-١٦-٧٣٩١-٦٠٣-٩٧٨

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

مسؤول النشر :
للتواصل
0597777444

الموقع الإلكتروني :
Www.Adab-Book.Com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@ServicesBook1
مركز الأدب العربي
adabarabic7
services_book@outlook.sa

المملكة العربية السعودية- الدمام
لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر .

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعبّر عن وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر .

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَـاد، الإلكترونية. ©

تمَ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.

t.me/twinkling4

## تنويه:

- هذه الرواية لها جزءٌ سابق تحت مسمى (الأسوأ)، تجب قراءته لفهم ما يجري في هذه الرواية!

- يُرجى الانتباه للتواريخ المدونة قبل الفصول.

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

## شكر خاص لــــ:

ـ الله أولًا، فلم أُكن لأفعل شيئًا دُون توفيقه.

ـ والديَّ العزيزين، فبلا دعمهما ومُساندتهما لما كُنتُ قادرًا على النّشر.

ـ أخي، فهو من شجّعَني وجعلني حالمًا بهدفٍ في هذه الحياة.

ـ المغنّية وكاتبة الأغاني (أليشا كلين)، فهي التي كتبتْ وغنّت الأغنية (فكرة) الموجودة في الرواية.

# ملخص أحداث الجزء الأول:

ـ الحدث الإرهابي في مدرسة (صوفيا)، الذي أفقدها أختها (أوليفيا).

ـ مغادرة شقيقات (الفاولكين) الست مع (بليد) و(سارة) لـ(الجزيرة المجهولة) بإذن أمهم، ليزوروا (الأسوأ) الذي طالما حلموا بزيارته.

ـ وصول أخبار مقتل (فيوليت) وأفراد نادي (العنقاء الرمادي) للشقيقات أثناء حضورهن لبرنامج (الحنجرة الذهبية)، وإلصاق تهمة الإرهاب بـ(نوفا) وبجميع من سكن (الجزيرة المجهولة)... وتهم أخرى لا أصل لها من قبل الملك (دريكسِل) بمساعدة من الملك (لوجان) ليحافظا على عروشهما فقط.

ـ تضحية (نوفا) بنفسها في سبيل إنقاذ أخواتها، وتسليم نفسها للسلطات والاعتراف بكل التهم الملفّقة عليها... ليتضح خبث (دريكسِل) حيث كان يعلم منذ بادئ الأمر عن بقية الشقيقات... وأراد استدراج (نوفا) فقط حين أعلن أنها المطلوبة والوريثة الوحيدة لـ (تشارلز) و(فيوليت) عالمًا أنها ستسلم نفسها لتنقذ أخواتها.

ـ تفرُّق الشقيقات في أرجاء (الأسوأ) بهويات مزيفة إلى أن تجد (سارة) و(بليد) حلًّا، لأسبوعين فقط... (ستيفاني) بهوية صبي في مدينة (بليس) بـ (أوبيا)، (آفا) في مدينة (كولومبا) بـ (كوتشينو)، (آليكس)

في مدينة (كابال) بـ (فويجو)، (آنجيلا) و(جينيفر) في مدينة (أليو) بـ (سويفين).

- فضول (ستيفاني) يقحمها في أحد القوارب التي يستعملها الآباء في (أوبيا) لرمي بناتهن في بحر (آنجيلز)، لترى الجنون بأم عينها... وتلحظها المرأة الغريبة ذات أقراط الأنف الأربعة... لتترصد لها وتختطفها بعد ذلك.

- تقع (آليكس) في غرام الشاب (جيب) الذي عاقرت الخمر معه حتى سكرت، لتستيقظ من النوم في اليوم التالي وحقيبة نقودها قد اختفت.

- تدخل (آفا) المسرحية التي تتحدث عن عائلة (الفاولكين) بسخرية، لتفقد السيطرة على مشاعرها بالكلية وتبحثَ عن أمها -التي توهمت وجودها بعد موتها- فلا تجدها، ثم تسقط مغشياً عليها على ناصية الطريق.

- يحاصر (الأسمى) فندق (جيني) و(آنجي) ليأخذوا عينات أحماضهما النووية هما وجميع قاطني الفندق ويقارنوها بجثة (فيوليت) للعثور على بناتها، لتخرجَ نتيجة المقارنة سلبية.

# الخريطة

الجزيرة المجهولة
بريجيرا
أوبيا
بوسكي
بحر سبايل
بحر انجيلز
سويفين
كوتشينو
ديستينيجا
فويجو

# (مملكة "بريجيرا")

العاصمة: (ج)

اللغة: الإنجليزية

عدد السكان: 45 مليون نسمة

العملة: ذهب

# (مملكة "أوبيا")

العاصمة: (فريك)

اللغة: الإنجليزية

عدد السكان: 85 مليون نسمة

العملة: فضة

# (مملكة "بوسكي")

العاصمة: (بوسكينو)

اللغة: الإنجليزية

عدد السكان: 74 مليون نسمة

العملة: فضة

# (مملكة "سويفين")

العاصمة: (أونيزم)

اللغة: الإنجليزية

عدد السكان: 98 مليون نسمة

العملة: فضة

# (مملكة "ديستينيجا")

العاصمة: (أدوربس)

اللغة: الإنجليزية

عدد السكان: 71 مليون نسمة

العملة: فضة

# (مملكة "كوتشينو")

العاصمة: (فيربيتم)

اللغة: اللاتينية

عدد السكان: 186 مليون نسمة

العملة: ذهب

# (مملكة "فويجو")

العاصمة: مدينة (فويجو)

اللغة: الإسبانية

عدد السكان: 67 مليون نسمة

العملة: ذهب

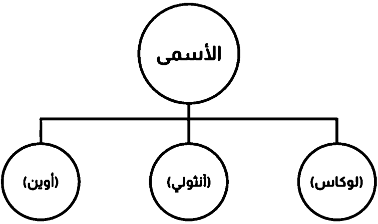
الأسمى
(لوكاس)
(أنثوني)
(أوين)

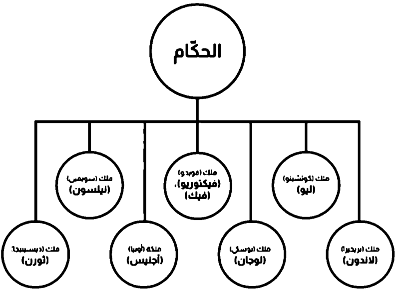
الحكّام
(ليو)
(فيكتوريو)،
(فيك)
(نيلسون)
(لاندون)
(لوجان)
(أجليس)
(ثورن)

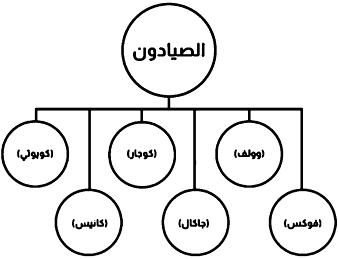
الصيادون
(كويوتي)
(كوجار)
(وولف)
(كانيس)
(جاكال)
(فوكس)

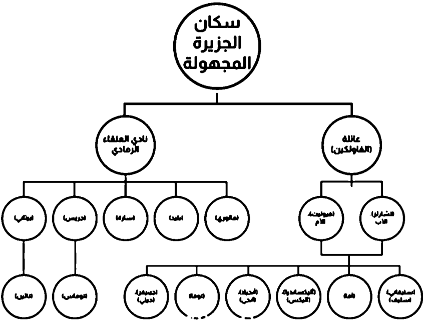
سكان الجزيرة المجهولة
نادي العلماء الرمادي
عائلة (الفاولكين)

# القوانين الأسمى

1- يُمنع منعًا باتًّا زواج الأشخاص من ذوي الأعراق والألوان المختلفة.

2- (الأسمى) لديهم الحق في اختيار الملوك وتغيير الوزراء، ويجب ألّا يكون لذلك الملك أو الوزير صلة قرابة من (الأسمى)، ولا يستطيع (الأسمى) تنصيب نفسه ملكًا أو وزيرًا.

3- لكل ملك الحق في تمرير العرش لوريث واحد، وبعد موت ذلك الوريث يقوم (الأسمى) باختيار ملك جديد.

4- لا حق للمرأة بالحكم أو تقلُّد منصب عالٍ.

5- إصابة الملك بمرض لا علاج له تسلبه حق الحكم مباشرةً، ويتم استبداله بملكٍ آخر دون النظر لأحقية الوريث.

6- التمرد على ملكٍ مُختار جريمةٌ يختار الملك معاقبة مرتكبها بما يشاء.

7- (الأسمى) لديه الحق في اختيار وريثه، بشرط ألّا يكونا على صلة قرابة.

8- جميع القوانين التي تنطبق على الملوك تنطبق على (الأسمى) بطبيعة الحال.

9- يتّخذ (الأسمى) تصويتًا على جميع القرارات.

10- يجب أن يكون هناك واحد من (الأسمى) على الأقل من أصحاب البشرة السوداء.

11- لا يحق لأحد تحت سن الثلاثين عامًا أن يكون ملكًا أو أن يتم اختياره لكي يكون من (الأسمى)، باستثناء ورثة الملوك.

12- يجب على الملوك حل تهديدات الأمن القومي خلال شهرين، فشل أي من الملوك في حلها قبل انتهاء تلك المدة يسلبه حقه في الحكم.

13- يجب على جميع الملوك حضور (ليلة الذئب الثالثة عشرة) في جزيرة (الذئب الأسود).

14- يُسمح بقتل الفتيات الرضيعات حديثات الولادة في (أوبيا)، وذلك برميهن في بحر (آنجيلز) فقط.

15- يُمنح حق (الاعتراض الذهبي) لثلاث دول: (بريجيرا) و(سويفين) و(فويجو)، أي استخدام لحق (الاعتراض الذهبي) يكسر أي تصويت.

16- أي ملك يبدأ حربًا على دولة أخرى، أو يرأس تمردًا على (الأسمى) يخضع للإعدام الفوري.

## مدينة (بليس)، دولة (أوبيا)

## يناير، 2019

# الفصل الخامس والعشرون

## المتحدثة: (ستيفاني)

"وما لي أنظرُ إليهم ومعي أوسم رجل على هذا الكوكب"

قُلتُ بتهكم قبل أن آخذ نفسًا عميقًا من السيجارة.

"أوحسبتِ أن هذا الرجل الوسيم سيدعُكِ تنامين الليلة؟"

قال (توماس) وهو يلاعب خصلات شعري البنية بأصابعه النحيلة مبتسمًا، وأنا مستلقيةٌ على حجره.

كان الجو منعشًا تلك الليلة والنسيم العليل يتخلل جسدي. الميناء كان خاليًا تمامًا... فقط أنا وهو على الشاطئ المثلج أمامنا. همَّ (توماس) بتقبيلي لكنِّي رغبت عنه وقمت من حجره، لم أكن في مزاجٍ جيد لفعل أي شيءٍ تلك الليلة.

"انتهت ورديتي وأنا متعبة، أحتاج الارتماء على أقرب سرير! عِمتَ مساءً يا حياتي"

قلتُ وأنا آخذ شنطتي وأُطفِئُ السيجارة بقدمي.

لم أنتظر رده ولم أكن متعبةً حتى، احتجتُ فقط أن أخلو بنفسي لبعض الوقت.

فجأة، أحسستُ بماءٍ باردٍ يُقذَف في وجهي وقمتُ من النوم وفرائصي ترتعد! فتحتُ عينيَّ على مصاريعهما لأرى تلك السيدة الغريبة بأقراط أنفها الأربعة اللعينة، تحدّقُ بي وهي تحمِلُ الوِعاء الذي غرقت ملابسي ووجهي بمائه.

كانت تضع أحمر الشفاه البنفسجي نفسه وترتدي الملابس الجلدية السوداء أنفسها. حاولتُ تحريك يدي لكن هيهات... كانت مُكبَّلةً مع كامل جسدي بالكرسي الذي أجلس عليه! بدأت ألتقط أنفاسي وأنا أنظر حولي لأجد غرفة عتيقة صدئة، أشبه بمستودع مهجور. خَلَعَتْ غطاءَ رأسها مقتربةً مني تحت الإضاءة الحمراء الضئيلة... لِيَظهر شعرُها الأشقر الناعم القصير.

**"مـ.. مـ.. مـ.. من أنتِ؟! ومـ.. مـ.. ماذا تريدين مني!"**

قلتُ بفزع وقلبي يقفز مع كل دقة لكعبها على الأرض.

"من أنت؟ وماذا تفعلُ في (أوبيا)؟"

قالت ببرود وكأنها آلة لعينة، مقتربةً مني.

"كـ.. كـ.. كـ.. كـالفِن براندي. جـ.. جـ.. جـ.. جئت أبحث عن.. عن.. عن وظيفةٍ لتدريس الإنجليزية. ماذا تريدين أنتِ؟!"

أجبتُ وكُلِّي أملٌ أن تتوقف عن الاقتراب مني.

تغيرت ملامحها ورمقتني بنظرة قاتلة، شادَّةً فكيها.

"إجابة خاطئة!"

قالت وعيناها تشتعلان غضبًا. تراجعتْ للوراءِ قليلًا وأخرجتْ من ظهرها سوطًا أسودَ طويلًا، أحسستُ بآلام جلداته بمجرد النظر إليه.

"من أنت؟ وماذا تفعل في (أوبيا)؟"

قالت وهي تتفحص السوط.

"أرجوكِ ماذا تريدين مني؟ أخبرتك، اسمي (كالفِن) وأدرِّس اللغة الإنجليزية!"

قلتُ وشفتاي ترتجفان.

**"إجابة خاطئة!"**

لم تنتظر لحظة واحدة ووجَّهت جلدتها الأولى نحو ساعدي، أطلقتُ صرخةً مدوية وأنا أتلوى من الألم وسقطت دمعة رغمًا عني! أحسستُ وكأن ساعدي يشتعل ويحترق.

**"النجدة! ساعدوني!! فليساعدني أحدكم!"**

رحتُ أصرخ وأصرخ طالبةً النجدة، مُحاوِلةً فك الحبال التي بدأت تؤلم عظامي.

"من أنت؟ وما الذي تفعله في (أوبيا)؟"

قالت وهي تطوِّق رقبتها بيدها.

**"أرجوكِ صدقيني! لم قد أكذب عليك وأنا لا أعرفكِ أصلًا؟!"**

ازدادت غضبًا ووجَّهت جلدتها الثانية على صدري. كانت أقوى بكثيرٍ من الأولى وأغمضتُ عيني صارخةً وأنا أحاول التملص من الحبال لأفرُك الجَلدة التي ألهبت

صدري! فتحتُ عينيَّ الدامعتين لأرى المسخة اللعينة ثابتةً لم تتحرك، في أتم الاستعداد لتوجه جلدتها التالية.

"من أنت؟ وماذا تفعل في (أوبيا)؟"

كان علي أن أكذب، إما الكذب والجلد... أو الصدق وحبل المشنقة! أغمضتُ عيني لتتساقط منها الدموع، مهيّئةً كل بقعةٍ في جسدي لسوطها.

"من أنت؟ وماذا تفعل في (أوبيا)؟"

## مدينة (كابال)، دولة (فويجو)

## يناير، 2019

# الفصل السادس والعشرون

## المتحدثة: (آليكس)

لبستُ قميصي عاري البطن الأحمر وبنطال الجينز القصير على عجل، لم أهتمَّ حتى بارتداء لبس داخلي. التقطتُ بطاقة الغرفة، وكل ما أفكر به هو شيءٌ واحد... ذاك الساقط (جيب) بعينيه الكهرمانيتين! كان عقلي لا يزال مشوشًا من البارحة، لم أتذكر أخذَ (جيب) لحقيبتي لكنه الوحيد الذي دخل الغرفة! ألقيتُ نظرةً على المرآة قبل الخروج، كان شعري الأحمر القصير في حالة فوضوية يرثى لها.

خرجتُ غير مكترثةٍ بتسريحه أو حتى غسل وجهي، كان الصداع قد تمكن من السيطرة على رأسي بالكامل ولم أكن أفكر بشكل سليم. أغلقتُ الباب ليدوي الصوت في رأسي... لم أتوقع أن الرجوع للوعي بعد الثمالة بهذا السوء! كان الرواق فارغًا تمامًا تحت الأضواء الخافتة، توجهتُ للمصعد بسرعة شاعرةً بدماغي يختضُّ مع كل خطوة. ضغطتُ الزر واستندتُ على الجدار، ممسكةً رأسي بكلتا يدي.

ما الذي أوصلني لهذه المرحلة؟! كيف خدعتني أعين كهرمانية وجعلتني أنسى كل شيء حذرتني منه (سارة)؟ سحقًا، ألا يستطيع هؤلاء الناس العيش دقيقة واحدة دون ارتكاب جريمة؟! رنَّ الجرس معلنًا وصول المصعد، دخلت ووجهته للدور الأرضي. سرعان ما وصل المصعد للردهة

وفتح الباب، ليتخلل النسيم البارد أجزاء جسدي. خلت الردهة من الأشخاص كما هو متوقع، عدا طاقم الفندق.

عقدتُ ذراعيَّ وتوجهتُ لباب الفندق، لم أكن أعلم أين سيكون بالضبط. لحظة... ألا يمكن أن يكون قد كذب؟! ماذا لو كانت تلك أول مرة يدخل فيها الفندق؟!

لا لا، كانت نادلة الحانة تعرفه. اتكأتُ على الباب وتلفتُّ حولي، باحثةً عن (جيب).

"أتريدين شيئًا، سيدتي؟"

قالت سيدة الاستقبال وهي ترمقني بنظرة استغراب. شعرتُ وكأنها تصرخ بالقرب من أذني.

"لا، شكرًا"

قلتُ وابتسامةٌ مصطنعةٌ تعلو شفتيَّ.

مكثتُ بضع لحظات، قبل أن ألمحه جالسًا مع جواله بعيدًا بجانب الحانة... مرتديًا لباس حراس الأمن العنَّابي مع القبعة. اتجهتُ إليه وعيناي تشتعلان غضبًا. وقفتُ أمامه محدقةً فيه بنظرات قاتلة، دون أن يرفع نظره لي للحظة واحدة.

"أتوقع أن لديك شيئًا يخصني!"

قلتُ هامسةً وأنا أضع يديّ حول خصري.

"لا أعلم عمَّ تتحدثين يا سيدتي"

قال ببرود وعيناه لا تزالان على جواله.

"اسمع أيها اللعين..."

سكتُّ حين ارتفعت نبرتي ونظرتُ لسيدة الاستقبال التي كانت تحدق بنا من مكتبها.

"تستطيع أن ترد لي الحقيبة الآن وسأتظاهر أن شيئًا لم يكن، أو تستطيع الاحتفاظ بها وسأصعِّد الأمر للشرطة!"

أكملتُ بهمسٍ وأنا أقترب منه.

"أو تستطيعين أن تغربي أنتِ عن وجهي وأحتفظ أنا بالحقيبة، وأتظاهر أن شيئًا لم يكن!"

قال وهو يقوم من مكانه، واضعًا جواله في جيبه.

أحكمتُ قبضتي وشددتُ فكي، وكُلِّي رغبةٌ في تسديد لكمةٍ على وجهه، يا له من وغد!

"لم تترك لي خيارًا أيها الأحمق، سأتصل الآن بالشرطة!"

قلتُ ناظرةً لعينيه الكهرمانيتين، اللتَين نظرتا فيَّ بكل برود.

انفجر ضاحكًا فجأة، جاعِلًا سيدة الاستقبال تنظر إلينا باستغراب.

"لا تنسي أن تخبريهم من أين أتاكِ كلُّ ذاك المال!"

قال بهمس، بابتسامة ملأتها السخرية.

اللعنة! لقد نسيت! لقد نسيتُ مصدر تلك الأموال المجهول! يا لتفكيري الأرعن، كيف وثقت بـ (الأسوأ) الذي طالما حُذِّرتُ منه؟!

"يا لك من وغد! كيف تنام في الليل؟!"

قلتُ بكل ضعف، ناظرةً إليه بعينين حاقدتين وفكاي وقبضتاي لا تزال مشدودة.

"على سريرٍ كبيرٍ مريح، (بوتا(1))"

قال ضاحكًا، متجهًا نحو بوابة الفندق.

كانت تلك الضحكة كفيلةً بتدميري، بدأت الدموع تتساقط من عيني وكأني طفلة لم تتجاوز الثامنة! لم أعلم معنى الكلمة التي قالها في آخر كلامه، لكني توقعتُ أنها شتيمة. هرعتُ للمصعد وأنا أكفكف دموعي قبل أن يراني أحد.

حمقاء... والله حمقاء! سلمته جسدي، أعطيته ثقتي، ناولته قلبي... من أول لقاء! وصل المصعد واتجهتُ لغرفتي، جاهلةً بالكلية خطوتي القادمة. كيف سأعيش بلا أموال، لم أُنهِ حتى أسبوعي الأول هنا وقد أضعتُ كل الأموال. لم أعد أستطيع التفكير على الإطلاق، مع ذاك الصداع الذي ما زال يتزايد.

دخلتُ الغرفة وارتميتُ على الأريكة، مطلقةً تنهيدة عميقة. أغمضتُ عيني بقوة والدموع تتساقط، والصداع يشتدُّ شيئًا فشيئًا. آه... لكم وددتُ أن يكون كل هذا حلمًا

مزعجًا وتوقظني منه أمي بعتابها، أو توقظني منه (جيني) بإلحاحها، أو توقظني (آفا) و(آنجي) بإزعاجهما! تذكرتُ عندما كنا على متن العبارة حين غادرنا (الجزيرة المجهولة) وقلت: "أتمنى ألّا نعود أبدًا"

ها هي ذي أمنيتي تتحقق بأسوأ سيناريو ممكن، تُقتَل أمي وأختي وأعيش وحدي في بلد مليء بالجرائم والحقد والكراهية، ويتم نهبي من شابّ خُدِعتُ بوسامته وجماله. ماذا سأقول لأخواتي حين أُكلمهن؟! لطالما أشرن بأني الأضعف بينهن، أضعفُ حتى من (جيني)! لم أعد أتحمل الصداع، فتحتُ عيني واعتدلتُ على الأريكة بتثاقل.

حان الوقتُ لسماع سخرية وتوبيخات أخواتي، أحتاج للمال بأسرع وقت ممكن. كان الكمبيوتر المحمول موجودًا في الدرج، لم يلحظه (جيب) أو لم يبحث عنه أصلًا... بعد رؤية تلك الحقيبة المليئة بالنقود. فتحتُه لأجد نفسي وحدي في غرفة الدردشة، لا (ستيفاني)، لا (آفا)، ولا (آنجيلا) و(جينيفر)... لا أحد! كفراغ جيبي من المال، كانت الغرفة فارغة وجميع الدوائر رمادية. وضعتُ الكمبيوتر جانبًا وأنا أحدق فيه، آملةً أن تفتح إحداهن الكمبيوتر ولو بالخطأ. مرت لحظاتٌ ولم يحدث شيء، لم يدخل أحدٌ غرفة الدردشة. لكمتُ الكمبيوتر المحمول وبدأتُ بالصراخ بأعلى صوتي، تمامًا كالأطفال. تابع صراخي ركلاتٌ سددتها لكل شيءٍ حولي، الأريكة، الطاولة، الجدار، والكمبيوتر المحمول.

بعد بضع دقائق انقطع نفسي، وبدأت أستعيد رباطة جأشي شيئًا فشيئًا. التقطتُ أنفاسي وأنا أضع يدي على صدري، جالسةً على الأريكة بكل هدوء.

حسنًا يا (آليكس) لنحل المشكلات كلًّا على حدة، بدءًا بالأهم فالمهم. أولًا، هذا الصداع الجحيمي.

تذكرتُ شيئًا مهمًّا وأسرعتُ لالتقاط الهاتف، ما تشتريه من الفندق يتم دفعه لاحقًا عند المغادرة! دعوت الله أن يكون لديهم صيدلية، وإلا فالخطة كلها ستبوء بالفشل. طلبتُ خدمة الغرف لأسمع الرنات التي دوت في رأسي المتصدع.

"خدمة الغرف، كيف يمكنني مساعدتك؟"

قالت سيدة بصوت رقيق، مقاطعةً تلك الرنات المزعجة.

"أريد مسكنًا للألم"

طلبتُ بصوت مبحوح ملأهُ الوجع.

لم أسأل حتى إن كان لديهم صيدلية، منعني صداعي من اللطف والذوق. صَمَتَتْ للحظات وكأنَّ طلبي بدا مُريبًا لها مع صوتي المتألم والضعيف.

"كم رقم غرفتك يا سيدتي؟"

سألت بنبرة يملؤها الاستغراب.

"مائة وثمانية عشر"

أجبتها والصوت بالكاد يخرج من فمي.

"سيأتيك المسكن في لحظات، هل تريدين أن أتصل لك على الإسعاف، سيدتي؟"

سعادتي حين سماعي ذلك الجواب لا توصف!

"لا، شكرًا"

أقفلتُ الخط واستلقيتُ على الأريكة، مطلقةً تنهيدة عميقة.

المشكلة الثانية يا (آليكس)، الحصول على المال.

تستطيع إحدى أخواتي إرسال بعض المال لي أو تحويله بأي طريقة، لن يكون مبلغًا كبيرًا... فقط ألفين أو ثلاثة. لكن أين هن؟ نظرتُ إلى الساعة لأجدها قاربت الثامنة صباحًا، على الأقل (آفا) و(آنجي) و(جيني) يجب أن يكُنَّ مستيقظات. لحظة، كنا قد حددنا موعدًا للمكالمة القادمة... لكن متى كان؟ آخ، السابعة أو الثامنة مساءً. ماذا سأفعل كل هذا الوقت بلا فلس واحد حتى؟!

لعلَّ إحداهن تشعر بالملل وتظهر قبل الموعد.

لعلَّ إحداهن تظهر بعد ساعة.

لعلَّ إحداهن تظهر بعد ساعة.

عساهُن يظهرن الساعة القادمة إذًا.

بالتأكيد ستظهر إحداهن هذه الساعة.

تسعُ ساعاتٍ من الانتظار وتفحُّصِ الساعة على الحائط بين الفينة والأخرى... حتى بلغت الخامسة مساءً، لم يظهر فيها ظلُّ إحدَاهن أو حتى رائحتُها. وبينما أنا مستلقيةٌ والكمبيوتر المحمول بجانبي مُقلِّبَةً بين قنوات التلفاز، إذ بالبابِ يُطرَق بعنف! قفز قلبي من مكانه وعدَّلتُ جلستي، من تُراهُ هذا الذي كاد أن يكسر الباب بطرقاته؟!

(جيب)؟

لا، لا أعتقد... ما الذي أتى ذاك الأحمق لفعله، سرقة ملابسي أيضًا؟ أغلقتُ المحمول وتحركتُ نحو الباب وأنا أرتجف، ماذا لو كان (جيب) قد أخبر الشرطة وهم الآن على الباب ينتظرونني بالأصفاد؟

"سيدة (ريكسي)، افتحي الباب من فضلك بسرعة!"

أتى صوتُ سيدةٍ ناعمٌ جدًّا من خلف الباب، امتلأت نبرتهُ بالقلق. من عساها تكون هي الأخرى؟ ضابطةَ شرطة؟!

"افتحي من فضلك، أنا النادلة من الحانة بالأسفل"

طرقت الباب بشدة بعد أن أنهت جملتها تلك. كنتُ قد اقتربتُ كثيرًا من الباب، لكني ورغم لطف تلك النادلة إلا أن الشكوك ما زالت تراودني... لمَ تريد مقابلتي؟! ولمَ تطرقُ الباب بهذه الطريقة المُقلِقة الهمجية؟!

"أعلمُ أنَّكِ بالداخل وجئتُ لمساعدتك بشأن ما حدث

مع (جيب)، افتحي أرجوكِ"

يا الله، كم طمأنتني تلك الكلمات! فتحتُ الباب على الفور لأراها واقفةً بجينزٍ أبيض وقميصٍ أصفر فضفاضٍ جذاب، ابتلَّ شعرُها الأزرقُ المنسدلُ بالعرق، وبدا القلقُ في عينيها العسليتين... وكأنهما كانتا تعلمان بحالي وتشفقان علي.

"قابليني في الشارع بالأسفل، المشكلة تحتاج هدوءًا وركودًا لحلها"

قالتْ وهي تبتسمُ، وشعرُها الأزرقُ قد انسدل على وجهها، كانت كالمحيط لسمكةٍ أوشكت على الموت من بقائها خارج الماء لفترة طويلة، كالمفتاح لحبيسِ غرفةٍ أُقفلتْ عليه منذ أعوام، كالماء لتائهٍ في صحراءَ قاحلة منذ أيام. لا أبالغُ إن قلتُ أني وددتُ احتضانها وتقبيلها كالأطفال، ما زال الخيرُ باقيًا في هذا العالم بوجود أمثالها! أومأتُ برأسي مبتسمةً، وأنا أحمد الله الذي سخرها لي.

"فقط أمهليني لحظات وسألحق بك في الأسفل"

قلتُ ووجنتايَ تكادان تتشقّقان من الابتسام لها.

غادرت الرّواق وأغلقتُ الباب، أخذتُ نفسًا عميقًا وتوجهتُ للأريكة، كانت تلك السيدةُ هي الحلَّ الأمثل، لن أكون بحاجة أخواتي والاستماع لتوبيخاتهن ومعاملتهن لي كطفلة! هي تعرف (جيب) وسترد لي الأموال رغمًا عنه، في الحقيقة كانت هي الحل الوحيد، لن تستطيع أيّ من

أخواتي إعطائي فلسًا واحدًا، وأي محاولة منهن لإدخال ذاك الكم الهائل من الأموال للبنك ستدخلنا في دوّامات وشكوكٍ حولنا.

توجهتُ للباب بثقة وراحة، حتى الصداع والغثيان كانا قد اختفيا بالكلية. ألقيتُ نظرةً على المرآة وسرَّحتُ شعري بيدي بسرعة، لا وقت للزينة والتبرج. قميصي الأحمر عاري البطن والجينز القصير كانا مناسبين ولا أحتاج لتغييرهما، فلتذهب نظرات وآراء الناس فيّ للجحيم!

قبل الخروج تذكرتُ شيئًا مهمًّا، يجب أن أترك رسالة لأخواتي حتى لا يقلقن علي. فتحتُ الكمبيوتر لأرى (كالفِن) - (ستيف) - متصلة!

أأُخبرها وأنسى موضوع النادلة برمته؟ لا، لن أدع لـ (ستيف) مجالًا لتوبيخي ومعاملتي كطفلة! تركتُ للجميع رسالة لأعتذر منهن، فحواها:

*"أنا بحاجةٍ للتعامل مع شيء ما يا بنات، لا أستطيع التحدّث اليوم. أراكنّ لا حقًّا!"*

غادرتُ الغرفة. سارعتُ الخطا نحو المصعد، نقرتُ الزّر لكنّي لم أُطِق صبرًا ونزلتُ على الدرج مسرعةً. تذكرتُ حين جريتُ نازلةً من سلالم الطائرة، متشوقةً للدخول لـ (بوسكي) والاختلاط بالناس.

ما أشبه الليلة بالبارحة! الفرق أنّي كنتُ نازلةً من الطائرة آنذاك بكعبٍ، فَرِحَةً مسرورة أتشوق للوصول.

والآن أنزِلُ بجزمةٍ عتيقة، مكسورةً حزينةً أستغيثُ بغريبة بعد أن أذاقني (الأسوأ) من كَأسٍ حَنظَلِه!

رأيتُها في سيارة أجرة صغيرة أمام باب الفندق، جلستْ في المقعد الخلفي تتفحصُ ساعتها وتتلفتُ يمنةً ويسرةً. أربكتني وأقلقتني بتصرفها ذاك، لِمَ العجلة؟ كدتُ أعودُ أدراجي وأتخلَّى عنها مرةً أخرى، إلا أن عينيها العسليتين وقعتا علي. أخذتُ نفسًا عميقًا واتجهتُ للسيارة، ما الذي لدي لأخسره حتى أقلق؟

ركبتُ السيارةَ وأغلقتُ الباب، وصافحتني بحرارة. نظرتُ إلى السائق لأجده عجوزًا أكلَ عليه الدهر، ملامحه ترهَّلت، وشعرُه ابيضَّ بالكامل. بدأ بالتحرك بكلِّ بطءٍ وحذر، ويداه ترتعشان.

"أنا أعتذرُ جدًّا عما بدر من (جيب)! يتصرفُ بجنون أحيانًا وأتمنى أن تعذريه، الرجل مصابٌ بانفصام الشخصية"

قالت النادلة، بالأسلوب الحنون نفسه والابتسامة الدافئة.

فتحتُ عيني بدهشة، لم أتوقع ذلك الجواب أبدًا! الآن بدأ يتضحُ كل شيء، لهذا السبب تغير تمامًا ولم يعد ذلك الشخص الطيب الذي صاحبتُهُ بالأمس.

"كيف تعرفين كل هذا عن (جيب)؟"

سألتُها باستغراب بعد أن استوقفني ذهني لبرهة.

"(جيب) هو أخي الأصغر الذي ربيتهُ بعد وفاةِ أمّنا وتخلّي أبينا عنَّا"

خيَّم الحزن على ملامحها بعد ذلك، وكأنَّ الذكريات كانت تحترق في ذهنها. أحسستُ بالشفقة عليه فعلًا، من مرَّ بظروفه في طفولته قد يفعل أسوأ من ذلك!

"أنا آسفة جدًّا يا..."

"(ليندا)، اسمي (ليندا)"

"أنا آسفةٌ جدًّا يا (ليندا)، لم أكن أعلم بتلك الظروف التي مررتما بها"

قلتُ واضعةً يدي على كتفها بلُطف.

فاجأتني بعناقٍ شديدٍ دافئ، وكأنها كانت تكتم تلك الأوجاع في صدرها. كنتُ أحتاج الحضن ذاتَه بصراحة، فلم أمانع احتضان (ليندا). كان السائق يقود في المسار الأيمن ببطْءٍ شديد، والشمس الساطعة أوحتْ بيومٍ هادئٍ خالٍ من العواصف.

"أنا التي يجب أن تتأسف، أرجوكِ لا تقدّمي بلاغًا عليه في أي مكان. بالكاد تشفَّعتُ له بالوظيفة في الفندق، وسيكون من الصعب إيجاد وظيفةٍ أخرى إذا تشوهت سمعته"

قالت وهي تعود لمقعدها بعد حضنها الدافئ، وعيناها تتوسلانني.

"بالتأكيد يا (ليندا)، لن أفعلَها أبدًا"

قلتُ وأنا أبتسم لها، بالكاد حابسةً دموعي.

كم هو قاسٍ أن تترعرع في (الأسوأ) بالفعل! الإجرامُ سلسلةٌ طويلةٌ يجرُّ بعضُها بعضًا، لا تنتهي بمحاسبة المجرمين فقط... بل بمحاسبة من جعلوهم كذلك. لم يكن ليُصابَ (جيب) بمرضه ويسرق لولا تخلّي أبيهِ عنه!

"شكرًا، ضعها على فاتورة الفندق"

قالت (ليندا)، والسائقُ يتوقَّفُ على قارعة الطريق.

نظرتُ لليمين لأرى عمارةً سوداء حديثةَ البناء، تَبِعتُ (ليندا) للخارج غير عالمةٍ بوجهتنا. امتلأ الشارع بعربات الطعام والمحال التجارية، مما جعله مُكتظًّا بالناس.

"في تلكَ البناية أسكنُ أنا و(جيب)، اتبعيني"

أشارتْ إلى عمارةٍ بعيدةٍ نسبيًّا، تبعُد ثلاثة مبانٍ عن تلك التي توقفنا بجانبها. مشينا وأنا أتفحَّصُ الناسَ حولي، و(ليندا) تسرعُ في مشيتها. زدتُ من سرعتي لأُواكِبَها وأنا أقول:

"هدِّئي من سرعتكِ، لمَ العجلة؟"

"يجبُ أن نلحقَ (جيب) قبل أن يتصرف بتلك الأموال!"

قالت وهي تجمع شعرها وتربطه.

طرأ سؤالٌ محيِّرٌ في ذهني حينها، لِمَ لَمْ نتوقف عند عمارتهم، بدلًا من الوقوف قبلها بمسافة والمشي؟!

بدأت الشُّكوك تتلاعب بعقلي، وتُبطِئُ حركتي خلفها. فعلُها حيَّرني بصدق. كانت تتفحصني وهي تُسرِعُ لتلك العمارة، وكأنها بدت مرتابةً وخائفة. حينها وحينها فقط... لم يَتَخلَّ عنّي عقلي، مُنتَصِرًا على قلبي!

توقفتُ تمامًا عن الحركة على الرصيف، وقد أمسك عقلي بخيوط أطرافي وجوارحي ليتحكم بها كدمى. التفتتْ إليَّ وتوقفت هي الأخرى صارخةً بقلق:

**"ما بكِ؟ هيًّا!"**

ذاك الصراخ القَلق قطع الشكَّ باليقين، توجد مصيبةٌ في تلك العمارة! تجاهلتُها ووقفتُ على قارعة الطريق، أنتظرُ أقرب سيارة أجرةٍ لتقلّني. لم يَطُل انتظاري وتوقفت لي إحداها، هممتُ بالركوب لكنّي أحسستُ بيدٍ مرتجفةٍ على كتفي. نظرتُ للخلف لأرى وجهها البئيس القلق وشعرها السخيف الأزرق، لتقول بتوتر:

"مـ.. مـ.. ما المشكلة؟"

"اقتربي منّي ثانيةً وسأبلغُ السلطات، حتى لو كان أخوكِ يعاني من آلاف الأمراض العقلية!"

لم أنتظر ردًّا منها، ركبتُ السيارة وأخبرتُ السائقَ أن ينطلقَ للفندق.

كيف لي أن أصدق كل ذلك، ألم أتعلم من التجارب السابقة أي شيء؟! كدتُ أُلدَغُ من الجُحر نفسه مرتين!

صدقت (سارة) حين كانت تمنعنا من الكلام مع أي أحدٍ هنا، مجرمون سَفَلة! آه، لكم أودُّ العودة للحظات الملل التي عشناها في (الجزيرة المجهولة)... للحظات غضبِ أمّي علينا بسبب قضاء وقتٍ طويلٍ في النوم وعدم إنجاز المهام، للحظاتِ شجارِ (آنجي) و(ستيف) المستمرة، للحظاتِ النقّاش العقيم بين (آنجي) و(نوفا)، أو تلك التي تقضيها (نوفا) وهي تغلبنا في الشطرنج كلَّ مرة... حتى سئمنا من اللعبة.

أين أنتِ الآن يا (نوفا)؟ هل وجدتِ حقًّا الحياة الأخرى التي كنتِ تحدثين عنها طوال حياتك؟ أتعيشينها الآن لتُعوِّضي حياة الشقاء التي قضيتِها معنا؟ حين قلتِ أن هذه الحياة غير عادلة، لعلكِ كنتِ على حق.

"فندق (إل هوتيل)، سيدتي. الحساب عشرة دنانير ذهب"

قال السائق، مُقاطِعًا الذكريات الأليمة التي غزت مخيلتي، متوقّفًا أمام الفندق.

اللعنة، نسيتُ أمر النقود! كيف لي أن أدفع له والفقرُ أدقَعَني؟!

"ضعها على فاتورتي بالفندق"

قلتُ راجيةً أن يقبل، لم أكن أعلم إذا ما كانوا يقبلون ذلك من الزبائن.

نظر إليَّ باستغراب عبر مرآة السيارة النصفية، قائلًا:

"لا نقبل المبلغ إلا نقدًا، سيدتي"

تمكَّن الصمتُ من السيطرة علي، وأنا أنظرُ لمدخل الفندق. ما العمل الآن؟!

أأهربُ كما يفعلون في أفلامهم؟ لا، تلك ستكون أغبى خطوة أتخذها، أغبى حتى من وثوقي بـ (جيب)!

أهربُ وأدخلُ الفندق الذي أمكثُ فيه؟ غباء.

"لا تفكري بالهروب فكاميرات المراقبة تغطي الشارع كله!"

قال السائق مقطِبًا حاجبيه الرفيعين.

أطلقتُ تنهيدة عميقة، مُغمِضةً عينيَّ مُستسلِمةً للأقدار. لن أتمكن من دفع المبلغ له وسيبلغ السلطات، عندها سيفتضح أمري. تذكرتُ بعدها حبل المشنقة مُلتفًّا حول رقبة (نوفا)، أحسستُ به على عنقي... يُصارِعُ روحي ليُخرِجها من جسدي.

"هناك طرقٌ أخرى للدفع، لعلمك"

وضع يده المتشققة الباردة على فخذي، وهو يتكلم بنبرةٍ قذِرة. صفعتُ يده وأنا أعطيه نظرةً مشمئزةً بعينين اشتعلتا

غضباً.

هممتُ بالخروج، لكنَّ الإغاثة أتتني من حيثُ لا أحتسِب! أحسستُ ببعض النقود في جيب بنطالي، عندما تحركتُ لأخرج. كيف لم أفكِّر بتفحُّصِ جيوبي؟ أعطيتُهُ كل النقود، لم أكترث حتى لعدِّها وأخذِ الباقي. أردتُ الخروج من السيارة بأقصى سرعة، كم مرة فعل هذا القذِر تلك الحركة مع نسوةٍ لم يتمكنَّ من الدفع؟

يا إلهي، حياتي لامست الحضيض! يتحرش بي الرجال لفقري، بعد أن كنتُ أميرة في (الجزيرة المجهولة)!

دخلتُ الفندق وتوجهتُ لغرفتي بسرعة، تبًّا لـ (الأسوأ) ولي على الوثوق به. أكُلُّ الرجال هنا كلابٌ تلهثُ للجنس؟

صعدتُ الدرج وأنا أتخيلُ يدَ ذلك المنحرف وهي تحسس فخذي، صدقتْ (سارة) حين نهتنا عن لبس الجينز القصير اللعين. دخلتُ الغرفة وحرَّمتُ على نفسي لبسَ الجينز القصير وأن أكشف بطني في هذه البلاد، ارتميتُ على الأريكة وأنا أزفر بعمق. لم تكذب (آنجي) حين قالت إن بائعات الهوى هن من يظهرن سيقانهن ويكشفن عن بطونهن! تذكَّرتُ موعد أخواتي الذي اعتذرتُ عنه بغير فائدة، لأذهب مع تلك الخبيثة -ومن المفترض أنه اقترب- الساعةُ قاربت السابعة مساءً. هرعتُ لأخذ الكمبيوتر المحمول وفتحتُه، آملةً أن أراهن وأخبرهن بفضيحتي.

(كالفِن) - (ستيف) - دائرة رمادية.

(هيزيل) – (آفا) - دائرة رمادية.

(آفرا) و(جولي) – (آنجي) و(جيني) - دوائر رمادية.

هل اعتذرن جميعًا بعد رسالتي؟ أُصِبتُ بإحباطٍ وخيبةِ أملٍ كبيرين، أين هن بحق الإله؟

نظرتُ للنافذة لأرى الشمس تودع الأرض بآخر أشعتها الخفيفة، كم كان هذا اليوم شاقًّا ومُتعِبًا! أَغمَضتُ عينيَّ وأرجعتُ رأسي للوراء، قبل أن أتذكَّرَ شيئًا مُهمًّا! لِمَ لا أُقدِّم على وظيفةٍ كأي إنسان يعيش في (الأسوأ) البئيس؟ في النهاية... هذا جزءٌ مما أردنا فِعلَه. صحيحٌ أنّي لا أستطيع العمل كممثلة لأني لا أستطيع الظهور في العلن، لكن هناك المئات من الوظائف التي أُتقِنها ولا تتطلبُ الظهور على المسرح! فتحتُ عيني لتسقُطَ على أيقونة الويب، ما الذي سأخسره؟ ليس الأمر وكأنّي لدي شيء آخر لأفعله، فتحتُ الويب وبحثت:

"وظائف خبراء مكياج في (كابال)"

ظهرت الكثير من الوظائف وبدأتُ بالتقليب بينها، لكنها كانت تتطلبُ شهادات. من أين لي بشهادة في بلاد لم أرها في حياتي كلها؟!

*"وظائف خبراء مكياج لا تتطلب شهادة في (كابال)"*

غيرتُ جملة البحث لأرى صفحاتٍ سخيفةً، لا تمتُّ لما

بحثتُ عنهُ بصلة. رحتُ أغير جملة البحث وأضع وظيفة أتقنها كل مرة... إخراج، كتابة، فن ديكور، وغيرها. وكما هو متوقع، لم أجِد وظيفةً واحدةً منها لا تتطلب شهادة. يئستُ وقتها وغيرتُ جملة البحث:

*"وظائف لا تتطلب شهادة في (كابال)"*

ظهرت أول نتيجة بحث وكان الراتب فيها مُغرِيًا جدًّا! 2500 دينار ذهبٍ في الشهر، كان الراتب أعلى من الوظائف السابقة والتي أصلًا تتطلب شهادات! وفوق ذاك المبلغ إقامة للموظفين وتكفُّلٌ أيضًا بوجبتي الإفطار والعشاء، يجبُ عدم تفويتِ هذا العرضِ أبدًا. دخلتُ الصفحة لأجد مكانًا لم أتوقّع يومًا أن أعمل فيه، بل لم أتوقع ولو للحظةٍ أن أقوم بتلك الوظيفة!

(مرقص لاستي ليونيس).

نعم، كان ذاك هو المكان، وتلك هي الوظيفة! وبالتأكيد لم تكن تحتاج لشهادة، كل ما عليك فعله هو التمايل والرقص وهزّ المؤخرات! تحتاج مرونةً وجسدًا خفيفًا فقط. خرجتُ من الموقع وأخذتُ جولة حول الوظائف ولم تكن بالراتب نفسه، وساعات العمل فيها مُرهِقةٌ طويلة. أكملتُ بحثي لكن الرواتب كانت تتراوح بين 500 و 700 دينار، ولا يوفرون سكنًا أو وجبات حتى.

مللتُ من البحثُ وألقيتُ بالمحمول على الأرض. غاص ذهني في تفكير عميق، لن أستطيع العيش بلا وظيفة...

وما أسوأ شيء يمكنُ أن يحصل لو عملت في تلك الوظيفة؛ فالرقص فنّ بل عِلمٌ يُدرَّس! وجسدي يطابق المواصفات المطلوبة في الإعلان. لن أكون بائعة هوى في نهاية المطاف، ومع توفر السكن والطعام لن أحتاج لأي شيء آخر. ولن أحتاج مساعدةً وشفقةً من أخواتي، سأحصل على تلك الأموال بمجهودي. وكما قالت (سارة)... فقط لمدة أسبوعين، ليس الأمر بذاك السوء. أسبوعان من الرقص وينتهي هذا الكابوس المروع!

يا إلهي، كيف وصل بي الحال إلى هنا؟ كيف وصل بي الحال أن أجد تبريراتٍ للعمل كراقصة، أهزُّ مؤخرتي للزبائن... بل وأَصِفُ المهنةَ أيضًا بالفن الذي يُدرَّس!

# مدينة (أليو)، دولة (سويفين)

## يناير، 2019

# الفصل السابع والعشرون

## المتحدثة: (آنجيلا)

كلُّ خلايا الدماغ عَمِلت بأقصى سرعة وقوة، وكأنها ترفع أثقالًا وتضعُها! بمجرد ما أضع نظرية وأحاول إقناع دماغي بها، تسقط بل تتهشم أمام المنطق! تبريرٌ خلف تبرير... يواجههُ المنطق بصلابة الجبال. لم تحتمل نتائج الفحوصات إلا تبريرًا واحدًا منطقيًّا، مؤلِمًا للغاية. أمُّنا... (فيوليت فاولكين)... ليست حقًّا أمَّنا! لم تحمل جهاز فحص الحمل باكيةً فَرَحًا، راكضةً لأبي - إن كان هو حتى أبي الحقيقي - تبشِّرهُ... بأن رحمها يحمل ابنتَهُ بين أنسجته. لم تحمِلنا في بطنها تسعة أشهر، لم تتكبد عناء الوحم، لم تعانِ آلام الظهر عند الجلوس والقيام، لم تشعر بركلاتنا اللطيفة على جدران بطنها، لم تعانِ ألم ولادتي أنا و(جيني)، لا شيء من هذا كله!

إن عانت خلايا دماغي كل ذلك التعب والإرهاق، فماذا عن المسكينة (جيني)؟ تُرى ما الذي يدور في ثنايا عقلها؟ جلستْ على الأريكة وهي تُلاعب شعرَها المصبوغ الأشقر، مُحدِّقةً في الجدار بصمت وقميص النوم الزهري لا يزال يعتلي جسدها، وقلادة اسمها تنسدل على رقبتها.

لملمتُ ما تبقى من شتات عقلي ورباطة جأشي، وفتحتُ المحمول لأتَّصل بأخواتي... لم أهتمَّ حتى بالموعد الذي حددنه. كيف سيكون وقع الخبر عليهن؟ هل هن أخواتي

أصلًا؟ لم أعد أستغرب شيئًا والله بعد الذي واجهناه.

ألقيتُ نظرةً على الساعة أسفلَ يمين الشاشة، الرابعة والنصف صباحًا. فتحتُ برنامج الاتصال لأجد دائرة (دورا ريكسي) - (آليكس) - خضراء، الحمد لله! لم أنتظر لحظة واتصلتُ بها على الفور، احتجتُ لعقلٍ آخر ليساعدنا في حل هذا اللغز اللعين! انتظرتُ ردَّها والرنين يزيدني توتُّرًا وقلقًا، أرجوكِ أجيبي. قميص النوم الأزرق وشعري الأسود الفوضوي وجانباه المحلوقان، كانت كفيلة بإرعاب أعتى وأشجع البشر، وجهي كان شاحبًا مُتعبًا، وكيف لهُ أن يبدو طبيعيًّا جميلًا بعد ذلك اليوم الجحيمي الذي عشناهُ منتظرات إنقاذ (سارة) لنا... لنتفاجأ في النهاية بأن لا أمَّ لنا!

"ألوو!"

ظهر صوت (آليكس) ليكون بمثابة أكسجين الحياة الذي ملأ رئتيَّ وأنا أتنهد. هرعت (جيني) نحوي وجلست بجانبي، لتظهر بوجهها الشاحب هي الأخرى في الكاميرا.

"ألو، هل تسمعينني؟"

سألتُ مقطبةً حاجبي. لم تكن صورتها تظهرُ لدينا، شاشةٌ سوداء فقط.

"انتظري، أعتقد أن الكاميرا عندي مُقفَلة"

قالت (آليكس).

انتظرنا لحظاتٍ ونحن نسمع وقع أناملها على لوحة المفاتيح بسرعة، ثم ظهرت على الكاميرا بعد ذلك. ويا للمفاجأة، لم تقِلَّ عنَّا تعبًا وإرهاقًا كما أظهرت الجفون السفلية السوداء تحت عينيها، وشعرها الأحمر القاتم الذي كان كالمكنسة! بالكاد كانت تفتح عينيها العسليتين، كما كنّا نكافح أنا و(جيني) لفتح عيوننا.

"ما الذي حدث؟!"

سألتُها مقطِّبةً حاجبي.

"ما الذي حدثَ لكُما أنتما؟!"

سألتْ وهي تعدِّل جلستها، وتفرُك عينيها.

أطلقتُ تنهيدةً عميقة، ونظرتُ لـ (جيني)... من أين أبدأ وأين أنتهي؟ لا يوجد أي طريقة سهلةٍ لتوصيل الخبر الصاعق لها... ما الذي مرت به هي أصلًا؟!

"انطقي! ما الذي حدث لكما؟"

"(آليكس)، ما سأقوله لن يكون منطقيًّا على الإطلاق، وليست هناك طريقة سهلة لإيصاله... أتانا جيش (الأسمى) وحاصر فندقنا منذ أربعٍ وعشرين ساعة و..."

"ماذا؟!"

صرخت (آليكس)، وعيناها تكادان تخرجان من

مكانهما.

"د.. دعيني أُكمِل واسمعيني للنهاية. هم يقومون بجولاتٍ الآن حول فنادق (الأسوأ) كلها، يأخذون عيّناتِ لُعابٍ من جميع السكان ليقارنوها مع جثة أمي... وقد أخذوا عيناتنا قبل أربعٍ وعشرين ساعة وظهرت النتيجة سلبيَّة ورفعوا الحصار"

كانت تلك كميةَ معلوماتٍ كبيرةً ليستوعبها أذكى شخص في آنٍ واحد! أقسمُ أنّي كدتُ أرى خلايا الدماغ تخرجُ من أذني (آليكس) وقت سماع كل ذلك. صمتتْ طويلًا وهي تفكِّرُ وتفكِّر، بل إنها كانت تحرِّكُ شفتيها بين الفينة والأخرى... تحدِّثُ نفسها. استمرَّت في ذلك حتى وجدت أقرب حلٍّ منطقيٍّ ورمت به:

"لعلَّ خطأً طبيًّا حدثَ وأنقذكما! هل خرجتُما من الفندق؟"

قالت وهي تعدِّل قميصها الأحمر.

"الحمض النَّووي لا يخطِئُ أبدًا!"

قلتُ جملتي تلك لأعيد خلايا دماغها للعملِ بأقصى سرعةٍ مرةً أخرى، وكأنها أخذت فترة استراحة قصيرة وعادت.

"يمكنُ أن عيِّناتنا اختلطتْ بعيِّناتٍ أخرى فتسجَّلت أسماؤنا تحتَ نتائج أخرى ليست لنا!"

قالت (جيني) وهي تهرُشُ رقبتها وتنظرُ إلي.

بدا قولها منطقيًّا للغاية! كيف لم أفكر بهذا؟! يا لغبائي... كان الحل أمام عيني مباشرةً لكني ظللتُ أبحثُ بعيدًا. يمكنُ أن نتائجنا أصبحت تحت أسماء أشخاصٍ غيرنا، ونتائجُ لخص أشخاصٍ آخرين جاءتنا.

"ممكن!"

قلتُ وأنا أضع راحة يدي على ذقني.

"انتظري انتظري، إذا كان هذا صحيحًا... فلِمَ رفعوا الحصار؟! ألم يكن من الجدير بهم أن يمسكوا بالشخصَينِ اللذَين أخذا نتائج لخوصاتكما بل ويعلنوا أسماءهما في التلفاز؟"

قالت (آليكس)، لتدمِّر النظرية التي أراحت قلوبنا لوهلة... تدمرها بالكلية!

تذكرتُ بعدها شيئًا مُهِمًّا... إذا جاءنا جيش (الأسمى) وحاصر فندقنا، ألن يجيء دور فندق (آليكس) قريبًا؟! ماذا لو كانت هي ابنةَ أمي فعلًا؟

"(آليكس)! خذي أغراضكِ واخرجي من الفندق بسرعة حالًا"

"نعم؟ لِمَ؟!"

"أ..."

كدتُ أن أشرح لها لكنها فهمت ما كان ينتظرها بعد تحليلٍ بسيطٍ منها، قامت مفزوعةً مرتبكةً وتركت المحمول

مُلقًى على الأرض.

"اللعنة... اللعنة... اللعنة!"

قالت وهي تجري نحو غرفتها، وقد رأينا سروالها الداخلي البنفسجي بعد أن وضعت الكمبيوتر على الأرض. كان شكلُها مُضحِكًا لكن لم نملك الجُرأةَ على الضحك لهيبة الموقف والخوف والقلق.

**"لا تدعي أيَّ أثر لكِ على الإطلاق وإلا سيشقُّون الأرض بحثًا عنكِ!"**

صرختُ عليها وأنا أعدِّلُ نظارتي الزهرية المشطوبة.

لا أستطيع وصف الحالة التي كان يعيشها عقلي، يرمي تحليلاتٍ ونظرياتٍ تارةً، وتارةً يفكر بمكانٍ لتختبئ فيه (آليكس)! خرجت من غرفتها وهي تَسحبُ شنطتها بسرعة، بدأت تلتقطُ الملابس المتناثرة على الأرض في صالتها. شدَّ انتباهي وقتها قوارير فارغة كانت على الطاولة في صالة غرفتها، كان شكلها مألوفًا بالنسبة لي. أين رأيت هذه القوارير الزجاجية من قبل؟

قاطع تفكيري صوتُ إشعارٍ من الكمبيوتر، ليزيد الأمر تعقيدًا علينا! دائرة (هيزيل كويري) - (آفا) - انقلبت للون الأخضر، كيف سنشرح لها كل ما حصل و(آليكس) عليها مغادرة الفندق فورًا؟!

عادت (آليكس) إلى المحمول وهي تتصبَّبُ عرقًا،

وأنفاسُها تتقطع ودقات قلبها تتسارع. اتصلت (آفا) علينا، ولم نعرف أنردّ عليها أم لا!

"اسمعي، أغلقي اللابتوب الآن واهرُبي على الفور. من الأفضل أن نشرح لـ (آفا) الموضوع وحد..."

توقفتُ عن الحديث وتسمَّرتُ في مكاني، فقد اخترق أذني وقتها صوتٌ أميّزهُ بل حفظتهُ مؤخرًا! كان ذاك صوت الطائرات المروحية قادمًا من كمبيوتر (آليكس)، تركتِ الكمبيوتر على الفور وتوجهتْ للنافذة... لتضع يدها على فمها وتتجمد في مكانها. لم أعد أعرف ما أفعل وقتها حرفيًّا... فقط نظرتُ لـ (آليكس) وهي ترى الطائرات وسيارات الدفع الرباعي السوداء -على ما أعتقد- تحيط بفندقها.

صوتُ رنينِ مكالمة (آفا) من جانب.

نظراتُ (آليكس) المرتعدة القلقة من جانب.

أنفاسُ (جيني) المتسارعة من جانب.

وأخيرًا تلك النظريَّات اللعينة التي ملأت عقلي!

جثتْ (آليكس) على ركبتيها وكأنها تستسلمُ للطائرات ولسان حالها يقول: "خذوني... خذوني فقد سئمت وتعبت من حياة الهرب والخوف الملعونة هذه!"

**"اسمعي، اسمعي. دعيهم يأخذوا العيِّنةَ فنتائجُ الفحص لا تظهر إلا بعدَ أربع وعشرين ساعة كحد أدنى. وسنفكر في**

حلٍّ بعد ذلك"

صرختُ بأعلى صوتي لدرجة أني شعرتُ بقلب (جيني) يسقط فَزَعًا.

أومأتْ (آليكس) برأسها وراحت تأخذ أنفاسًا عميقةً متقطعة.

"الآن أغلقي اللابتوب وارتدي بنطالًا مناسبًا، وحاولي الحفاظ على رباطة جأشك"

قامت (آليكس) وجسدها يرتجف بالكامل، وتوجهت إلى المحمول لتغلقه.

تذكرتُ بعدها أين رأيت القوارير الفارغة على الطاولة خلفها، هي قوارير البيرة أنفسُها التي نراها في الأفلام! هل كانت هذه الحمقاء تُعاقِرُ الخمر؟ لم أكُن لأوبخها الآن... فلدينا ما هو أدهى وأَمَرّ!

غادرت (آليكس) المكالمة ولم يكن لدينا وقتٌ لنضيعه، فعلينا تجهيزُ وتحذيرُ (آفا) من الخطر ذاته. كُنَّا كأولئك الرُّسل في الأفلام التاريخية، نهرعُ لسُكَّان القرية... كي نحذرهم من غزو العدو!

## العاصمة (أونيزم)، دولة (سويفين)

## سبتمبر، 1970

# الفصل الثامن والعشرون

الجداجِدُ(2) السوداء كانت تغازل بعضها والرِّيَاح تشتدُّ تلك الليلة، وكأنهم يتحدّون صوت الرياح. القمرُ بدرٌ يصافحُ غيوم السماء الكثيفة... وكأنه يرحب بهم بعد أن تنبَّأ بمطرٍ غزير. طبعَ الفتى خطواته على التربة الناعمة لحديقة المنزل الأمامية، وهو يمشي حامِلًا كيسًا أبيض. معطفهُ الأصفر المقاوم للمطر جعل التعرف على ملامح وجهه مستحيلًا. طرق الباب برقَّة وهو يتلفَّتُ يمنةً ويسرة، لِتقعَ أضواءُ المنزل البيضاء على وجهه الأسمر.

"لا جديد، (تشارلز) آخر من يصِل!"

امتعضت فتاة -بدت في سنوات المراهقة- وهي تفتحُ الباب وتتكئُ بكوعها على الجانب، حاجبةً الطريق. شعرُها الأشقر المجعد الطويل وعيناها الخضراوان مع بشرتها الناعمة البيضاء... شكَّلت فتاةً لطيفةً جميلةً لا تقوى العين على مفارقتها!

"كنتُ مشغولًا بإحضار هذا للأميرة (فيوليت)"

ردَّ (تشارلز)، مُنحَنيًا ليُدخِل يدهُ في الكيس ويُخرِج منه وِشاحًا ريشيًّا زهريَّ اللون. وضعهُ حول رقبتها وعاد بِضع خُطواتٍ للوراء، ولسانُ (فيوليت) عاجِزٌ عن الكلام.

"يا إلهي... كم هو جميلٌ وفاخِر!"

صرخت (فيوليت) وهي تتلمَّسُ الوشاح وتتحسَّسُه.

تناغمَ الوِشاحُ تمامًا مع تيشيرتها الأبيض المرقط بالزهري وشعرِها الأشقرِ الذي لامس أطرافه. ركضت (فيوليت) بقوة نحو (تشارلز) واحتضنتهُ لدرجة أنهما كادا يسقُطان أرضًا.

"شكرًا يا ألطفَ رجلٍ في الكون كله"

قالت وهي تلامِسُ وجهه بإصبعها، وأظافِرُها قد تلونت بالطلاء البنفسجي.

"أيُّ شيءٍ من أجل أميرتي"

قال وهو يتبسَّمُ بوجهها ويداعبُه.

"آخخخ، اعثرا على غرفةٍ وتغزَّلا ببعضكما البعض كيف شِئتُما! لا تزعجانا بهذا الغزلِ الرَّخيصِ هنا"

أتى صوتُ فتاةٍ متذمِّرةٍ من الأعلى، نظرَ (تشارلز) و(فيوليت) ليجدا صبيًا وثلاث فتياتٍ ينظرون لهما من نافذة المنزل وهم يتضاحكون... بدوا جميعًا تحت سن المراهقة. تميزت تلك الفتاة عن بقية الصِّبية ببشرتها البنية الناعمة التي زادتها جمالًا مع شعرها البني المجعَّد. ضحكت (فيوليت) قائلةً:

"ماذا؟ أتشعرون بالغيرة؟"

"غيرة؟ منكما أنتُما؟ اصعدا اصعدا، لدينا الكثيرُ لنتحدث عنه أفضلَ من علاقتكما يا طيرَيِ الحب"

صرخ الصبي من الأعلى، كان يرتدي بنطال برمودا

وقميصًا أسود... واضِعًا يَدَهُ حول إحدى الفتيات. جسدهُ النحيل الأبيضُ كان مُثيرًا للشفقة وكأنه لم يأكل منذ أيام. بدأ البقية بالضحك بينما اتجه (تشارلز) و(فيوليت) للداخل.

رُغمَ صِغَرِ المنزل إلا أنه امتاز بطابعٍ كلاسيكيٍّ أنيق، خَلَعَ (تشارلز) معطفهُ الأصفر ووضعه على علَّاقة المعاطف البنية بجانب الباب. طاولة الطعام المستطيلة استقرَّت وسط الصالة التي أطلَّ عليها المدخل، وأمامها إحدى تلك الساعات العتيقة العريقة... التي تحوي بِندولًا بالأسفل يتأرجح باستمرار. على الأريكة الكبيرة الرَّمادية بجانب الطاولة... تمدَّدَ رجلٌ أوضَحَت ملامحُ وجهه الأبيض الشَّاحِب بُلُوغَ أَشُدِّه. كان لا يزال يرتدي بدلتهُ الرسميَّة السوداء... ربطةُ عنقه مالَت للشِّمال... جزمتهُ وجوربهُ الأسودان ما زالا على قدميه... ما زالت ساعتهُ وخاتمهُ على يده... عيناهُ كانتا مُغمضتين ولعابهُ قد سالَ على لحيته التي اشتعلت شيبًا.

"مديرُهُ الأرعن لم يتغير، هاه؟"

قال (تشارلز) وهو يصعدُ الدرج الدائري، مُتأمِّلًا الرجل الغافي على الأريكة.

"لا، بل زادَ عليه التكاليف والأعمال! كل يومٍ يعودُ والدي وهو مُنهَكٌ على هذا الحال، يستلقي على الأريكة وسرعان ما يغطُّ في نومٍ عميق"

تنهدت (فيوليت) وهي تنظر للأمام، صاعِدَةً الدرج بسرعة، مُمسِكةً وشاحها الريشي الزهري.

"مسكينٌ يا سيد (روبرت)، لا تستحق كل هذا العناء"

قال (تشارلز) وهو يشيح بنظره للأمام ويصعد بسرعة، ليواكب (فيوليت) التي سبقته.

لم يحوِ الطابقُ الثاني الكثيرَ من الغرف، ثلاثًا فقط... على اليمين واليسار والأمام. وصلَ (تشارلز) و(فيوليت) للطابق الثاني واتجها للغرفة القابعة على اليسار، لم يضيِّعا ثانيةً أخرى في الحديث... أظهر استعجال (فيوليت) أن هناك أمرًا غايةً في الأهمية. كان الفتية بانتظارهما في الغرفة، كلٌّ منهم في زاوية... الفتاةُ السمراءُ كانت تعبثُ بأحد أدراج الغرفة، والصبيُّ الذي كان يرتدي القميص، جَلَسَ على السرير بجانب فتاة لمعتْ عيناها الزرقاوان تحت إضاءة الغرفة الحمراء الخافتَة. أمَّا الفتاةُ الأخيرةُ فقد اتَّكأت على الحائط، وهي تتلاعبُ بخُصلِ شعرِها الأسود الطويل المجعد... ملامحُها الجادَّة منحتها هالةً من الهيبة رغم صغر سنها. دخلَ (تشارلز) و(فيوليت) الغرفة وأغلقت (فيوليت) الباب خلفهما.

"(ثلاجات جاينتس)... جودةٌ عالية، توفيرٌ مثاليٌّ للكهرباء، وسعرٌ خيالي!"

هيمنَ صوتُ المسجِّلة في أنحاء الغرفة... وزمجرةُ الرِّياح تتخلَّلهُ وسط الصمت المُطبِق الذي خيَّم. وضع (تشارلز)

الكيس تحت النافذة المفتوحة وارتمى على أريكة الاسترخاء، بينما اتكأت (فيوليت) على الحائط بجانبه.

"أمتيقّنةٌ أنكِ فتاة؟ حجرتك تذكرني بحجرة جدتي!"

قالت الفتاة السمراء وهي تضحك.

"(سارة)... يا من تقطرين أنوثةً ولطافةً ودلالًا، أتريدين مني تحويلها لغرفةِ أميراتٍ طفوليةٍ سخيفةٍ كغرفتك؟"

تهكّمت (فيوليت) وهي تفرقِعُ أصابعها. ضحكَ الفتية كلهم بلا استثناء... حتى تلك الصبيّة التي بدت جادّةً للغاية. ردّت (سارة) وهي تنظرُ لأظافرها وتتفحصها:

"على الأقل لستُ من..."

"هل استطعتَ إحضارَ الكتاب؟"

سألت الفتاةُ جادّةُ الملامح وهي تلاعبُ شعرها.

أومأ (تشارلز) برأسه قائلًا:

"بعد عناءٍ ومشقة مع أمينة المكتبة العجوز وبعد ملايين التحذيرات وخطوات الاستعمال وافقت على إعطائي إياه، أغرب تلك الخطوات أن نتركَ النافذة مفتوحة وقت القراءة!"

بدأت (فيوليت) بالضحك بهستيريا... لحظاتٌ وصفعت الرياح النافذة بقوة أفزعت الجميع، وبدأت تتلاعب بالأوراق الموجودة فوق مكتب (فيوليت) وكأنها تردُّ على

ضحكتها بغضب! أغلقت (فيوليت) النافذة بسرعة... قبل أن تعيث الرياح في الغرفة خرابًا.

"يا رفاق... أرجوكم لِنَنسَ أمر هذا الكتاب اللعين! يجبُ ألّا نرمي بأنفسنا للهلاك"

قال الصبي بارتجاف... وهو يتأمل النافذة بعينين قلقتين.

"(بليد)... (بليد)... (بليد)، كم مرة أقول لك إنها خرافاتٌ لا تمت للواقع بصلة! إن كنت خائفًا فعُد لبيتك أيها الطفل"

امتعضَ (تشارلز)، مُخرِجًا كِتابًا بنيًّا، جالِسًا على الأرض.

خلقت الرياح الشديدة وصوت المذياع الذي تخلل محادثات الصبية جوًّا غامِضًا غريبًا، وَضع (تشارلز) الكتاب البني على الأرض... ليظهرَ عنوانه الأحمر: "جزيرتهم التي تطفلنا عليها!"

لَحِقَ الجميع (تشارلز) على الأرض وكوَّنوا حلقةً حول الكتاب، متأملين غموضَهُ وضخامتَهُ... وعنوانُه الأحمر قد كُتِبَ بخط اليد!

"نبدو وكأننا في جلسة تضحية لعبدة شياطين"

قالت الفتاة ذات العيون الزرقاء تاركةً يد (بليد) لتتلمسَ الكتاب.

"لا تتكلمي هكذا... (مالوري)! لم..."

"بووووو"

صرخت (فيوليت) في أذن (بليد) الذي ارتعدت فرائصه وقفز قلبهُ من مكانه. صفع نخذها بعنف، عابِسًا.

"متى ستتخلون عن تصرفات الأطفال هذه؟!"

قالت الفتاة الجادَّة وهي ترمق (فيوليت) بنظرة حادة.

"(جريس) هادمة اللذات، كالعادة"

امتعضت (فيوليت) وهي تشيحُ بنظرها عن (جريس)، مُتحسِّسَةً وشاحها الزهري.

"ما الفائدة من قراءته إذا كان مجرد خرافاتٍ عن (الجزيرة المجهولة)؟"

تساءل (بليد)، ناظِراً إلى (تشارلز).

لم يَرُدَّ (تشارلز) عليه وفتح أولى صفحات الكتاب، اقترب الجميع ليتمكنوا من القراءة بشكلٍ جيد.

"(الجزيرة المجهولة)، أو بالأصح... (الجزيرة المسروقة)! أمعقولٌ أنْ..."

قاطع قراءة (فيوليت) هزيمُ رعدٍ مدوٍّ ليخلع قلوب الجميع ويزيد من التوتر! سكتت للحظةٍ حتى تلتقط أنفاسها وهي تُمسِكُ قلبها بكلتا يديها، ثم أكملت ببُطء:

"أمعقولٌ أن توجد جزيرةٌ بأكملها ويكتشفها البشر للتو؟ أم أنها جزيرةٌ من عالمٍ موازٍ؟"

كانت تُحِدُّ النظر في العِبارة التي كُتِبت بخط يدٍ صغيرٍ أسود، نظر الفتيان لبعضهم في حماسٍ يشوبهُ خوفٌ وغموض... إلا (بليد) الذي اعتراه الخوف بالكامل، خصوصًا بعد اقتحام الرعد أجواء المنطقة.

"احترتُ كثيرًا قبل كتابة هذا الكتاب، وقضيتُ الكثير..."

"خبر عاجل... خبر عاجل... خبر عاجل"

حوَّل الجميع مسامعهم وأنظارهم للراديو وهرعت (سارة) لترفع الصوت.

"صاحب الجلالة (تومسون) ملكُ (بريجيرا) يُعلِنُ نتيجة آخر الأبحاث والدراسات التي أُجرِيَت على (الجزيرة المجهولة) والتي قام عليها نخبةٌ من علمائنا... وملخصها فيما يلي:

أولًا... (الجزيرة المجهولة) مليئةٌ بالغاز السام القاتل في جميع أرجائها، مما يجعلُ العيشَ فيها مستحيلًا!

ثانيًا... يتم إغلاق (الجزيرة المجهولة) نهائيًا ويُمنَع الدخول إليها إلى أجلٍ غير مسمًى...

"اللعنة!"

نطقَ (تشارلز)، بعينين فُتِحتا على مصاريعهما.

"هذا مستحيل! مستحيل! كيف؟!"

صرخَ (تشارلز) وهو يقوم من الأرض، راكِلًا الكتّاب بقوة.

"هدِّئ من روعِك يا عزيزي، قد لا..."

"ششششششش"

أصمتَت (جريس) (فيوليت) وهي تقتربُ من المذياع بجانب (سارة).

"ثالثًا... يتم تعيين العالِمَين (مايكل) و(كريستوفر)، مشرفين على ملف (الجزيرة المجهولة).

رابعًا وأخيرًا... يتمِ وضعُ غرامة قدرها عشرة آلاف دينارٍ ذهبي على من يُحاوِلُ دخول (الجزيرة المجهولة) دون تصريح من جلالة الملك (تومسون)"

عمَّ الغرفةَ الصمت... لم ينطِق أحدٌ من الفتيان بحرف. زمجرَ الرعدُ مرةً أخرى، لكن تلك المرة لم يحرِّك أيٌّ من الفتيان ساكِنًا! (تشارلز) وقفَ على النافذة مُحدِّقًا بصمت، واضِعًا يديه في جيبَيْ بنطاله. عقدت (جريس) ساقيها بجانب المذياع وهي تنظرُ للأرض بملامح وجهٍ باردة. وقفت (سارة) بجانبها وهي تقضمُ أظافرها، ناظرةً إلى (تشارلز). أما البقية فجلسوا على الأرض... ناظرين لبعضهم بإحباطٍ ويأس. لم يعرِف أحدٌ ما يقول... لذا كان الصمتُ هو الحلَّ الوحيد.

الرياحُ تشتد، الرعدُ يهزمُ بين الفينة والأخرى، وعقول

الفتيان تَسبحُ بعيدًا... بعيدًا جدًّا... على سواحل (الجزيرة المجهولة) المتجمدة.

العاصمة (أونيزم)، دولة (سويفين)

يوليو، 1975

# الفصل التاسع والعشرون

اكتظَّ الشارعُ الضيق بالمارة والسيارات، وكأن سكان المدينة كلهم اجتمعوا فيه. عرباتُ طعامٍ استقرت على جانبي الطريق، باعةٌ متجولون أزعجوا الجميعَ بترويجهم لسلعهم... هذا يبيعُ ملابس والآخر يبيع كتبًا مستعملة، أطفالٌ يلاحقون بعضهم بعضًا وصراخهم ملأ الأرجاء. الشمسُ قاربت على المغيبِ ليتولى القمرُ وأضواءُ الشارعِ البيضاءُ مسؤولية الإنارة.

"تبدو وكأنها مدمنة مخدرات في البطاقة"

قالت (سارة) بضحِك، ناظِرةً لبطاقة الهوية التي حملتها (فيوليت). كانتا تقفان مع بقية الفتية على قارعة الطريق، أمام محل تموينات غذائية.

"على الأقل لدي بطاقة هوية وأستطيع فعل ما يحلو لي، أما أنتِ فما زلتِ طفلةً لا يُسمح لكِ بشراء الحلوى!"

ضحكت (فيوليت)، وهي تعدل وشاحَها الريشيَّ الأزرق. انفجرَ الجميعُ ضاحكين، إلا (جريس) كالعادة.

"تكبرينني بأربع سنواتٍ فقط ولا يقاس الإنسان بالعمر بل بالعقل، وعلامَ تضحكون أيها الحمقى؟ لم يبلغ أحدٌ الثامنة عشرة سواها"

امتعضت (سارة) بعبوس ناظِرةً لأظافرها المطلية باللون الأحمر.

"لا وقتَ لدينا لنضيِّعهُ، سنكون في الحديقة بانتظارك"

قال (تشارلز) بصوتٍ غليظ، مفرقِعًا أصابعه.

وضعت (فيوليت) بطاقة هويتها في جيبها ولفَّت وشاحها حول رقبتها بإحكام، ثم تحركت نحو محل التموينات الغذائية على الجانب الآخر من الشارع.

**"لا وقتَ لدينا لنضيعهُ، سنكون في الحديقة بانتظارك"**

قال (بليد) مُقلِّدًا نبرة (تشارلز) الغليظة، مُلتفًّا ليمشي في الاتجاه المعاكس.

مشت (مالوري) بمحاذاته وهي تضحك، ولحقهما (سارة) و(جريس) و(تشارلز).

"أتسخَرُ من نبرتي أنتَ ونصفُ الشارب هذا الذي على وجهك؟"

ضَحِكَ (تشارلز)، صافِعًا قفا (بليد) برفق.

"بالمناسبة، أين سنشربُ البيرة؟ أرجوك لا تقُل لي في قبوك الكئيب!"

غيرت (سارة) الموضوع، ناظِرةً إلى (تشارلز)، واضِعةً يديها في جيبَيْ سترتها المصنوعة من الجينز. تناسبت سترتها مع بنطالها الأزرق وقميصها الرمادي، لتُعطِيها مظهرًا عصريًّا.

"قبوُ (تشارلز) هو المكانُ الوحيد الذي لن يفتضح فيه

أمرنا"

نطقت (جريس)، مُمَرِّرَةً يدها خلال شعرها الأسود المجعد. قميصُها وبنطالها الأسودان جعلاها تبدو كسيدةٍ في العشرين مع طولها الشاهق. رُغم أن (جريس) هي الأصغرُ سنًّا و(سارة)، إلا أن (جريس) كانت الأعقل بينهم.

تنهَّدَت (سارة) تنهيدةً عميقة، ومشى المراهقون في صمت... بين الخلائق الجمَّة في ذلك الشارع. والشمسُ تهبِطُ شيئًا فشيئًا، تسللت الرياح اللطيفة للمنطقة... مما جعل الجوَّ رائعًا تلك الليلة.

فجأة... انطلقت صافرات الإنذار المدوية! لحظاتٌ فقط ودخلَ الناس في حالةٍ من الهلع والجنون، الأطفال بدؤوا بالبُكاء واعتلت أصوات أبواق السيارات! بدأ الناس بالجري والتخبُّطِ في الأرجاء، مما جعلَ الحركة في الشارع صعبةً بل أشبه بالمستحيلة. تجمَّد الفتيان في أماكنهم والناس حولهم يركضون ويدفعهم هذا ويصطدمُ بهم ذاك، لم يعلم أحدٌ منهم كيف يتصرف من الصدمة... لم يسمعوا هذه الصافرات في حياتهم ولا يعلمون المغزى منها!

**"على الجميع إخلاء الشوارع فورًا والتزام منازلهم.**

**على الجميع إخلاء الشوارع فورًا والتزام منازلهم.**

**على الجميع إخلاء الشوارع فورًا والتزام منازلهم، هذه الأوامر صادِرةٌ من الملك (آكتون)"**

اخترقَ الصوت طبلات الآذان وسط صافرات الإنذار المروعة. حينها فقط فهم المراهقون ما عليهم فعله، لكن بقي سؤال واحد... لِمَ أصلًا يُخْلون الشوارع ويلتزمون البيوت؟!

**"ما الذي تفعلونه؟ لنتحرك هيًّا!"**

صرخت (فيوليت) وهي تجري نحوهم برعب وهلع، متخطِّيَةً المارة. أنقذتهم تلك الصرخة وأيقظتهم من غفلتهم، وقد كانوا في أشد الحاجة إليها.

"سنذهب لبيت (تشارلز) فهو الأقرب لنا، لا يوجد وقت للتفرق حتى..."

**"على الجميع إخلاء الشوارع فورًا والتزام منازلهم.**

**على الجميع إخلاء الشوارع فورًا..."**

**"سنمسك بأيدي بعضنا حتى لا يضيع أحد، تشبَّثوا جيدًا!"**

صرخ (تشارلز) وهو يمسك بيد (جريس)، لتمسك هي الأخرى بيد (فيوليت) التي أمسكت بيد (سارة)، انتهاءً بـ (مالوري) و(بليد). بدؤوا بالركض كبنيانٍ مرصوص، غير مهتمين ما إذا دفعوا أحدًا أو أسقطوه أرضًا!

صرخات الناس، وصافرات الإنذار، وأبواق السيارات... كان بإمكانها إيقاظ الموتى بدويِّها! الناس يتصادمون بعضهم ببعض ولا يبالون، كلٌّ يريدُ الوصول لبيته في أسرع وقت. أكملَ الفتيان ركضهم، متشبِّثين

ببعضهم بشدة وكأن حياتهم تعتمد على التشبُّث. وصلوا لحديقةٍ على اليمين ودخلوها على الفور. فضّت سارة التشبُّث وانحنت على ركبتيها لتلتقط أنفاسها. كانت الحديقة الصغيرة فارغةً تمامًا مما أعطى بقية الفتيان الفرصة لالتقاط أنفاسهم أيضًا. نظرت (سارة) للشارع وراءها لترى الفوضى العارمة التي حلَّت عليه، استنفار من الجميع... حتى كلاب الحي بدأت بالنباح! كأن العالم انتهى، والساعة قامت.

**"هيا! البيت قريبٌ جدًّا، لا وقت لدينا نضيعه"**

صرخت (جريس) ووجهها يتصبب عرقًا. كان على الجميع الصراخ حتى يسمع بعضهم بعضًا وسط صافرات الإنذار.

عاد الفتية لتشكيل الصف القويم، واخترقوا الحديقة جريًا. التفُّوا لليمين ثمَّ لزقاقٍ ضيقٍ في اليسار، ليواجهوا أمامهم زوجَينِ في مقتبل العمر. كانا يقفان على ناصية الباب وقد ارتسمت عليهما ملامح الارتياح حين رؤية الصبية.

**"الحمد لله أنكم بخير، ادخلوا سريعًا!"**

صرخت الآنسة الأنيقة السمراء وهي تُفسِحُ لهم الطريق للدخول للمنزل، كانت لا تزال ترتدي مئزر المطبخ الوردي ويداها مبللتان.

**"ما الذي يحدث يا أبي؟!"**

صرخَ (تشارلز) ناظِراً إلى السيد الأسمر الواقف بجانب الآنسة.

**"(والتون) ملكُ (ديستينيجا) يهاجمنا، لا وقت للشرح ادخلوا الآن"**

دخل الفتيان كلهم المنزل على الفور وقبل أن يُغلِقَ السيد الباب خلفه، دوى صوتٌ جمد الدم في عروقه.

صوتٌ أقوى من صافرات الإنذار المدوية، سمعهُ كلُّ سُكَّانِ الحي... إن لم يكُن كل سكان مدينة (أونيزم) حتى!

صوت أشبه بـ... صاروخ.

# العاصمة (أدوريس)، دولة (ديستينيجا)

## يوليو، 1975

# الفصل الثلاثون

أحاط آلاف الجنود المتّشِحين بالسواد بالقصر، مع عشرات الطائرات المروحية التي تحركت أضواؤها حول المناطق المحيطة بالقصر... بعد أن أسدَل الليل أستارهُ وغابت الشمس. بدت المساحة السفلية من القصر سوداء قاتمة... واختفى لون القصر الأبيض بين لباس الجُند الأسود. أُحيطَ القصرُ بسبعَةِ أسوار سوداء، استقرَّ عليها عددٌ غيرُ قليلٍ من القنّاصين المدرَّبين. لم يقتحِم ذلك القصرَ أحدٌ منذُ بنائه، بل لم يجرؤ حتى! بدا القصرُ وكأنهُ يُخبِرُ الجميع: "من هانت عليهِ روحهُ فليقترب"

انطلقت سيَّارةٌ حمراءُ باهِظةُ الثمن نحو أول سور من أسوار القصر، وكأنها تتحدى كل الحراسات المشددة. هدأت سرعتها حين اقتربت من بوابة السور، وصُوِّبَت أسلحة الجنود والقناصين عليها. أيُّ قلبٍ يملِكُهُ سائق تلك السيارة؟!

توقفت السيارة تمامًا حين وصولها للبوابة، وانخفضت نافذة السائق. توجهَ نحوهُ اثنان من الجنود وهما يصوِّبان سلاحَيهِما نحو السائق، مُقتربين بحذر.

**"أفسحوا الطريق أيها الحمقى! معي الوزيرُ (مانويل)!"**

صرخَ السائق مفتولُ العضلات، وهو يُخرِجُ رأسهُ من النافذة.

"يجبُ تمرير جهاز البصمة على جميع الداخلين للقصر، هذه أوامر صاحب الجلالة!"

قال الجندي وهو يقترب من نافذة الراكب الخلفية، مُخرِجًا جهاز البصمة من جيبه، بينما بقي الآخر ممسكًا بسلاحه.

"آخخخ، (والتون)!"

ظهر صوتٌ رقيقٌ من الخلف، والنافذة الخلفية تُفتَح مُظهِرةً شابًّا أنيقًا كَسَتهُ بدلةٌ رسميةٌ زرقاء. لم يكُن بمقدوره أن يُصبحَ أكثر أناقةً مما كان عليه، حتى رأسُهُ الأصلع لاءم وجههُ الأسمر البيضاوي!

أخرج يدَهُ اليمنى وساعتُهُ الذهبيةُ تبرُق مع خاتمه، وضعَ إبهامهُ على جهاز البصمة الذي حمله الجندي، مُطلِقًا تنهيدةً عميقة.

"اسمحوا لهُ بالدخول إلى القصر مباشرةً!"

قال الجندي واضِعًا جهاز البصمة في جيبه، متحدِّثًا بجهاز الاتصال اللاسلكي.

تنحَّى الجميع جانبًا وتحركت بوابة السور لليمين إلكترونيًّا. لم يُضيِّع السائق ثانيةً واحدةً وقاد بأقصى سرعة، مُتَّجِهًا نحو بوابات الأسوار الستة المتبقية التي كانت تُفتَحُ هي الأخرى.

اجتاز السائقُ الأسوارَ في ثوانٍ معدودة، ودواسةُ الوقود

تكادُ تُكسَر من شدة ضغط قدمه عليها. لم يكترث لأمر الجنود الذين كانوا في طريقه، كان ليدعسهم إن لم يتنحوا جانبًا.

داسَ على المكابح بأقصى قوة عندما وصلَ لبوابة القصر، بعد أن اعتقد كل الجنود أنهُ سيصطدمُ بها لا محالة!

خرجَ الوزيرُ (مانويل) من السيارةِ مُظهِراً جسدَه العضلي وطولَه الشاهق، وركضَ نحو البوابة... دون أن يُغلق الباب. وجَّهت إحدى المروحيات كشَّافها الأبيض على (مانويل)، وتبعهُ الكشاف وهو يركض بأقصى سرعة، مُضيِّقًا عينيه.

"سيدي الوزير، هل..."

"فقط أخبرني أين (والتون)؟"

قاطع الخادمَ الذي وقفَ أمام بوابة القصرِ صارخًا بصوته الرقيق.

"غُـ.. غُـ.. غُرفة العمليات (ج) خـ.. خلف السلالم. هل تُريد..."

ركضَ (مانويل) داخلًا القصر، عابِسًا... شادًّا فكَّيه. بدا الأمرُ كما لو أن حياتَهُ تتعلقُ بسرعة ركضه، إن حاول التباطؤ فسيتوقف قلبه تدريجيًّا!

امتلأ القصرُ بعشراتِ الغرف يمنةً ويسرةً، وانتصفَت السلالم بينها. الأضواء البيضاء أنارت القصر بشدَّة، لدرجة

أنَّ (مانويل) ضيَّقَ عينيه مرةً أُخرى فور دخوله.

تجاوز الدرجَ وانطلق نحو إحدى الغرف التي استقرت على الشِّمال، خلع معطفهُ سريعًا ورماه على إحدى الخادمات الواقفات أمام الغرفة... والعرقُ قد بلَّ جبينه ووجهه.

"سُحقًا (والتون)! ماذا فعلت؟!"

صرخَ (مانويل) بأعلى صوته وهو يدخلُ الغرفة، ناظِرًا إلى الرجل العجوز الأسمر الذي جلس على الكرسي في آخر طاولة الاجتماعات المستطيلة. كان يرتدي بدلةً رسميةً سوداء واسعة، والشيبُ قد ملأ رأسهُ ولحيته. بدت عليه الحكمة والوقار، تمامًا كأولئك الملوك الطيبين في القصص الخيالية. جلسَ حولَهُ إلى تلك الطاولة مجموعةٌ من القادة العسكريين والحاشية، بمختلف الأعمار والأحجام.

رفعَ نظرهُ إلى (مانويل) بحدة، آخِذًا نفسًا عميقًا، قائلًا:

"فعلتُ ما وجبَ علينا فِعلهُ منذ سنوات! استجابةً لأولئك النسوة اللاتي استعبدهن (آكتون)! ألم أقُــ.."

"آخخخخ، أنت وهذه الحُجَّةُ السخيفة! أوقف الهجوم حا..."

"سخيفة؟! لن نتوقف هذه الحربُ حتى أرى رأس (آكتون) يتدحرجُ أمامي!"

قاطع (والتون) (مانويل) وعيناهُ تشتعِلان غضبًا. سعلَ

بشدَّة بعد ذلك الصراخ، أغمضَ عينيه وأخذَ نفسًا عميقًا. هدَّأَ (مانويل) من نفسه والتقط أنفاسه، جالسًا على أحد الكراسي.

"أعلمُ أنك تعتقد أن ما تفعلهُ صواب، لكنك ترتكب خطأً فادِحًا يا (والتون). لن يتردد (الأسمى) في خلعك بعد ما فعلت"

قال (مانويل) بعد أن هدأت نبرتهُ، ناظرًا إلى (والتون) بعينين ملؤهما الرجاء والنُّصح. نبرتهُ الرقيقة جعلت أخذهُ على محمل الجد صعبًا.

"أوتعتقدُ أنِّي سأتخلَّى عن أولئك النسوة الضعاف من أبناء جلدتنا، اللائي يغتصبهُنَّ (آكتون) وقادة جيوشه وكبار دولته يوميًّا فقط للمحافظة على العرش؟! فليذهب العرشُ إلى الجحيم! هل ترضى أن يُفعَل بأمك أو أختك أو أيٍّ من عائلتك ما يُفعَل بهن؟"

قال الملك (والتون)، ضارِبًا الطاولة بقبضة يده.

عَلِمَ (مانويل) حينها أن لا جدوى من محاولة إقناع الملك. سادَ الغُرفةَ صمتٌ مُطبِق، لم يكن لدى أيٍّ أحدٍ ما يقوله. حتى الحاشيةُ لم ينطقوا بحرف... بعد أن استيقنوا أن (والتون) لن يتراجع عن قراره مهما حصل!

"حان الوقت. مُر الجنود باقتحام (زينوسينيس)"

نطق (والتون)، ناظرًا إلى أحد القادة على يمينه.

"لا أعتقد أن الدخول العسكري فكرةٌ سديدةٌ يا صاحب الجلالة، الفر..."

**"اخرس ونفّذ ما أقوله لك!"**

"أمـ.. أمرك يا صاحب الجلالة"

قال القائد بالكاد مُبتلِعًا ريقَهُ، مُخرجًا الجهاز اللاسلكي.

العاصمة (أونيزم)، دولة (سويفين)

يوليو، 1975

# الفصل الحادي والثلاثون

هدوءٌ كذاك الذي يسبِقُ العاصفة، حلَّ على تلك الغرفة... حتى الرياح في الخارج كانت هادئة ولم تصدر أي صوت. جَلَس رجلٌ واضِعًا رِجلًا على رجل، مُعطِيًا الطاولة السوداء المستطيلة ظهره. الفِراءُ الأسود الذي ارتداه مع شعره الأسود الطويل الناعم، جعلاهُ يبدو كفتاةٍ من الخلف. كان يطرق الأرض بهدوء بعكازٍ خشبيٍّ بني، حمله في يده اليُمنى المليئة بخواتم الذهب. يدهُ اليُسرى حملت تفَّاحةً كان يقضمُ منها بين الفينة والأخرى.

بجواره على الطاولة جلَس شابٌّ سمينٌ في مُقتَبَل الثلاثينيات بلباسه العسكري، يتصبَّبُ عرقًا. كان يهزُّ قدمهُ اليُمنى بتوتر عنيف، مُتفقّدًا ساعته بين الحين والآخر.

لم يلتفت صاحبُ الفراء للحظة، بقيَ مواجِهًا الحائط طيلة الوقت... طَرَقاتُهُ على الأرضِ بعُكَّازه زادت الموقف توتُّرًا ورهبة. قضماتهُ المُزعِجةُ العاليةُ للتفاحة التي بيده جعلت الجلوس في الغرفة لا يُطاق.

**"سعادة اللواء، إنهم يقتحمون (زينوسينيس)!"**

ظهرَ صوتُ جنديٍّ مُرتعِب خلال اللاسلكي الذي حملته بدلة الضابط، مُخرِجًا الغُرفة برمتها من حالة السكون الرهيب التي اعتادتها. أمسكَ الضابطُ باللاسلكي مُحمحِمًا حلقهُ، ناظِرًا إلى صاحب الفراء والعرق ما زال يتصبَّبُ من جبينه.

"فلـ.. فلننتظر أوامرَ صاحب الجلالة"

قال اللواءُ بنبرةٍ ملأها التوترُ والقلق. أعادَ اللاسلكي لبدلته وقام من مكانه، مُظهِراً جسدَه البدين.

"سيدي (آكتون)، ماذا نفعل؟! جيشُ (ديستينيجا) يقتحمُ (زينو..."

"دعهُم"

قاطعهُ (آكتون) وهو يلتفُّ بالكرسي بكل هدوء وبرود، ويداه مشغولتان بحمل العصا والتفاحة. كان الملك (آكتون) حليقَ الذقن والشارب، على خلاف شعره الأسود الطويل الناعم الذي انسدل على فرائِه. أخذَ قضمةً أخرى من التفاحة، ناظِراً إلى الأمام.

"ولكِن يا سيدي، سُكَّان (زينوسينس) عُزَّلُ لا حول..."

"ششششششش، استرخِ ودَع إصدارَ الأوامر للملوك... أمثالُكَ عليهم التنفيذ فقط"

قاطعهُ (آكتون) ببروده المعتاد، رامياً التفاحة على الأرض. التفَّ بكرسيه مرةً أُخرى لِيواجهَ الجِدار، عاقِداً رجليه.

"أوامرك سيدي"

قال الضابط جالساً على كرسيه مرةً أخرى، مغلوباً على

أمره.

"دعهُم حتى يدخلَ آخرُ واحدٍ منهم (زينوسينس)، لنُمطِرهم بقذائف من قعر الجحيم... ليعلَمَ (والتون) وغيره أن لحَمَنا مرُّ المذاق!"

قال (آكتون)، طارِقًا الأرض بعكازه بهدوء.

# العاصمة (أدوريس)، دولة (ديستينيجا)

## يوليو، 1975

# الفصل الثاني والثلاثون

"صاحب الجلالة، لقد سيطرَت قواتنا على (زينوسينس) بالكامل... ولم يعترِضهُم أحد"

قال أحد القادة الجالسين بجوار (والتون)، ناظِرًا إليه.

ابتَسمَ (والتون) للحظة، مُعدِّلًا ربطة عنقهِ... ثمَّ تغيَّرت ملامِحهُ تمامًا.

"لم يعترضهم أحد؟ ماذا تقصد؟!"

سأل (والتون)، مقطِّبًا حاجبيه، فاتحًا عينيه على مصراعيهما.

انعقد لسان القائد وهو ينظُر للملك مفزوعًا، والكلمات تأبى الخروج من فمه.

"أجبني!"

"لـ.. لـ.. لـ.. لم يحصل أي اشتباكٍ مع جيش (سويفين) سيدي"

صراخُ (والتون) أجبرَ الكلمات أن تخرج من في القائد، الذي ابتلع ريقهُ بعد جملته تلك.

"اللعنة... إنه فخ، أخبرهم بالتراجع فورًا!"

"سيادة المُشير، إنهم يقصفون جنودنا في (زينوسينس)!"

صرخ أحد الجنود مُرتعِبًا عبر اللاسلكي على بدلة القائد.

"لم يترك لي خيارًا آخر، أخبِر قوات (كوتشينو) باقتحام (سويفين) من الشرق وسنقتحِمُها نحنُ من الجنوب بكامل عتادنا!"

قال (والتون)، قائمًا من مكانه، وعيناه تشتعلان غضبًا.

"الدخول بكامل العتاد سيؤدي لاشتباكٍ عسكريٍّ شرس وخسارةٍ كبيرةٍ في أرواح المدنيّين يا (والتون)"

نطقَ الوزيرُ (مانويل) بنبرته الرقيقة، ورأسه الأصلع يتصبب عرقًا.

"لم يعُد هناك ما نخسره، والاشتباكُ حاصِلٌ سواءً الآن أو لاحِقًا! أعطِ قوات (كوتشينو) إشارة الهجوم، لنُرِي هذا الأحمقَ وضباطهُ طَيفَ كُلِّ امرأةٍ اغتصبوها وكُلِّ شخصٍ سلبوا حقوقه... قبل أن تَخرُجَ أرواحهم من أجسادهم ببُطء!"

العاصمة (أونيزم)، دولة (سويفين)

يوليو، 1975

# الفصل الثالث والثلاثون

"ما زلتُ لم أفهم سبب هذا الهجوم المُفاجِئ!"

قالت (فيوليت)، وهي تتأملُ الأوراق المثبَّتةَ على الحائط القديم المتهالك، ووشاحُها الريشي يُحيطُ برقبتها.

"الملك (والتون) مجنونٌ فحسب، هذا كلُّ ما في الأمر!"

أجابت (مالوري)، مُميلةً رأسها لكتف (بليد) الذي جلس على الأرض.

"لا أعتقدُ أن هذا هو السبب. لطالما كان الملك (والتون) مُحِبًّا لـ (سويفين) ويزورها باستمرار، هناك..."

"يا إلهي! ماذا لو وصلوا لـ (أونيزم) واحتلّوها أيضًا كما فعلوا بـ (زينوسينس)؟ أشعرُ بالخوف وهذا القبو لا يزيدني إلا رُعبًا وتوتُّرًا!"

قاطعت (سارة) (فيوليت)، واضِعةً ذراعيها حول قدميها على السرير القديم الخشبي، وهي لا تزال ترتدي سترتها المصنوعة من الجينز، وعيناها تتفحّصان أرجاء القبو بقلق.

"يا لك من طفلة مدلّلَة... أعتذرُ أن أبي ليسَ ثريًّا كأبيك لنوفِّر لكِ قبوًا فارِهًا!"

انفجرَ (تشارلز) قائلًا بنبرته الغليظة، عابِسًا رامِقًا (سارة) بنظرة حادَّة، حانيًا ظهرَهُ على الجدار بجانب (فيوليت).

صمتَ الجميعُ بعد انفعال (تشارلز) غير المُعتاد، كان القبو الضيق يغرقُ في محيطات الخوف والقلق والرعب! قُصاصات من جرائد ومجلات وكُتب مع الكثير من الصور، كلها تخص (الجزيرة المجهولة)... حدقت فيها (فيوليت) باهتمام على ذاك الحائط -الذي يريدُ أن ينقض- محاوِلةً إلهاءَ نفسها عن جو الرعب الذي سيطر على القبو. حتى (تشارلز) ظهرهُ على الجدار ذاته بجانب الأوراق العشوائية، واضِعًا يديه في جيبي بنطاله الأسود، مُغمِضًا عينيه.

على السجادة القديمة البيضاء التي تلطَّخت بالبقع البنية، جلست (مالوري) مُغمِضةً عينيها ورأسُها مُنحنٍ على كتف (بليد) بجانبها، وكأنها تبحثُ عن الأمان عندهُ. أمَّا (جريس) فقد جلست بجانب (سارة) على السرير، عاقِدةً ذراعيها بملامحَ باردةٍ هادئة على عكس (سارة) وكأنَّ بلادها ليست في حالة حرب تحت القصف. أوحى قميصها الأبيض الواسع مع بنطالها الرياضي بعدم اهتمامها بالأزياء أبدًا.

"العشاءُ جاهزٌ يا أولادا"

صرخت سيدةٌ من الأعلى، بصوت حنونٍ لطيف.

"حاضر، آنسة (رامونا)"

صرخت (فيوليت) وهي تعدل وشاحها.

"لستُ جائعًا، اذهبوا أنتم"

قال (تشارلز) مُتجهِّمًا، مُتجِهًا نحو السرير.

أمسكت (فيوليت) بيده لتوقفه، قائلةً:

"كلنا لم نتناول وجبة الغداء، تعال..."

"دعيني وشأني!"

خرجت تلك الكلمات من فم (تشارلز) بكل فظاظة... مع نبرته الغليظة، وهو يتركُ يد (فيوليت) بعنف.

هزَّت (فيوليت) كتفيها باستغراب واتجهت للأعلى، وتبعها بقيةُ المراهقين إلا (تشارلز) الذي ارتمى على السرير بعبوس. لم يكُن الدَّرجُ أفضلَ حالًا من القبو، ضيقٌ للغاية، قديمٌ متهالك... كتلك البيوت المهجورة في أفلام الرعب.

"لم أقصد الاستهزاء بحالتهم الماديَّة، أُقسِمُ لكُم!"

همست (سارة)، واضِعةً شعرَها المجعد خلف أذنيها.

"ليسَ غاضِبًا بسبب ما قلتِه، مِزَاجهُ متعكِّرٌ وبالُهُ مشغولٌ منذ دخولنا لبيته"

ردَّت (فيوليت) بهمس، مُلقِيةً نظرةً خاطِفةً على القبو وراءهم.

وصلوا للدور العلوي ليواجهوا طاولة الطعام وبجانبها أريكةٌ وتلفاز قديمان في غرفة المعيشة، على يمينهم غرفتان وعلى الشمال باب الخروج... وبالطبع حالة الحيطان كانت

كالقبو بل أسوأ. على الأريكة القماشيَّة البيضاء، جلسَ والدا (تشارلز) وهما ينظران للتلفاز القديم بكُل تركيزٍ، ولم يضع أحدٌ منهما يده على الطعام فوق الطاولة.

مشت (فيوليت) ناحيتهما وخلفها المراهقون، وكلهم فضولٌ لمعرفة ما يُعرَض على التلفاز.. لم يكُن الصوت مسموعًا كفاية. اقتربوا بهدوء وأعينُهم تَستقِرُّ على التلفاز.. ليروا مُذيع الأخبار مرتديًا بدلةً رسمية.

"تدخَّلَ جيشُ (الأسمى) أخيرًا لوضع نهايةٍ لهذه الحرب المروعة، لا سيما بعد تدخُّل قوات (كوتشينو) لمحاصرة (سويفين)... وتمَّ اعتقالُ كلٍّ من:

- (والتون) ملك (ديستينيجا) لاقتحامه (سويفين) دون إذنٍ مسبق من (الأسمى).

- (آكتون) ملك (سويفين) لانتهاكاته هو وضباطه ووزرائه ضد بعض نساء (ديستينيجا) المقيمات في (سويفين) واستعبادهم لهن.

- (ماركو) ملك (كوتشينو) لاقتحامه (سويفين) دون إذنٍ مسبق من (الأسمى).

وعليه فسيتم تنفيذ عقوبة الإعدام شنقًا بحقِّ كلٍّ من ذُكِرَت أسماؤهم، وتنصيبُ كلٍّ من:

- (زاندوكس) ملكًا على (ديستينيجا)"

ظهرت على التلفاز الأبيض والأسود صورةُ رجلٍ

عجوزٍ قارب الثمانين من عمره، له لحية وشارب كثيفان أبيضان... وتُبدي تجاعيدُ وجهه وابتسامَتُهُ الطيبةَ والعدل.

"- (هارلي) ملكًا على (سويفين)"

ظهرَ رجلٌ لم يتجاوز الأربعين من عمره، أبيضُ الوجه، أصلعُ الرأس، حليقُ اللحية بشارب طويل... أظهرت ملامحه الغموض والريبة.

"- (إلفيس) ملكًا على (كونشينو)"

أظهرَ التلفاز صورةَ رجُلٍ أسمرَ قد قارب الخمسين، أصلع الرأس واللحية والشارب... لولا شعرُ حاجبيه وجفونه لما احتوى رأسهُ على شعرةٍ واحدة! بدا شكلهُ غريبًا بعض الشيء، ولم تزِد ابتسامَتُهُ وجهَهُ إلا غرابة.

"ويتِمُّ إضافةُ قانونين جديدين على لائحة (القوانين الأسمى)، أحدهما وضعَهُ (الأسمى) فوق كلِّ القوانين لأهميته القصوى ليُصبحَ القانون الأسمى الأول: "يُمنَع منعًا باتًّا زواج الأشخاص من ذوي الأعراق والألوان المختلفة"

والآخر... القانون الأسمى السادس عشر: "أي ملك يبدأ حربًا على دولة أخرى، أو يرأس تمردًا على (الأسمى) يخضع للإعدام الفوري"

وعليهِ فقد قرَّر (الأسمى)... (ماكسويل) و(فين) و(رايموند) ما هو آت:

1- أي شخصٍ من أصحاب البشرة السوداء -سواءً كان

مُقيمًا أو مواطِنًا- يعيش في (بوسكي) أو (أوبيا) أو (بريجيرا) أو (سويفين) عليه مغادرة تلك البلاد خلال شهر... وستفتحُ بقية البلدان، (كوتشينو) و(فويجو) و(ديستينيجا) باب التجنيس والإقامة له حسب المتفق عليه.

2- أي شخص من أصحاب البشرة البيضاء -سواءً كان مُقيمًا أو مواطِنًا- يعيشُ في (كوتشينو) أو (فويجو) أو (ديستينيجا) عليه مغادرة تلك البلاد خلال شهر... وستفتحُ بقية البلدان، (بوسكي) و(أوبيا) و(بريجيرا) و(سويفين) باب التجنيس والإقامة له حسب المتفق عليه.

3- على الأشخاص المتزوجين من أعراقٍ مُختَلفةٍ الانفصالُ فورًا دون جدال... مهما كانت الظروف.

4- من يخالف أو يتجاهل الأوامر السابقة فسيتعرضُ لغراماتٍ مالية تصل إلى خمسين ألف دينار ذهب، وحبسٍ تصلُ مدته لعشر سنوات.

هذا ما وصلنا حتى الآن، وستتم موافاتكم بالتفاصيل إن جـ.."

"ما هذا الهُراء؟!"

صرخَ والدُ (تشارلز)، ناظِرًا إلى زوجته.

لم تعرف كيف ترد، أو بمَ ترُد... وكَذَا كان حالُ بقيَّة

الفتية. نظرَ بعضهم إلى بعضٍ وهم لا يزالون واقفين بجانب الأريكة، وقد عقَدَت الصدمةُ ألسنتهم.

ظهر بعد ذلك الملوك (والتون) و(آكتون) و(ماركو)، واقفين وقد التفت حبال المشانق على رقابهم... وأعينُهم قد تغطَّت بعِصابات سوداء على التلفاز بالأبيض والأسود.

"يا إلهي!"

صرخت (سارة)، وهي تضع يدها على فمها.

ركل الجنود الكراسي التي وقفوا عليها، دون تضييع ثانيةٍ واحدة! تشبثت أيديهم بالحبال وهم يصارعون الموت...

أسرعت الآنسة (رامونا) لإغلاق التلفاز، لكن صور الملوك المشنوقين ما زالت في أذهان المراهقين... ولن تُمحى للأبد!

"ماذا حدث؟"

سأل (تشارلز) بنبرته الغليظة، صاعِدًا للتو من قبوه.

حوَّل الجميع أنظارهم إليه، ولم يعرف أحدٌ كيف يشرح له كلَّ ما حدث، ومن أين يبدأ، وكيف يبدأ حتى. بملكِهم الذي كان يُشنق للتو؟ أم بملكِهم الجديد الذي لا يعرفون عنه شيئًا؟ أم بأوامر (الأسمى) الأدْهى والأَمَر التي ستُحتِّم على (سارة) و(تشارلز) وعائلتَيهما مُغادرةَ البلادِ التي وُلِدوا وترعرعوا فيها، إلى بلدان أُخرى لا يعرفون عنها شيئًا ولم يروها قط... فقط لاسوِداد ألوان

بشرتهم؟! ليس هذا فقط... بل ستحتِّمُ على (تشارلز) أيضًا تحطيمَ كلِّ الأحلامِ الورديَّةِ التي رَسَمَتْها مُخيِّلته مع (فيوليت)... فقط بسبب اختلاف لوني بشرتيهما وعرقيهما!

# العاصمة (أونيزم)، دولة (سويفين)

## أغسطس، 1975

# الفصل الرابع والثلاثون

زقزقت النوارِسُ مُحلِّقةً فوق شاطئ البحر... والشمسُ تؤذنُ بالمغيب. الأمواج تصفعُ الصخور بكل هدوء مع سكون الريح تلك الليلة، وكأنها تُطمئِنُ الجميع بليلةٍ هادئةٍ بديعة. كادَ الهدوء يعمُّ المكان، لولا المتنزهون الذين ملؤوا الشاطئ ضجيجًا وصخبًا... آباءٌ قد نزلوا للسباحة في البحر مع أولادهم، أطفالٌ يُسابِقون بعضهم بعضًا على الشاطئ وآخرون يبنون قلعةً من الرمال في زاوية أخرى، نسوةٌ جلسن لتبادل أطراف الحديث والضحك بأعلى أصواتهن، شبابٌ يمشون بمحاذاة البحر على الشاطئ... يلُقون نَظرات غزلٍ وغمزاتٍ لفتياتٍ وقفن على مقرُبةٍ منهم، والأخيراتُ يردُدْن تلك النظرات بضحكات مَلأَها الخجلُ والحياء.

بين ذلك كله... جلسَ الفتيةُ على الرمال، يراقبون البحر اللامنتهي في حالة غمٍّ وأسى. كلٌّ منهم حملَ زجاجةَ بيرة لم تُفتَح بعد، حابسين دموعهم بالكاد. بدوا كَفِتيةٍ مراهقين هربوا للتو من ميتمٍ أو سجن، لا ملجأ لهم ليؤويهم ولا هدفَ لهم ليلاحقوه. حتى مظاهرهم أوحت بذلك، لم ترتدِ (فيوليت) وشاحها الريشي كالمعتاد، ولم تظهر (سارة) بلباسٍ جديد باهظ الثمن... بل خرجت ببيجاما حريرية! أما (مالوري) و(بليد) فلم يلتصقا ببعضهما كالعادة... و(تشارلز) قد تلاشت نظرَتهُ ونبرَتهُ الحالمة المتفائلة. و(جريس) رغم برودها المعتاد... إلا أن الكآبة ارتسمت على وجهها باردِ الملامح.

فتح (تشارلز) زجاجته ورفعها عاليًا وتبِعَهُ الباقون... وتصاقعت زجاجاتهم في الهواء.

"نخبُ العنقاء الرمادي"

قالت (فيوليت)، ناظِرةً إلى زجاجتها.

"اسم فاخر.. إلا أنه مسروق من ماركة بيرة!"

نطقت (مالوري) مُتبسِمةً، مُرتشِفةً بيرتها.

لم ينطق أحدٌ حرفًا بعدها.. شربوا البيرة في صمت تام، مستمعين لأنغام النوارس والأمواج المختلطة بضجيج البشر.

"علّنا نلتقي مجدَّدًا في هذه البقعة نفسها.. بعد عدَّة سنوات"

قال (بليد)، مُحدِّقًا في الشمس الغاربة التي لامست حدود البحر.

"حتمًا سنلتقي! سنأتي للزيارة، ما فهمته هو أن الزيارة مسموحة.. أما الإقامة الدائمة فهي الممنوعة"

قالت (سارة)، ناظرةً إلى (بليد).

"وهل تعتقدين أن آباءنا سيأتون هنا من أجل أن نلتقي فقط؟ لن يكترثوا لأمرنا أبدًا. ما زلتُ لا أعلمُ كيف سأعيش في (كوتشينو) وأنا لا أفقهُ شيئًا من اللغة اللاتينية اللعينة!"

امتعض (تشارلز)، واضِعًا زجاجته جانبًا.

"ليس الأمرُ وكأنني أُتقِنُ الإسبانية أيضًا لأعيش في (فويجو)!"

قالت (سارة) بنبرةٍ منخفضة، مُستلقيةً على ظهرها لتتأمل السماء.

صمتَ الجميعُ محاولين تهيئة أنفسهم للفراق، وساعة الرحيل قد دَنَت.

العاصمة (ج)، دولة (بريجيرا)

ديسمبر، 1979

# الفصل الخامس والثلاثون

"ثلاثون دينارًا ذهبيًّا.. يا آنسة"

قال البائع العجوز.. مُتبسِّمًا بوجه الفتاة السمراء التي بادلته الابتسامة.

أدخلت الفتاة يدها المرتجفة في جيب معطفها البني الطويل لتُخرِج النقود، وقد تغطَّى رأسها بقبَّعة صوفية زهرية اللون.

"يبدو أنَّكِ لستِ من (بريجيرا) يا ابنتي"

قال البائع، جالِسًا على كرسيه خلف الطاولة.

"أنت مُحِق، أنا طالبةٌ مستجدَّةٌ في جامعة (بريجيرا) أسكنُ مع أصدقائي في العمارة المقابلة... وهذه الأجواء الباردة لا تناسبني أبدًا!"

قالت الفتاة، مُعطِيةً النقود للبائع... ثم أشارت لمبنًى صغيرٍ مقابلٍ لمحل التموينات.

"آه، حظًّا موفَّقًا... ومرحبًا بكم في (بريجيرا)! أما عن الأجواء فستعتادونها مع الوقت"

ردَّ العجوز ضاحِكًا، آخذًا النقود من الفتاة.

حملت الفتاة كيس المشتريات وتأهَّبت للمغادرة قائلةً:

"شكرًا لك يا عم..."

"(جورج)... اسمي (جورج)"

"وأنا (سارة)، شكرًا لك يا عم (جورج) وأعاننا الله على هذه الأجواء... طابت ليلتُك!"

"طابت ليلتك"

ودَّعها البائع (جورج) والابتسامة لا تُفارِقُ مُحيَّاه.

توجهت (سارة) لبوابة الخروج وبيدها كيس المشتريات، وبمجرد فتحها لباب المحل تسلَّلت الرياح الباردة الحاملة للثلج للداخل. أخذت نفَسًا عميقًا وغادرت... والبردُ يتسلَّلُ إلى جسدها رغم ثقل معطفها وتغطيته لها بالكامل! كان الشارعُ خاليًا من المارة... كالمحل تمامًا، والثلوجُ قد غطَّت الإسفلت وأسطُحَ السيارات والأرصفة. أسرعتْ للعمارة المقابلة التي لم تبعُد كثيرًا عن المحل... وبدأ جسدها بالارتعاشِ وفكَّاها بالارتجاف جرَّاء البرد الشديد.

دخلت العمارةَ أخيرًا شاعِرةً بالقليل من الدفء واتجهت للشقة اليمنى بالدور الأرضِي، وأخرَجَت يدُها المرتعِشةُ المفتاحَ من جيب معطفها ويدُها الأخرى انشغلت بحمل الكيس. استغرقَ الأمر منها لحظاتٍ لِتُدخِلَ المفتاح في المزلاج نظرًا لارتجاف يدها وتفتحَ الباب، وأغلقتهُ خلفها بسرعة كما لو كانت روحُها ستغادرُ جسدها إن جلست في الخارج ثانيةً أخرى.

"يا إلهي... ألهذه الدرجة لا تستطيعين تحمُّل البرودة؟"

ضحكت فتاةٌ مراهِقةٌ بدت أصغر بكثير من البقية... عاقِدةً ذراعيها، بشرتُها الحِنطيَّة مع عينيها البنيّتين... جعلت منها فتاةً لطيفة الشكل للغاية مع شعرها البني الطويل.

"اخرسي أيتها الطفلة، عليكم اللعنة... الجو باردٌ مُميت!"

قالت (سارة) بتجهُّم، مُتجهةً نحو الطاولة التي اجتمع حولها الباقون.

شكَّل الجميع حلقةً حول تلك الطاولة المستديرة، متغطّين بأثقل المعاطف التي يمكن شراؤها وقد اشتدَّت سواعدهم... باستثناء تلك المراهقة الحنطية بينهم. (بليد) اكتمل نموُّ شاربه وظهرت على وجههِ لحيةٌ شقراءُ خفيفة، ظهرت مفاتن (سارة) و(مالوري) -التي أتقنت وضع مكياجها ممَّا ضاعفَ جمالها- و(فيوليت) زاد طولها مع طول شعرها الأشقر المجعد والتفَّ وشاحُ ريشيٌّ زهري حول رقبتها، (تشارلز) طالت لحيتهُ وازداد صوتُه خشونةً، (جريس) ازداد وزنها متناغِمًا مع مفاتنها، أمَّا الفتاة المراهقة فقد بدت عجيبةً بل مُضحِكةً بينهم. ما الذي كانت تفعلهُ بين حفنةِ بالغين؟ وكأنها طفلةٌ اختُطِفَت من أحضان أمها.

"لا تكرهينا... بل اكرهي اللعبة! لم يُجبِركِ أحدٌ على اللعب وقد قبل الجميع العقوبة"

قال (بليد) باسِمًا، خالِطًا ورق اللعب أمامه على الطاولة.

"أنا أستأذنكم... تأخر الوقت ومحاضرتنا غدًا في تمام الثامنة صباحًا"

قال (تشارلز)، مُتثائبًا.

"آخخخ، طَلَبَةُ الجامعةِ المستجدُّون! ما زال الوقت مبكرًا على النوم"

تهكمت (سارة)، جالِسةً على كرسيها.

"(تشارلز) محق... يجب تطبيق الخطة بحذافيرها حتى لا يشكَّ أحد"

نطقت (جرِس)... وملامحها الجادة -منذ ولادتها على ما يبدو- ما زالت مُرتَسِمةً على وجهها.

"لست واثقة من نجاح هذه الخطة"

قالت المراهقة الحنطية، متلاعبةً بخصلات شعرها.

"أخبرتكم أن إحضار (بيثاني) غلطة فادحة!"

ردَّ (تشارلز)... قائمًا من مكانه هو و(فيوليت).

"آخ... إلى متى ستستخدمُ بطاقة عمري الأصغر ضدي في النقاش؟!"

امتعضت (بيثاني)، ناظرةً لـ (تشارلز) الذي أعطاهم ظهره واتجه لغرفته.

"حتى الممات! ما زالوا حتى الآن يعيّرونني بعمري لعِلْمِك"

قالت (سارة) مُقهقِهةً، ممسكةً يد (بيثاني).

غادر (تشارلز) و(فيوليت) دون كلمة أخرى... وصمت الجميع في الصالة لبرهة، وكأن عقولهم سبحت بعيدًا.

"آاااه، من كان يظنُّ أنَّا سنجتمعُ مجدَّدًا بعد كل تلك السنين... بل نسكنُ معًا في شقةٍ واحدة وفي عقولنا خطةٌ أغرب من الخيال؟"

تساءلت (مالوري)، موجِّهةً نظرها للسقف ورأسها مرتخٍ على الكرسي.

"لم ولن يعتقد هذا حتى العرافون والكَهَنة... فعلًا خطةٌ أغرب من الخيال! ما زلتُ لا أعلم كيفَ تركتُ كل شيءٍ ورائي من أجل هذه الخطة الغريبة. خطةٌ تقتضي دراسة (تشارلز) و(فيوليت) في جامعة (بريجيرا)"

قالت (سارة) بنبرة هادئة، وقد توقَّف فكاها تمامًا عن الارتجاف.

"وتنتهي بالعيشِ في (الجزيرة المجهولة)!"

أكمل (بليد)... مُطلِقًا تنهيدةً عميقة.

"يا ترى، ما الذي يفكِّر فيه أهلونا في هذه اللحظة؟"

سألت (مالوري)، محوِّلةً نظرها للطاولة التي وُضِعَت عليها أوراق اللعب.

"لا أعتقد أن أمي تتذكرني أصلًا... هلَّا غيرتم هذا

الموضوع الكئيب؟"

قالت (بيثاني)، جامِعةً شعرَها البني.

***

"ها نحنُ ذا!"

نطقت (فيوليت)، زافِرةً بعُمق... مُشكِّلةً أمامها دخانًا كثيفًا جراء الجو البارد.

"لا تقلقي... فقط نفذي ما اتفقنا عليه وكلُّ شيءٍ سيكون على ما يُرام. كما وصفتُهُ لكِ... عيناهُ رماديَّتان، شعرهُ أسودُ ناعم، نحيلٌ جدًّا"

قال (تشارلز)، واضِعًا يديه اللتَين غطَّتهُما القفازات الصوفية السوداء في جيبيه.

كانا يقفان أمام مبنًى ضخم، وقد تغطَّت أجسادهما بالكامل بالمعاطف المبطَّنة. اختفى لون الإسفلت الأسود تمامًا أمام المبنى تحت الثلوج المتساقطة البيضاء، والتي حُفِرَت آثار الأقدام عليها. حمَلَت (فيوليت) حقيبةَ ظهرٍ سوداءَ مُرقّعةً بالأبيض، بينما حمل (تشارلز) حقيبةَ يدٍ بنية... كتلك التي يحمِلُها رِجالُ الأعمال. دخلَ العديدُ من الشُّبَّانِ والشابَّات ذاك المبنى حاملين حقائبهم، وقد ارتسمت على وجوه بعضهم ملامحُ الجديَّة... والبعضُ الآخر حملَ ملامحَ طغى عليها الهمُّ والحُزنُ والإرهاق.

"كلية *(بريجيرا) للعلوم*" كُتِبَت على واجهة المبنى الضخم

باللون الأسود. تحرَّكت (فيوليت) تجاه بوابة الكلية، بعد أن أطلقَت نفسًا عميقًا وهي تومِئُ برأسها. كان شعرُها الأشقرُ مربوطًا على هيئة كعكة... الجاكيتُ الأسودُ الطويلُ الذي وصلَ لركبتيها، وتنورتها الرمادية تحتهُ شكّلا طالبةً مُستجِدَّةً لطيفةً... يظهر عليها الاجتهاد والاهتمام.

لم تلتفت للوراء قط... مشت حتى وصلت للبوابة التي وقف عليها حارس الأمن الشاب بلباسه الأسود.

"من فضلك... أين أجِدُ القاعة رقم (5)؟"

سألت (فيوليت) حارسَ الأمن... كأي طالبة مستجدة في يومها الأول.

"على اليمين!"

أجابَ بفظاظة، مُعطِيًا (فيوليت) نظرةً حادة.

دخلت المبنى مع الكثير من الطلبة، دون أن تكترث لفظاظة الحارس. شعرتْ بالارتياح وهي ترى جمال المبنى ونظافتَهُ من الداخل، وبالدفء الغريب الذي لم تعلم مصدرَهُ، اتجهت يمينًا وتفحصت اللوحات الإرشادية فوق كل قاعة... مبيِّنةً رقمها والتخصص العلمي التابعةَ له. وقعتْ عينُها أخيرًا على القاعة رقم (5)، لتَجِدَ مجموعةً من الشباب سدُّوا مدخلها وهم يتبادلون أطراف الحديث. بدوا يعرفون بعضهم بعضًا منذ زمن، من طريقة تحدثهم ومزاحهم بينهم. أفسحوا لها الطريق حين اقتربت من باب القاعة، ودخلت (فيوليت) القاعة الكبيرة بتوتر واضح.

امتلأت كراسي القاعة بالطلاب، وبدأت تتفحصهم بعينيها الخضراوين باحثةً عن الطالب المُطابِق للمواصفات المطلوبة - عيناهُ رماديَّتان، شعرهُ أسودُ ناعم، نحيلٌ جدًّا - كانت تلقي نظراتٍ خاطفةً لئلا تلتقي عيناها بعيني أحدهم وتُعرِّضَ نفسَها للشكوك والتساؤلات.

لم تعثر على الشخص الموافق للمواصفات المطلوبة... وجدت نحيلًا لكن يفتقدُ العينين الرماديتين والشعرَ الأسود الناعم، ووجدت آخرَ رماديَّ العينين لكنه بدين جدًّا وشعرهُ أشقرُ أجعد. كادت تيأس وتجلس على أقرب كرسي حتى وقعت عينُها على الطالب الذي تبحثُ عنه وقد وافقَ كل المواصفات... عيناهُ رماديَّتان، شعرهُ أسودُ ناعمٌ قصير، نحيفٌ للغاية وكأنه هيكلٌ عظمي. كان ذاك الطالبُ ساحرَ المنظر بعينيه الرماديتين الواسعتين اللتَين تناسَقَتا مع بدلته الرسمية الزرقاء الفاخرة. كان ينظر للأمام حاملًا قلمَهُ، ودفترهُ مفتوح... على أهبة الاستعداد للدراسة والتعلُّم. المشكلة الوحيدة أن الكرسيين اللذَين بجانبه لم يكونا شاغرين... في الحقيقة كانت كلُّ الكراسي حوله ممتلئة بالطلبة لأنها كانت في المقدمة إلا الكرسي الذي كان أمامه مباشرةً.

سارعت (فيوليت) للجلوس على ذلك المقعد قبل أن يسبقها أحد الطلاب. نزعت حقيبتها من على ظهرها وحملتها بيدها، متخطّيةً الطالبةَ التي جلست على الكرسي قبلَ كُرسيِّها لتصِلَ للكرسي الذي كان أمامَ الشابِّ ذي

العينين الرماديتين. نظرت إليه قبل أن تجلس والتقت أعينُهُما أخيرًا... فأشاحت (فيوليت) بنظَرِها مُتبسّمةً بخجلٍ جلي، جالِسةً على الكرسي وهي تضعُ حقيبتها أرضًا.

دخل (تشارلز) بعد ذلك مُرتدِيًا مِعطَفَهُ الأبيضَ الذي بدا جميلًا على بشرته السمراء... حامِلًا حقيبة اليد البنية وقد خلعَ قفازاتِه وقبعتَه الصوفيةَ السوداء. جلسَ على أقرب كرسي ولم ينظُر لـ (فيوليت) للحظة... وكأنه لا يعرفها.

لحظات ودخلَ عددٌ كبيرٌ من الطلاب للقاعة، متجهين لأقرب كراسٍيّ لهم. دخلَت بعدهم سيدةٌ صهباءُ تقطُرُ أناقةً، بقميصِها الأبيض وجاكيتها الأسود مع التنورةِ السوداء والكعب العالي -وكأنها تتحدى البرد والثلوج في الخارج- حامِلةً حقيبةَ يدٍ بيضاء. انسدلَ شعرُها الأحمرُ المُموّجُ على كتفيها، واستقَرّت نظّارةٌ سوداءُ على أنفها... ليُكوّنَ كلُّ ما سبق هالةً من الهيبة والوقار والأناقة حولَها. اتجهت للمنصة أمامها لتضع حقيبتها عليها، وقد سادَ الصمتُ الغرفةَ بعد أن كانت مليئةً بالضجيج. فتحت السيدة حقيبَتها وأخرجتْ ورقةً منها، ثمَّ حمحمت حلقَها وقالت وهي تُخرِجُ قلمًا من جيبها ناظِرةً للورقة:

"(كريستينا أوليفر)"

"هُنا"

قالت الطالبةُ التي جلست بجانب (فيوليت)، رافِعةً يدها.

"جوزيف ماندورسون"

لم يُجِب أحدٌ من الطلاب، واستمرت البروفيسورة بتحضير الطلاب حتى وصلت لأحد الأسماء:

"(دريكسِل بليس)"

"حاضِر"

تكلَّم الطالب ذو العيون الرمادية، رافِعًا يده.

خفقَ قلبُ (فيوليت) بشدة عندما علِمَت على وجهِ اليقين أن ذاك الطالب هو المنشود. ألقت نظرةً خاطِفةً عليه ثم على (تشارلز) وضرباتُ قلبها تتسارع.

## العاصمة (فريك)، دولة (أوبيا)

## يناير، 1980

# الفصل السادس والثلاثون

زمجرت الرياحُ المُحمَّلةُ بالثُّلوج، تارِكةً آثارها على أسطُح السيارات والطُّرُقات والمباني... وكأنها تزجُرُ الجميعَ عن التجول أو الخروج من المنازل. الطُّرُقات خلت تمامًا من السيارات والمارة، بعد انتصاف الليل واشتداد البرد. هيمنت الرِّيحُ المُثلِجةُ على جميع الأصوات إلا في مكانٍ واحد على أطراف المدينة... في ذلك القصر الضخم المُستدير. صوتُ صرخاتِ سيِّدةٍ مُستمِرَّةٍ مدوِّيةٍ تحدى صوتَ الريح هناك... وتغلَّبَ عليه! لو حَوَت المنطقة المحيطة بالقصر مَبَانِيَ لَسَمِعَ جميعُ قاطنيها أصواتَ الصرخاتِ المُفزِعَات. كانت تَستمِرُّ لفتراتٍ ليست بالقصيرة... ثم تنقَطِعُ لحظاتٍ وجيزةً وتعودُ أقوى مما كانت عليه. أكانت صاحِبَتُهَا تُعذَّبُ؟ أم تُعاني من آلامِ داءٍ لا دواءَ له؟

تجمَّعَ الكثيرُ من الخدَم بثيابِهم السوداء عند بابِ القبو الصادر منهُ صوتُ الصرخات وهم في صمتٍ وقلق تامَّين، منتظرين مُترقِّبين وقد توقفت الصرخات.

"ادفعي سيِّدتي... فقط ادفعي!"

قالت خادمةٌ بدت في سنواتِ المراهقة، بلباسِ الخادمات التقليدي... قميصٌ أسودُ منتهٍ بتنُّورةٍ منفوشة تعلوهُ ياقةٌ بيضاء... مُمسِكةً بيدِ سيِّدةٍ استلقت على سريرٍ خشبيٍّ عتيق.

فما كان جواب تلك السيدة التي تغطَّت ساقاها

المنفرجتان بغطاءٍ أبيضَ شفَّاف إلا الصراخُ بصوتٍ أعلى من ذي قبل، اهتزَّت أرجاء القصر برمتهِ لدويِّهِ وتغطَّى زئيرُ الريح بقوته.

كان ذاك القبوُ مناقِضًا تمامًا لجمال وفخامة القصر الذي قبع فوقه... ظاهِرًا وباطِنًا. جدرانهُ متهالِكةٌ متشقِّقَة، رائحتُهُ مُقرِّزَة، مساحتهُ ضيِّقة، ولم يحوِ إلا ذاك السريرَ الخشبيَّ الذي يكادُ ينقضُّ من السيِّدةِ التي استلقت فوقَهُ.

**"آخخخ، أغلقي فمكِ اللعين! أسرِعي فلا أملك الكثير من الوقت!"**

صرخَ رجلٌ وقفَ أمامها، مُقطِّبًا حاجبيَهِ. علا رأسَهُ تاجٌ مُرَصَّعٌ بالألماس، وتغطَّى جَسَدَهُ ببيجاما سوداء حريرية استقرَّ فوقَهَا فراءٌ أبيضُ باهظُ الثمن.

توقفت السيِّدةُ عن الصراخ تمامًا وعيناها الزرقاوان ترتعبان، تارِكةً الريح المثلجة تُظهِرُ صوتها، ناظرةً للأسفلِ وأنفاسُها تتقطع. غرِقَ وجهها وشعرُها الأشقرُ الطويلُ بالعرق وكأنها خرجت للتو من حمام السباحة، والتصق ثوبُها الأبيض بجسدها من العرق رغم برودة الجو! ساقاها كانتا منفرجتين، ووقفت في نهاية السرير عند ساقيها خادمةٌ أخرى... جالِسةً القرفصاء ورأسُها تحت الغطاء.

أمامها مباشرةً وقف ذاك الرجل العَبُوس المُتَوَّج... عاقِدًا ذراعيه.

"صاحب الجلالة (بريجيوس)... تستطيعُ أن تُكمِلَ أعمالك

وسأعتني بالآنسة (فيرا)"

قالت الخادمة التي أمسكت بيدِ الآنسة (فيرا)، ناظرةً إلى الملك (بريجيوس) بعينين مِلؤُهما الرجاء والشفقة.

"اصمتي أنتِ... وقومي بعملك أيتها الخادمة"

تجهَّم (بريجيوس)، مستديرًا ليواجه الجدار.. سادًّا أذنيه بيديه.

لم تتوقف (فيرا) لحظةً واحدةً بعد استدارة الملك... وعادت لإطلاق صرخاتها المدوية، الخادمة بجانبها تحاول تهدئتها باستمرار.. والأخرى تحت الغطاء أمام ساقيها المنفرجتين صامتةٌ تمامًا... والملكُ يتأفف ويتضجَّر بين الحين والآخر.

دقائق معدودة، وحدثتْ معجزة الحياة. صدعَ صوتُ بُكاء طفلٍ من العدم، وتوقفت السيدةُ عن الصراخ وبدأت تلتقطُ أنفاسها، بينما استدار الملكُ باهتمام... والرياحُ تزأرُ وتقشعرُ منها الأبدان. خرجت الخادمة من تحت الغطاء ووقفت أخيرًا، حاملةً طفلًا ملطَّخًا بالدماء... لكن ملامحها كانت مُقلقة! لم تعلُ الابتسامةُ والسعادةُ وجهَهَا كأيِّ شخصٍ طبيعيٍّ يرى طفلًا وُلدَ للتو... بل ارتسم على وجهِها الحزنُ والغمُ، مما أقلق جميع من في الغرفة. الطفلُ يبكي مُغطًّى بدماء المخاض، والخادمةُ تنظرُ إليه بحُزن شديد غريب... صمتت قليلًا ثم نطقت بتوتر:

"إنـ.. إنـ.. إنها فتاةٌ"

كان وقعُ تلك الكلمات أشبه بقنبلةٍ على مسامع الجميع... بل أقوى منها.

**"ماذا؟! يا لخيبةِ الأمل ويا لمضيعةِ الوقت!"**

صرخ (بريجيوس) بغضب، ناظِراً للآنسة (فيرا).

نظرت (فيرا) له بارتعاب، وهي لا تزالُ تلتقطُ أنفاسها والعرقُ يغطي كل بُقعةٍ في جسدها.

"ضعوها في أقرب إسعافٍ مغادرٍ لمدينة (بليس)، وقوموا بتنظيف هذه الغرفة المقززة"

قال (بريجيوس) بخيبة ونبرةٍ هادئة، مُتَّجِهًا لدرج القبو.

"لا لا، أرجوكَ لا ترمِها! أودُّ تربيتها وأقسمُ لكَ أنها ستكون..."

"ماذا تقولين؟! أأدخلكِ المخاضُ حالةً من الجنون؟!"

قاطع (بريجيوس) (فيرا) مُتسمّراً مكانه.

"أرجوك يا (بريجيوس)! أتوسلُ إليك أن تبقيها لي، وسأتكفلُ أنا بتربيتها والاهتمام بها. إنها ابنتك الوحيدة فكيف..."

"ماذا سيقول الناس؟! الملك (بريجيوس) لديه ابنة؟! ما رأيك أن أَخرُجَ في خطابٍ للشعب معها أيضًا؟"

قاطعها ثانيةً، ناظِراً إليها باشمئزاز.

"لن نخبر أحدًا... لن نخبر أي أحد عنها . سأربيها أنا ولا لزومَ لأن يعرفَ أيُّ أحدٍ أنِّي أنجبتُها حتى! لنُخبِرهُم أنَّا رميناها في البحر... حتى الخدمُ في هذا القصر لن نخبرهم ولن يعلموا. فقط أنا وأنتَ وهاتان الخادمتان اللتان سأقطعُ لسانَيهما إن أخبرا أحدًا. أرجوك أرجوك!"

قالت (فيرا) وعيناها الزرقاوان تتوسلان (بريجيوس)، وهي لم تحمِل طفلتها بعد. صمتَ الملكُ لبُرهةٍ وهو ينظرُ لابنتهِ وزوجته باشمئزاز واضح، وابنتهُ لا تزالُ تبكي بيد الخادمة التي تجمدت مكانها... غيرَ عالمةٍ أتلك الطفلةُ التي بيدها ستُرمى في بحر (آنجيلز) لتواجه حتفها غرقًا... أم ستحيا حياةً سريَّةً في كنف والدتها.

"حسنًا، لكن لا أريدُ أن أراها ولا أسمعَ صوتها حتى"

قال (بريجيوس) متنهِّدًا بعُمق، مُغادِرًا القبو.

قطعت الخادمةُ الحبلَ السُّرِّي وأعطتْ (فيرا) طفلتها لتحملها بدمائها، غيرَ مُصدِّقةٍ أنها ستحتفظُ بابنتها وفلذة كبدها.

"ما أجملها!"

قالت (فيرا)، وابتسامتها تكادُ تُشقِّقُ وجنتَيها وقد نسيت كل طَلَقاتِ الولادة بعد رؤيتها... حامِلةً طفلتها لأول مرة.

"وما أجملَ عينيها الزرقاوين اللتَين ورِثتْهما منكِ، آنسة

(فيرا)! إنها تُشبِهُكِ تمامًا"

قالت الخادمة المراهقة التي كانت تحملُ يدَي (فيرا)، مُتبسِّمةً وهي تتأملُ الطفلة.

"ماذا ستسمينها يا سيدتي؟"

سألت الخادمة الأخرى، وهي تشارِكُهُما النظر في وجه تلك الطفلة الملائكي.

"(آجنيس)... سأسميها (آجنيس)"

## العاصمة (ج)، دولة (بريجيرا)

## أبريل، 1980

# الفصل السابع والثلاثون

"حسنًا يا رفاق، لا مجال للخطأ. لنراجع الخطة للمرة الأخيرة"

قال (تشارلز)، مُتَّكِئًا بظهره على الحائط ناظِرًا للأمام.

شدَّت تلك الجملةُ انتباهَ جميع من جلَس أمامه، نظروا إليه باهتمام وتركيز تامَّين... من كان حانِيًا ظهره على الكرسي انحنى للأمام... ومن كان يسرحُ بفكره قاطعتْهُ تلك الجملة وأعادتْهُ للواقع... آخذين نفسًا عميقًا.

"حبًّا في الله! لقد قضينا الشهور المنصرمة كلها نراجع الخطة، أرجوك..."

"لقد قُلت لا مجال للخطأ! خطأٌ واحدٌ سيودي بحياتنا جميعًا... فلتبدأ (سارة)"

قاطعَ (تشارلز) تذمُّرَ (بيثاني) التي وضعت رِجْلًا على رِجْلٍ ماضِغةً عِلكةً -وكأنها لا تهتم بما يجري حولها- مُرتدِيةً روبها الأسود الحريري القصير وقد غطَّت ساقَيها الأوشام... من كعبِها لرُكبتها. ظهرَت عليها علاماتُ البلوغ، وغيَّرت قصة (البوب) من شكلها تمامًا... بعد أن كان شعرُها البني طويلًا يصلُ لأسفلِ ظهرها.

حمحمت (سارة) حلقَها بعد أن تنهَّدت بعُمق، وكأنها على وشك إلقاءِ خطابٍ رسمي. ارتدت مِعطفًا بُنيًا مُبطَّنًا بالفراء لاءم بشرتَها السمراء وتناغم معها، وقد عُقِدَ شعرُها

بالضفائر الصغيرة.

"(فيوليت) تلتقي بـ (دريكسِل) وريثِ الملك السابق لـ (بريجيرا)، وهو الملك الحالي لها. التقت به قبل عدة أشهر وأغوتهُ ونقلتْ له مرض (الهربس(3))، وبِناءً على القاعدة الأسمى الخامسة والتي تنص على أن إصابة الملك بمرض لا علاج له يسلبُه حق الحكم مباشرة، ويتم استبداله بملك آخر دون النظر لأحقية الوريث... قامت..."

"(بليد)؟"

قاطع (تشارلز) (سارة)، مُشيرًا لـ (بليد). استعدَّ الأخيرُ للتحدث وقد طالت لحيتهُ الشقراء وشاربه، ليجعلاه يبدو كأحد رجال الكهوف.

"بعد إغواء (فيوليت) لـ (دريكسِل) ونقل المرض له، قامت بتصوير سهرةٍ لهما على شريط فيديو دون أن يشعُر... ثم قطعت العلاقة معهُ تمامًا وأصبحت تتجاهله. سيتم استخدام الشريط لابتزاز (دريكسِل) الآن بعد استلامه لعرش والده..."

"(مالوري)؟"

نقلَ (تشارلز) الدور لـ (مالوري) التي كانت بجانب (بليد)، والتي حافظت على جمال شعرها الأشقر المموج السحري وعينيها الزرقاوين.

"سنبتزُّ (دريكسِل) بالشريط لنُرغِمَهُ على أن يأخذنا في

زيارةٍ لـ (الجزيرة المجهولة)، لنرى صِدقَ أو كَذِبَ ما قيل لنا طيلة حياتنا من أنها مسمومةٌ أو لا، وسنقوم..."

"(فيوليت)؟"

حوَّلَ (تشارلز) الحديث لـ (فيوليت)، التي جلست أمامه مباشرةً وقد التفَّ وشاحٌ ريشيٌّ بنفسجي حول رقبتها كما جرت العادة... وانسدلَ شعرُها الأشقرُ الطويل الجَعدُ عليه في حين لمعت عيناها الخضراوان تحت أشعة الشمس القادمة من النافذة.

"قبل إرغامه على أخذِنا لـ (الجزيرة المجهولة)... سنُرسِلُ له نسخةً من الشريط مع رسالةٍ نطالبهُ فيها بالاجتماع معنا، وسيخرُجُ (تشارلز) و(بليد) للاجتماع معهُ... وسيهددانه إن حاول قتلهما أو التعرض لهما بأذى ولم يعودا خلال ثلاث ساعات فسيُنشَرُ شريطُه مع (فيوليت) ويكثُر الجدلُ حولَه ثم يُجري (الأسمى) فحصًا طبيًّا عليه ويُفتضحُ أمرُ مرضِهِ ويَخسَرُ حقَّه في الحكم. بعد ذلك نخبرهُ بطلبنا لزيارة (الجزيرة المجهولة)، إن كانت..."

"(جريس)؟"

حان دور (جريس) التي لم تتغير هيئتُها قط... الملامحُ الجديةُ الصارمةُ ذاتُها، بشعرِها الأسودِ الطويل وعيونها البنية.

"إن كانت الجزيرة صالحة للعيش فنُجبِرهُ على إبقائنا هناك وبناءِ مساكنَ لنا وتهيئتها للعيش... وألّا يخبر أحدًا ببقائنا

هناك، وسيمدُّنا بالزاد والمال وكل ما نحتاجه لنحيا حياةً كريمة، وسيستمرُّ العالمُ بتصديق الكذبةِ ذاتِها أنَّ (الجزيرة المجهولة) هواؤُها سام وغيرُ صالِحةٍ للعيش. إما أن تكون مسمومةً فِعلًا -وهو مُستبعَد- حينها نُجبِرُه على إعطاء كلٍّ منا ما يشاء من الأموال متى ما أراد... وعلى كل الأحوال سنكون وافين بشرطنا على عدم نشرِ الشريط إن أوفى هو بشروطه و..."

"(بيثاني)؟"

"لم يتبقَّ شيءٌ من الخطة لي لأقوله!"

احتجَّت (بيثاني)، ناظِرةً لـ (تشارلز)... ماضِغةً علكتها بصوتٍ مقزِّزٍ عال.

"كم نسخنا نُسخةً من شريط (فيوليت) و(دريكسِل)؟"

سألها (تشارلز) مُختبِرًا، ناظرًا لها ببرود.

"7 نُسَخ... مع كل واحدٍ منَّا نُسخةٌ سيحتفظ بها ويُخفيها في مكانٍ آمن لا يعرفه إلا هو، وينشرها إن لم يعُد (بليد) و(تشارلز) بعد مرور ثلاث ساعات على لقائهما بـ (دريكسِل)"

أجابت (بيثاني) بكلِّ ثقة، ماضِغةً علكتها.

قال (تشارلز)، مُشمِّرًا عن أكمام قميصه الواسع:

"حسنًا، قد حانت اللحظة الحاسمة التي انتظرناها منذ أشهر! إما أن يكون (دريكسِل) رعديدًا جبانًا كما كان

سابِقًا قبل التربع على العرش... وتنجحَ الخطة، أو يكون قد تغيَّرَ بعد اعتلائه المنصب لِرَجُلٍ شُجاعٍ لا يهابُ خسارة العرش... ويهلِكَ جميعًنا"

علِم الجميعُ ذلك في قرارة قلوبهم، فأيُّ قلوبٍ تلك التي يتملَّكُها أولئك الأشخاص لتجعلَهم يضعون أرواحَهُم رهينةً لتصرُّف ملك... فقط ليكتشفوا سرَّ (الجزيرة المجهولة) الذي أتعبَ عقولهم منذ الصغر؟

أحاطت بالغرفةِ هالةٌ من القلقِ والتوتُّر... الممزوجَين بقليلٍ من الرُّعب والرَّهبة. المطرُ يهطلُ من السماءِ بغزارة، بعد تحذيراتِها للمخلوقاتِ ببرقِها ورعدِها قُبَيل الغيثِ بساعات قليلة. رغم أن الوقت مُبكِّرٌ إلَّا أنَّ الشمسَ توارت خلف الغيوم... وكأنها تتوقُ للمغيبِ وتعجلُ إليه. اختبأ الجميعُ في بيوتِهم وبَقِيَ من بقي من المشردين الذين لا مسكن لهُم ولا ملجأ... إلا الشوارِع والأزقة والطُّرُقات. بينما عاشَ سُكَّان المنطقة في جوٍّ من الهدوء مُستمِعِين لوقع زخَّات المطر فوق رؤوسهم وعن أيمانهم وشمائلهم... عاشت تلك الغرفة أجواء قلقٍ مُخيف!

قبعَ فيها أربعةُ أشخاص... واجهَ اثنانِ منهُم الاثنَين الآخرَين، على طاولة اجتماعاتٍ سوداءَ كبيرة. بدا أربعتُهُم في العشرينيات من أعمارهم إلا واحدًا منهم، فقد تجاوز الأربعين لا محالة.

تأنَّقوا كلُّهُم ببدلاتٍ رسميَّةٍ باهظة الثمن تناسبت مع

أناقة الغرفة الضخمة... بدوا كتجارٍ ورجالِ أعمال في اجتماعٍ غاية في الأهمية. كلٌّ منهم تميَّز وجههُ بخصلةٍ لا يُمكِنُ للعقلِ نسيانُها، أحدُهُم امتلكَ عينين رماديّتين ثاقبتَين جعلتاهُ وسيمًا للغاية مع جسده النحيل... إلّا أن التوتُّر اتَّضحَ في وجهه المتعرِّق، الأربعينيُّ الذي جلَس بجانبهِ حوى خدُّهُ الأيمنُ ندبةً عميقةً... جعلت منظرَهُ مُخيفًا مع لحيتهِ البيضاء ووجههِ العابس. أمَّا الاثنان اللذان جلسا مُقابِلَهُما... فأحدُهُما أسمرُ أملحُ نضرُ الوجه، والآخرُ أشقرُ اللحيةِ والشارب والشعر.

استمرَّت الغرفةُ في صمتها المُقلِق... والأمطار تهطلُ والسماءُ ترعدُ وتبرقُ بين الحين والآخر، حتى نطقَ الأسمرُ أخيرًا مُتبسِّمًا بخُبث:

"كيفَ وجدت شريط الفيديو يا صاحِبَ الجلالة؟ مُثيرًا للغاية، أليس كذلك؟"

"أيها اللعين الأرعن! أوهكذا تخاطِبُ صاحبَ الجلالة بينما وجبَ عليك التوسُّلُ عند قَدَمَيه؟!"

انفعلَ الأربعيني وعيناهُ تكادان تخرجان من مكانهما... صارِخًا، قائمًا من مكانه. كادَ يبطِشُ بالأسمرِ الذي جلسَ أمامَه... لولا أن ذا العيون الرمادية أمسَكَ بيده وشدَّ عليها، مومِئًا برأسه.

"هدِّئ من روعك أيها العجوز.. فإن أصبتني بمكروهٍ ولم أعُد خلال ثلاث ساعاتٍ من الآن، تخلفي أشخاصٌ

سينشرون نُسَخًا من ذاك الشريط... واقرأ حينها على عرشك السلام!"

قال الأسمرُ بكُلِّ هدوء... وابتسامتُهُ الخبيثة لا تزال تعلو وجهَه.

كانت العبارة بمثابة مهدِّئ قام بتبريد أعصاب الأربعيني. أخذَ نفسًا عميقًا وجلسَ على الكرسي، وقد سقطت هيبتُهُ بالكُلِّيَّة.

"ما علاقتكم بـ (فيوليت)؟ خصوصًا أنت يا (تشارلز)... فقد كنتُ أراكَ في الجامعة"

نطق ذو العيون الرماديَّة أخيرًا، مُشيرًا لـ (تشارلز). لِيُزمجِرَ الرَّعدُ بعد عبارته تلكَ مُباشرةً... وكأنها مُجَدْوَلة.

"لا علاقة لكَ بهذا... دعني أختصر الوقت عليكَ وأُخبِرْكَ بمُتطلَّباتنا، كلُّ ما نريدُهُ منكَ أن تسمحَ لنا بالعيش في (الجزيرة المجهولة) بعيدًا عن هذا العالم. وتتكفَّل بالمؤونة والزاد ولا ترفض لنا طلبًا..."

"عقلُك بهِ لَوَثةٌ تمامًا كما ظننت... كيف تطلُبُ العيشَ في مكانٍ مسموم؟! أرجوك سيدي (دريكسِل) اسمح لي بفصل رأسه عن جسده"

قاطعَ الأربعينيُّ (تشارلز) ضاحِكًا.

"لا حديثَ لي معك... وإنما حديثي مع سيِّدِك! عندما يتحدَّثُ الكِبار... يجبُ أن يصمتَ ويستمعَ الصغار"

ردَّ (تشارلز) بكبرياء... وقد اختفت ابتسامتُهُ الخبيثة، عبارتهُ كانت مناقِضَةً للواقع، فالأربعيني أكبرُ سِنًّا منهُ لا محالة... وكم أثارت تلك الجملة غضبَهُ لكنهُ حاولَ تمالُكَ أعصابه.

"كلُّنا نعرِفُ أن ما يُذاعُ في الأخبار عن الهواء السام الذي يغطي (الجزيرة المجهولة)... هُراءٌ محض ينطلي على العامة! فلا تُضيِّع الوقتَ وابحث لك عن كذبةٍ أُخرى... وأيًّا كان ما يفعلُهُ والِدُكَ فيها من نشاط، فلا مانعَ عندنا من أن تزاولوه بشرط ألّا يتخطّوا الحدود التي سنرسُمُها لهم... ولا مانعَ لدينا من أن يستمرَّ الناسُ بتصديقِ عدم إمكانية العيشِ في (الجزيرة المجهولة)"

أنهى (تشارلز) حديثَهُ... وعادت الغرفة للصمت والاستماع لأصوات الأمطار الغزيرة.

لَحَظاتٌ ليست باليسيرة... هيمنَ فيها صوتُ المطر على الغرفة، مُتَخلِّلًا بالبروق والرعود. قامَ (تشارلز) فجأة، مُحمحِمًا حلقَهُ... وتَبِعَهُ الأشقرُ بجانبه والذي لم ينطق حرفًا منذ دخولِهِ الغرفة.

"لديكَ أسبوعٌ لتُفكِّرَ في الأمر... تجاهَلْنا أو ارفُض العرضَ أو زُجَّ بنا في السجن أو اقتلنا وسترى الفيديو ذاك حتى في أحلامك، وتخسرُ عرشَكَ وجاهَكَ ومَنصِبَك وسُمعتَك بالتأكيد... أو اقبل العرض ببساطة وحافظْ على عرشِك واشترِ راحة البال فليسَ لديكَ ما تخسَرُهُ إن

قبلت. حكِّم عقلك ولا تدع الحمقى يوسوسون لك"

توقَّفَ (تشارلز) قليلًا، ناظِرًا بازدراء للأربعيني... ثم أكملَ قائلًا:

"هذا رقمُ مساعدي (بليد) للتواصل وتذكَّر جيِّدًا... أسبوعٌ فقط من الآن. عن إذنكَ يا صاحب الجلالة فلا نريد إشغالك عمّا هو أهم... عِمتَ مساءً"

توجَّهَ للخارج بعدها مع (بليد)، واضِعًا يديهِ في جيبيْه... مُتبَختِرًا في مشيَتِهِ كالطاووس.

# (الجزيرة المجهولة)

## مارس، 1982

# الفصل الثامن والثلاثون

*"I hate you, and I hate myself,*

*For wanting you and not someone else*

*Wild and reckless you make me be,*

*Even before the night you cut me free."*

امتزجتْ أنغامُ الأغنية بأمواجِ البحرِ المُتلاطِمة... تحتَ الأضواءِ البنفسجيَّةِ التي عُلِّقت باحترافية وذوق. اختلطتْ رِمالُ الشاطئ بالثلوج المتساقِطَة، على الرغمِ من دخولِ الرَّبيع... في ظاهِرَةٍ طبيعيَّةٍ ساحِرَةٍ للعين!

"نجتَمِعُ اليومَ لحدثٍ مُهم مُميَّز، يَجمَعُ طائرَي الحُب اللذَين وقعَا في الغرامِ منذُ الطُّفولة... وأيقنَّا جميعًا أنَّهما مُقدَّرانِ بعضُهما لبعض"

تحدَّثَتْ (سارة)، واقِفَةً بفُستانِها الأزرقِ عاري الأكتاف... خلفَ (فيوليت) و(تشارلز).

وقفتْ (فيوليت) أمامَها، مُرتدِيَةً فُستانًا أبيضَ منفوشًا... مُتبسِّمَةً بخجلٍ واضح. تساقطَ القليلُ من الثَّلجِ على شعرِها الأشقرِ المُصفَّفِ المرفوعِ للأعلى، واستقرَّتْ فوقَهُ طرحةٌ بيضاءُ طويلة... جعلتْ منها عروسًا خياليةَ الجمال. لم تضعِ الكثيرَ من مساحيقِ التجميل، ولم تكُن بحاجةٍ لأيٍّ منها... فجمالُ عينيها الخضراوين الواسِعتَين غطَّى كلَّ عيوبِها... إن كان لديها عيوب.

وقفَ (تشارلز) مُمسكًا بيد (فيوليت)... مُرتَديًا بدلةً رسميَّةً سوداءَ غايةً في الأناقةِ مع سُمرتِه. شعرهُ البنيُّ الطويلُ انسدلَ على كتفه، ولِحيتُهُ الكثيفَةُ أعطتهُ مظهراً وسيمًا.

بدوا في غايةِ اللُّطفِ والحميمية، زوجَان عشرينيَّان في مُقتَبَلِ العُمر... من لونٍ وعرقٍ مُختَلِفين. نظرا لأصدقائهما المجتمعين حولهما بضحكٍ وبشاشة، وقد تحقَّقَ حلمُ حياتِهِم الذي طالَ انتظارُه... في الحقيقة كانتْ قد تحقَّقتْ جميعُ أحلامِهِم.

"حتَّى عندما حاولَ الدَّهرُ تفريقَ هذَين العنيدَين، قاتَلا من أجلِ بعضِهما... إلى أن التمَّ شملُهُما"

صمتتْ (سارة) قليلًا بعد أن خنقتْها العَبرة، ناظِرَةً إلى العروسَين أمامَها بابتسامةٍ... محاوِلَةً إخفاءَ دموعِ الفرح.

"ليسَ هذا فقط، بل أخضعا ملِكًا ليُعطيَهُما جزيرةً خاصَّةً بهما... مُجهَّزَةً بالمباني ومقوِّماتِ العيش!"

أكملتْ (بيثاني) ضاحِكَةً لتُلطِّفَ الأجواء، مُرغِمَةً الجميعَ على الضحك. كانت تقِفُ على يمينِ العروس، هي والفتاتانِ الأخريانِ (مالوري) و(جريس)... لابِسةً كل منهن فُستانًا أزرقَ مُطابِقًا لفستانِ (سارة).

"هنيئًا لمن لم يستسلِم أمامَ العوائق، وناضلَ حتَّى أخذَ ما يستحِق... مُسطِّراً معنى الحُب بأجرأ الفعائل!"

أكملتْ (سارة) وهي تربِّتُ على كتفَيهِما، ناظِرَةً لهما

بسعادة.

"(تشارلز فاولكين)، هل تقبلُ هذه المرأة لتكونَ زوجتَكَ في الصحَّةِ والمرض والقوَّة والضَّعف... حتَّى يفرِّقكما الموت؟"

"نعم... أقبل"

أجابَ (تشارلز) دون تردُّد، ناظِرًا لـ (فيوليت)... وقد سقطتْ دمعةٌ من عينيها.

تقدَّمَ (بليد) نحوَهُ ببدلة (التوكسيدو) السوداء، حاملًا علبةَ خاتمٍ مفتوحة... ليأخُذَ (تشارلز) الخاتمَ ويُلبِسَهُ (فيوليت).

"(فيوليت فاولكين)، هل تقبلينَ هذا الرجل ليكونَ زوجَكِ في الصحَّةِ والمرض والقوَّة والضَّعف... حتَّى يفرِّقكما الموت؟"

"نعم نعم... ومليون نعم!"

أجابتْ (فيوليت) وقلبُها يكادُ يطير من الفرحة.

اقتربتْ منها (مالوري) حامِلَةً علبة خاتمٍ مفتوحة، أخذتْ (فيوليت) الخاتمَ بعجلة... وألبستْهُ (تشارلز).

"أُعلِنُكما الآن زوجًا وزوجةً، يمكنك تقبيلُ العروس!"

قالت (سارة)، مُصفِّقَةً بيدَيها.

ضمَّ (تشارلز) (فيوليت) وقبَّلَها، والحضورُ يُصفِّقُون

ويهتفون. انتهتْ أغنية (أليشا)، لتبدأ بعدها أغنيةٌ راقِصَة... أجبرتْ أجسادَ الكل على التراقُص من طربِها.

مشى (بليد) لـ (تشارلز) راقِصًا... وصلعتُهُ تلمعُ تحتَ الضوءِ البنفسجي. مدَّ يدَهُ وجسمُهُ يتمايل، داعِيًا صديقَهُ للنزولِ لساحةِ الرَّقص. هزَّ (تشارلز) رأسَهُ بالرفض خجِلًا، لكنَّ (بليد) أصرَّ مُمسِكًا يده... ليُرغِمَهُ على النُّزولِ.

**"أنزِلوا هذه العروسَ الخجولة أيضًا"**

صرختْ (بيثاني)، مُسرِعَةً مع (مالوري) و(سارة) نحوَ (فيوليت)... بفساتينِهن الزرقاء المتطابقة عاريةِ الأكتاف. بينما اكتفتْ (جريس) بالابتسامِ من بعيد، حامِلَةً باقة الورد.

حاولتْ (فيوليت) التملُّصَ منهن، لكنَّها فشلت... نازِلَةً إلى الساحةِ بفُستانِها الأبيضِ المنفوش.

رقصَ الجميعُ فرحًا بعد أن اكتملَ حلمُهُم، وابتدؤوا أول أفراحِهِم بزواجِ صديقيهم... على سواحلِ جزيرَةٍ يعتقدُ العالمُ أنَّها مسمومة. مُطمئنِّينَ آمنين، عندهم قوتُ يومِهِم وما يزيدُ عليه... غيرَ عالمينَ بما سيحدُثُ من عواقِب بعد سنواتٍ طِوال.

# العاصمة (ج)، دولة (بريجيرا)

## أغسطس، 1984

# الفصل التاسع والثلاثون

"هيًّا عزيزتي، لنكُنْ قويين!"

قال (تشارلز)، مُقبِّلًا يدَ (فيوليت) وهو يفتحُ بابَ سيَّارتِه... ناظِرًا لبابٍ معدنيٍّ أسودَ مفتوحٍ في مؤخرة المبنى. أرغمتْهُ أشعَّةُ الشمسِ الصَّيفية في منتصف الظهيرة على تضييقِ عينيه العسليتين، وارتداءِ تيشيرتٍ خفيف مع بنطال برمودا. قد خلا الشَّارِعُ من السيَّاراتِ والمارَّة، ولجأ النَّاسُ لبيوتِهِم اتّقاءً للحر.. مُتبرِّدينَ تحت المراوح وأجهزة التكييف.

"ماذا لو لم تكُن أخبارًا سارَّة؟ سنتان ونحنُ نحاوِلُ ونفشل"

تساءلت (فيوليت)، مُتشبِّثةً بيدِ (تشارلز) لتمَنَعَهُ من الخروجِ من السيَّارة... ناظِرَةً له بعينيها الخضراوَين اللتَين امتلأتا يأسًا وتشاؤمًا.

"(فيوليت)، هل سبقَ وواجَهَتْنا عقبةٌ ولم نجتزْها؟"

"أعلم، ولكن..."

"أجيبيني فقط"

"لا"

أجابتْ (فيوليت) ماسِحَةً عرقَ جبينِها وعُنُقِها، مُضيِّقَةً عينيها.

"هذا صحيح، اجتزنا كلَّ العقبات وسحقناها... وسنفعلُ الشيءَ ذاتهُ الآن... هيا"

حفَّزَها (تشارلز) مُغادرًا السيَّارة، لتَتبَعَهُ (فيوليت) ببنطالِ جينزٍ قصيرٍ وقميصٍ واسِعٍ بعدَ أن ضايَقَهُما الحر... متوجّهين نحو الباب المعدني المفتوح. عُلِّقَتْ فوقَ الباب لوحةٌ كُتِبَ عليها "مخرج طوارئ".

كان بانتظارهما ممرٌّ طويل في الداخل، ارتصَّتْ على جوانبهِ غُرَفٌ مُغلَقَة... فوقَ كلٍّ منها عُلِّقَتْ لوحةٌ صغيرة. شعرا ببرودةِ التكييف على أجسادِهما المتعرِّقة، متجوِّلين بين الغُرَف وأعينُهُما تقرأُ اللوحاتِ فوقَها.

"تأخَّرتُما كثيرًا! ادخلا بسرعة"

ظهرَ الصَّوتُ من إحدى الغرفِ التي فُتِحَ بابُها فجأة، نظرا لليسارِ ليجدا شابًّا مُرتَديًا معطَفَ الأطباءِ الأبيض... وتحتَهُ اللباسُ الأزرق. مشيا للداخل بسُرعةٍ وقلق، وألقى الطبيبُ نظرةً على الممرِّ بريبة... مُغلِقًا البابَ بعد ذلك فورًا.

"ألا تعتقِدُ أنَّك تبالِــغُ قليلًا؟ لن يلاحِظَنا أحدٌ لو دخلنا من بوابةِ العيادة"

قال (تشارلز)، مُلاعِبًا لِحيَتَهُ الطويلة... جالِسًا مع (فيوليت) أمامَ مكتبِ الطبيب.

"لا تتساهلْ في هذا الأمرِ يا (تشارلز)، قد أُفصَلُ من

عملي لو علموا بأنّي أستقبِلُ حالاتِ الأزواج من الأعراقِ المختلفة... وقد تلاحَقان أنتُما وتُسجَنان! لولا أنّكُما صديقانِ عزيزان لرفضتُ استقبالَكُما"

قال الطبيب، جالِسًا على كرسيِّه... فاتِحًا أحدَ الملفاتِ على مكتبه.

اكتفى (تشارلز) بالإيماء، مُمسِكًا بيد (فيوليت) المُرتجِفَة... محاوِلًا تخفيفَ توتُّرِها.

"حسنًا، أجرينا جميعَ الفحوصاتِ المطلوبة... وقد ظهرتِ النتائج. آسِفٌ جدًّا لما ستسمعانِهِ، وسيكونُ صادِمًا قليلًا"

وضعتْ (فيوليت) يدَها على فِمِها، وعيناها تنظُرانِ بقلقٍ للطبيب.

"كلاكُما ليسَ بوسعِهِ الإنجاب، حتى إن جرَّبنا الطُّرُقَ الحديثةَ فلن تنجح... أنا آسِفٌ للغاية لإخبارِكُما بذلك"

أنهى الطبيبُ جملته ناظِرًا لهُما بحُزن، وقد اعتادَ توصيلَ الأخبارِ السيِّئة لمرضاه.

اغرورقتْ عينا (فيوليت) بالدموع، بعد أن فقَدت الأملَ في الإنجابِ تمامًا... وما أقسى هذا الشعور!

"ماذا لو جرَّبنا حيوانًا منويًّا من طرفٍ آخر؟"

سأل (تشارلز) مُحاوِلًا حبسَ دموعِه، راجِيًا الطبيبَ أن يُعطِيَهُ بصيصَ أمل!

"لن ينجح، فبويضَتُها غيرُ قابلةٍ للتخصيب"

لم تَتَحمَّلْ (فيوليت) أكثرَ من ذلك وانفجرتْ باكِيَةً، لِيَحتَضِنَها زوجُها بحُرقةٍ وقد ذرفَ الدموعَ رُغمًا عنه.

"لا بأس يا عزيزتي، لا بأس. سنجِدُ حلًّا آخر... لا تقلقي"

قال (تشارلز)، مُطمئنًا زوجَتَهُ التي استمرَّتْ بالبُكاء على كتفه... واضِعًا يدَهُ على رأسِها الأشقر.

"كيف؟ كيف وكلانا عقيم؟! سنتان من محاولاتٍ باءت بالفشل!"

سألتْ بأسى، والنَّحيبُ يتخلَّلُ كلماتها.

"التبنِّي يا حبيبتي، ما أكثرَ الأطفالَ المُنتَظرين لآباء في دور الأيتام"

قال في مُحاوَلَةٍ يائسةٍ لإسعادِ زوجَتِه.

"لن يقبلوا تبنِّينا... فأنتَ أسود وأنا بيضاء"

ردَّت بمنطقٍ شابَهُ غضبٌ وحُزن، ورأسُها لا يزالُ على كتِفِه... باكِيَةً كالأطفال.

"سأجِدُ حلًّا يا حُبِّي، أعِدُكِ بذلك... لا تقلقي!"

أغمضَ (تشارلز) عينيه والدموعُ تتساقَطُ منهما، بعدَ أن أيقَنَ أنَّهُ حُرِمَ من الذريَّة... والأولاد من لحمه ودمه.

## مدينة (بليس)، دولة (أوبيا)

## نوفمبر، 1985

# الفصل الأربعون

عمِلَتْ مسَّاحات الزجاج الأمامية بأقصى سرعتِها، جاهِدَةً في مسح قطرات المطر الذي انهمر بغزارة... مصحوبًا بزمجرةِ الرَّعد. اشتعلَ وميضُ البرق في السماء المُظلِمَة، ليُنيرَها وكأنَّهُ يستهزئُ بضوءِ القمر ويستعرِضُ قواه أمام الجميع... مُختَرِقًا مقاعِدَ السيَّارة بعدَ ذلك.

"تذكَّري... ستُنقِذينَ طِفلَةً من الغرق والهلاك. أخذُكِ لها لمصلحتِها، ما ستفعلينه في غاية النُّبل والإيثار"

قال (تشارلز)، واضِعًا يدهُ على فخذ (فيوليت).

اتَّشَحَ بالسَّواد، من قلنسوةِ قميصِه التي غطَّتْ رأسه إلى جزمته اللامعة الجلديَّة... في مظهرٍ مثيرٍ للريبة والشك... حتَّى أنَّ ملامِحَه اختفتْ تمامًا تحت الظلام والسواد مع بشرته السمراء.

أومأتْ بإصرارٍ، وعينين امتلأتا عزيمةً وإقدامًا... مُقبِّلَةً يد (تشارلز).

"الطفلة رقم 7، (مونيكا جوزلي)... لا أفهمُ لِمَ يسمُّون بناتهم إن كانوا سيرمونهن في البحر!"

تساءلت (فيوليت)، ناظِرَةً إلى مستشفى النساء والولادة أمامَها... وقد خلا تمامًا من الزُّوَّار بعد أن تجاوز الوقتُ منتصف الليل.

لباسُ الممرضين الوردي كان لائقًا عليها تمامًا، مع

شعرِها الأشقرِ المُجَعّد المربوطِ على هيئة ذيل الحصان... كالممرضاتِ العصريات في الأفلام بالضبط.

"من يدري؟ يبدون موقنين في أن بناتهم سيُرفعن للسماء، ليتحولن لملائكةٍ ويقابلوهن في الجنة... لربُّما يعطونهن أسماء ليميّزوهن في الفردوس باعتقادهم الضال؟!"

قال (تشارلز)، مُطلِقًا تنهيدةً عميقة.

"تمنَّ لي حظًّا سعيدًا، أحبك يا عزيزي"

قالت (فيوليت)، مُقبّلةً زوجَها على الخد.

"حظًّا سعيدًا يا حياتي... سأنتظِرُكِ عند مخرج الطوارئ بالخلف"

قال مُتبسّمًا، بقليلِ توتُّر.

أخذتْ (فيوليت) مظلّةً من المقاعد الخلفيَّة وفتحتْ بابَها، لتفتَحَ بعدها المظلّة سريعًا وتغادرَ على عجل. تحرَّكتْ نحو بوابة المستشفى الرئيسة، وقلبُها يخفِقُ بشدَّة... تحتَ غزارةِ المطر. ابتلعتْ ريقَها وهي تتقدَّمُ بسرعة وثقة، رافِعَةً مظلّتَها على رأسها لتحميها من البلل... وعيناها الخضراوان تلمعان مع وميضِ البرق.

بخطواتٍ واثِقَةٍ سريعة، دخلتْ من البوابة... مُغلِقَةً مظلّتَها دون أن يوقِفَها حارسُ الأمن أو يشكَّ فيها للحظة. مشتْ نحو المصعدِ عالِمَةً وجهتَها والاستقبالُ خالٍ، إلا من مراجعينَ قلائل في طريقهم للخروج.

صعدتْ إلى الطابقِ الثالث، ناظِرةً لبطاقة عملِها - المزيَّفة- المُعلَّقة على جيبها العلوي... والتي حملت اسمها وصورتها. خرجتْ من المصعد لتمشي في دهليزٍ طويل، تفرَّعتْ منهُ مداخل لعياداتٍ وغُرَفٍ عدَّة... أضواؤه ضئيلةٌ لانتصافِ الليل واستعدادًا للوردية المسائية.

أضاءَ البرقُ الدهليزَ لوهلة، متبوعًا بهزيمِ رعدٍ مُدَوٍّ أفزعَ الجميع.. عدا (فيوليت) التي استمرَّت بالمشي بثقةٍ وثباتٍ وشجاعة... حافِظَةً الدهليزَ وطرقاته وكأنها تعيشُ في المستشفى. لم تهبْ أحدًا، لم تتردَّد للحظة، حاثَّةً الخُطا نحو هدفها بصرامة... حامِلَةً مظلَّتها المغلقة بيد ويدُها الأخرى في جيبِها.

تفرَّعتْ من آخرِ الدهليز وتوقَّفتْ عند غُرفةٍ زجاجيَّة، أضواؤُها قد خُفِّضَت هي الأخرى... في الواقع كلُّ أضواءِ المستشفى قد خُفِّضَت عدا الاستقبال. مرَّرتْ بِطاقتَها المزيَّفة على الجهازِ فوقَ مقبض الباب، ليتحوَّلَ للونِ الأخضر ويُفتَحَ قفله. تلفَّتتْ يمنةً ويسرةً لتتحقَّقَ من خلو الدهليز، ثمَّ دخلتْ وأغلقت البابَ بهدوءٍ خوفًا من إيقاظِ الطِّفلات. نامَ عددٌ غيرُ قليلٍ من الطِّفلات بسلامٍ وأمانٍ على مهودهنَّ التي ارتصَّتْ بانتظام، وأكبرُ مخاوِفِهن ألّا يحصلن على الحليب... جاهلاتٍ تمامًا أنَّ الغرقَ ينتظرُهن بعد عدَّة أيام!

مشتْ (فيوليت) بينهن بتمهُّل، قارئةً الأسماء التي علِّقت على كلِّ مهد... إلى أن وصلتْ إلى أحدها ونظرتْ للطِّفلةِ

التي رقدتْ عليه متغطّيةً بلحاف صغيرٍ زهري بحجمها. تحققت من الاسم على المهد حتّى لا ترتكبَ خطأً فادحًا، فقد اختارتْ تلك الطفلة بعناية. وضعتْ مظلّتَها وحملتْها بلحافها بلُطفٍ حتّى لا تستيقظ، وقلبُها يطيرُ من السعادة... ناظِرَةً إليها بعطفٍ وحنان.

"مرحبًا (ستيفاني)... أمُّكِ هنا"

همستْ باسِمَةً وهي تنظرُ للطفلة النائمة، ببشرتها البيضاء الشاحبة ويديها المشدودتين الصّغيرتين.

أخذتْ نفسًا عميقًا وحملتْ مظلّتَها بطرفِ إصبعها ثمّ توجّهتْ نحو الباب، فالجزءُ الأصعبُ من المهمة على وشك البدء... مُغادرة المستشفى دون أن يلاحظها أحد. خرجتْ من غرفة الحضانة، ناظِرَةً للرضيعات بحُزن لآخر مرة قبل أن يلقين حتفهن... غيرَ قادرة على إنقاذهن جميعًا. لم تضيّعْ ثانيةً واحِدَةً وسلكتْ أقربَ سلالمَ للطوارئ، وبدأتْ بالنزولِ مُهرولَةً... وقلبُها ينبضُ بسرعة.

زأرَ الرَّعدُ بعُنفٍ أفزع قلبَ الطِّفلة، وإذ بها تستيقظُ صارِخَةً باكية... بعدَ أن هزَّ الرعدُ كيانها وأقلقه.

"لا لا لا، اللعنة"

قالت (فيوليت)، وقد زادت من سرعتِها راميةً بمظلّتِها وراءها... حامِلَةً (ستيفاني) بكلتا يديها وكأنها تخشى عليها من السرقة.

صراخُ (ستيفاني) يتزايد، الرَّعدُ يزمجِرُ مع وقعِ المطر الشديد، البرقُ يشتعِلُ ختامًا ليُكمِلَ حفلةَ الرعب والقلق... و(فيوليت) تجري بأقصى سرعة.

لم تلتفِتْ (فيوليت) أبدًا للوراء وواصلتْ حتى وصلتْ للدور الأرضي، ولن تدعَ أحدًا يأخُذُ طفلتَها منها... كأشرسِ ذئبة تدافِعُ عن صغيرتها. فتحتْ باب السلالم وأسرعتْ إلى مخرج المستشفى الخلفي، الخاص بالطوارئ في حالةِ حدوثِ الحرائق وما إلى ذلك... ضامَّةً (ستيفاني) إلى صدرها. رأتْ سيارة الدفع الرباعي البيضاء قريبةً منهما، مُظلَّلةً بالكامل لا يُرى من بداخلها... ليرتاحَ قلبُها قليلًا.

خرجتْ للسيارة والمطرُ يتساقطُ عليها ويبلِّلُها، محُاوِلَةً حماية (ستيفاني) الباكية من المطر.

"تحرَّك تحرَّك تحرَّك"

قالتْ (فيوليت) راكِبَةً السيارة، وقد ابتلَّ شعرُها وملابسُها... وطفلتُها تبكي بين يديها.

انطلقَ (تشارلز) بالسيَّارة بعد أن أغلقت الباب، مُلقِيًا نظراتٍ بين الحين والآخر لابنته البكر... وكُلُّهُ شوقٌ لحملِها وتقبيلِها.

"ششششش، شششششش، يا حبيبةَ ماما. يا قلبَ ماما"

قالتْ (فيوليت) وهي تضعُ ابنتَها التي سرقت قلبَها على

كتِفِها، مُطَبطِبَةً عليها لتتوقَّفَ عن الصُّراخ... والفرحةُ والسرورُ باديان على مُحيَّاها المُتعَب.

# العاصمة (فريك)، دولة (أوبيا)

## نوفمبر، 1986

# الفصل الحادي والأربعون

"نعم، قلعةٌ كبيرةٌ نعيشُ فيها أنا وأنتِ وبابا وماما!"

قالت الطفلة (آجنيس) وهي تلعبُ بالمُكعَّبات، واضِعَةً قواعِدَ قلعتِها الزرقاء... بغرفةِ ألعابِها التي تلوَّنَتْ جدرانها باللون الزهري. امتلأتْ تلك الغرفة بمختلفِ الألعاب المرتَّبةِ في الصناديق، من دُمًى وسيَّاراتٍ وقطاراتٍ ومسدَّساتٍ وغيرِها... من أنخرِ الشَّركات وأغلاها ثمنًا.

أشعَّةُ الشمس المتسللة من النافذة قد انعكست على عينيها الزرقاوين. قميصُها الأبيضُ المرقَّط مع الحمَّالات الممتدَّة من بنطالِها الأزرق، وشعرُها الأشقرُ الناعم المرفوعُ كقرنين... أثبتا شدَّة اهتمامِ أمِّها بها وذوقَها العالي في الأزياء.

"أووووو، كلُّنا نسكنُ فيها؟ لا أعتقد أنَّها ستكفينا!"

قالت الخادِمَةُ وهي تساعِدُ (آجنيس) في التركيب والبناء، مُتبسِّمَةً بلباسِها المعتاد اليومي... قميصٌ أسودُ منتهٍ بتنُّورةٍ منفوشة تعلوهُ ياقةٌ بيضاء... كأيِّ خادمةٍ في العالم. بشرتُها الحنطيَّةُ على عينَيها الخضراوَين المُتعبتَين شكَّلَت مزيجًا جميلًا، مُتناسِقًا مع شعرِها الأشقرِ الطويلِ الذي لم يُصفَّف ويُعتنَ به منذُ زمن... قليلُ اهتمامٍ بنفسِها فقط وسيُصبحُ جمالُها سارِقًا للقلب حتى مع بنيةِ جسدِها الرجاليَّة. لكنَّها ظروفُ الحياةِ القاسية، التي أجبرتْها على العمل كخادمةٍ في سنِّها الصغيرة... تنظِّفُ وتغسِلُ وتطهو الطَّعامَ للأغنياء.

تركَ العملُ الشّاقُّ آثارًا لا تُمحى على وجهِها، رغم أنّها على مشارفِ العشرينَ من عمرها فقط. كانتْ أحسنَ حالًا من غيرها من الخادمات على أية حال، فهي تعملُ في القصر الملكي... وليسَ عند أيِّ عائلةٍ ثرية فحسب.

"إن لم يكُن كافيًا فستنامين بالخارج"

قالت (آجنيس) ضاحِكَةً، ليظهرَ سِنُّها الأمامي المكسورُ الذي جعلَ شكلَها مُضحِكًا ولطيفًا.

"همممم، يا غدّارة!"

قالت الخادمة مُضيِّقَةً عينيها تجاهَ (آجنيس)، لتنقضَّ عليها وتُدغدِغَها بعدَ ذلك.

انطلقت الضحكات المتتاليات منها، مُفرفِرَةً بجسدِها كالسمكة... محاوِلَةً التملُّصَ من الخادمة والهروب.

"حسنًا حسنًا، ستنامين معنا في القلعة"

استسلمتْ (آجنيس) بجملةٍ تخلَّلتها الضحكات المتقطِّعة.

تركتْها الخادمةُ وهي تضحك، و(آجنيس) تلتقطُ أنفاسَها مُستلقِيَةً على الأرض... بعدَ أن أنهكَتها كثرةُ الضَّحك.

عادَ تنفُّسُها لمعدَّلِهِ الطبيعي المُنتَظِم، لكنَّها بقيت مُستَلقيةً على الأرض ناظِرَةً لسقفِ الغرفة... وابتسامتُها قد تلاشت.

"عمة (زهير)، هل لي أن أسألكِ عن شيء؟"

سألتْ (آجنيس) بجديَّة، محوِّلَةً نظرَها لـ (زهير)... التي جلستْ بجانبِها مادَّةً ساقيها.

"كم مرَّةً أخبرك أن تناديني (زهير) فقط؟ ما زلتُ صغيرةً جدًّا على كلمة (عمة). وبالطَّبع يا حبيبتي، سلي عمّا أردتِ في أي وقت... دون استئذان حتى"

قالت (زهير) بمزاجٍ ورِقَّة، رافِعَةً بعضَ الشُّعيراتِ عن وجهِ (آجنيس).

"علَّمتني ماما أن أناديكِ كذلك، وسأستمر"

قالت (آجنيس)، مادَّةً لسانها مُغمِضَةً عينيها... في منظرٍ بلغ في اللطافةِ غايته.

"هل هو أمرٌ سيئ أن نكون فتيات؟"

أكملت (آجنيس) ببراءة، وقد عادت نظراتُها الجديَّة للسقف... غارِقَةً في التفكير.

"أوه يا روحي أنتِ، من قال لكِ ذلك؟ لا يا قلبي لا، وألف لا! لا عيبَ ولا مشكلة في كوننا فتياتٍ أبدًا، لِمَ تعتقدين ذلك؟"

أجابت (زهير) وهي تلاعِبُ شعرَ (آجنيس) الأشقر، ناظِرَةً لها بشفقةٍ ورأفة... مُقطِّبَةً حاجبَيها من غرابة السؤال وهجومِهِ المفاجئ.

"لِمَ يحبُّ بابا أخي (ليكتور) أكثرَ مني إذًا، ولا يجلِسُ معي أبدًا ويتضايقُ عند رؤيتي؟"

سألت سؤالَها الثاني، ليظهرَ تقدُّمُ عقلِها على سنِّها ونباهتُها وفطانتُها... ناظِرةً لـ (زهير) بنظرة همٍّ وغمٍّ وكأنها في الثلاثين من عمرها.

"يا حبيبتي، أبوكِ لا يكرهُكِ أبدًا ولا يحبُّ (ليكتور) أكثرَ منكِ. هو فقط منشغلٌ بأعباء الحُكم وليسَ لديهِ الكثيرُ من الوقت، ولأن (ليكتور) يكبُرُكِ سنًّا... فيقضي أبوكِ معهُ وقتًا أكثر. هذا كلُّ ما في الأمر، لا تشغلي بالكِ بالتَّفكير"

قالت (زهير)، بل كذبت. هي تعلمُ في قرارةِ نفسِها أنَّ كلامَها هراءٌ محض، وأنَّ الملك (بريجيوس) يكرهُ ابنتهُ حقًّا وأراد رميَها في البحر لتتحوَّلَ لملاك باعتقادِهِ السَّقيم... ويحِبُّ ابنَهُ (ليكتور) أكثرَ منها وسيكونُ هو وريثَهُ الوحيد في استلام زمامِ الدولة بعدَه. لكن حُقَّ لها الكذب، فأيُّ طفلةٍ في السادسة من عمرها ستتحمَّلُ سماعَ كلامٍ مثلِ ذلك؟

استمرَّتْ (آجنيس) بالنَّظر للأعلى، وفي نفسِها شيءٌ من إجابة (زهير) غيرِ المُقنعة... والتي تمنَّتْ ألّا تُحرِجَها رجاحةُ عقل (آجنيس) بأسئلةٍ لا مفرَّ منها.

"ولِمَ لا يُسمَحُ لي بالخروجِ من القصر أبدًا؟ هل أنا مريضةٌ حقًّا كما تقولُ ماما؟ (ليكتور) يخرجُ دائمًا!"

رمتْ بسؤالِها الثَّالث، والذي كان بمثابة القنبلة لـ (زهير) ... فكيفَ المفر منه؟

"نعم يا عزيزتي، أمُّكِ مُحِقَّة... رئتاكِ لا تتحمَّلانِ استنشاقَ الهواءِ في الخارج. لكنِّي سأخبرك سرًّا، اقتربي"

قالت (زهير)، حامِلَةً (آجنيس) لتضَعَها على حِجرِها... مُقبِّلَةً رأسها.

"لكن عليكِ أن تعديني ألّا تخبري به أحدًا!"

همست (زهير)، قارِصَةً وجنتَي (آجنيس) بلُطف... مُستعِدَّةً لكذبتِها القادمة.

أومأت (آجنيس) برأسِها بحماس، مُهيِّئَةً أذنها للسماع.

"أنا والسيدة (فيرا) نبحثُ لكِ عن علاجٍ منذُ وُلِدتِ، وقد اقتربنا من العثور على واحدٍ في (بريجيرا)"

همستْ (زهير) في أذن (آجنيس)، التي استمعتْ بلهفةٍ وحماس.

**"حقًّا؟! أوووه أحبكِ أحبكِ أحبكِ، أنتِ وماما!"**

صرختْ (آجنيس) فرِحَةً، لتنكبَّ على (زهير) تقبيلًا في شتَّى مناطِقِ وجهها.

"لكن لا تخبري به أحدًا حتى ماما"

قالت (زهير) بابتسامٍ مستلقِيَةً على الأرض، و(آجنيس) تمطِرُها بالقبلات.

بالطبع لم تكُن مريضة، فأيُّ مرضٍ هذا الذي يصيبُ الإنسان ليمنعهُ من استنشاق الهواء؟! كيف سيعيش؟!

كذبةٌ انطلتْ على المسكينة منذ خرجتْ للحياة، ليمنعوها من الخروجِ تمامًا من القصر.. بل خصَّصوا لها طابقًا لم تُغادِرهُ منذ وُلِدَت رُغمَ أنَّ أمَّها وفَّرَت لها كلَّ ما تحتاجه في ذاك الطابق، من ألعابٍ وتلفازاتٍ وتعليمٍ خاص وغيرها... إلا أنَّها حرمتْها من شيءٍ غالٍ جدًّا على الإنسان. بل هو أغلى ما يملِكُهُ وهو ما يميِّزُهُ عن بقية المخلوقات بعد العقل، حرمتْها من الحرية... مُجبَرَةً على ذلك حتى لا يراها أحد.

"أين ماما بالمناسبة؟ تأخَّرَتْ كثيرًا"

قالت (آجنيس) مُقطِّبَةً حاجبَيها، مُستلقِيَةً على الأرضِ بجانبِ (زهير)... بعد أن عبَّرَتْ عن فرحِها بالخبر المكذوب.

"لا تخافي، قد تكون..."

قاطعَ (زهير) صوتُ وقعِ أقدامٍ مُسرعة خلفهما، حوَّلَتْ نظرَها للباب مُترقِّبَةً القادم لهما... معدِّلَةً نفسها لتتربَّعَ على الأرض.

"هذه ماما!"

قالت (آجنيس) بابتسامٍ، متشوِّقَةً للُقيا أمِّها... على عكس (زهير) التي نظرتْ للبابِ بقلق.

فُتِحَ البابُ لِيَظهَرَ من لم نتوقعاه أبدًا، لم تكُن السيدة (فيرا)... بل كان زوجَها! وقف الملِكُ (بريجيوس) ببيجاما زرقاء حريرية حافِيًا، بشعرٍ فوضويٍّ أسودَ اختلطَ

بالبياض... لم يعلُهُ التَّاجُ هذه المرَّة... مما أوحى باستيقاظه من النوم للتو. نظرَ لـ (آجنيس) لاهثًا بعينين اشتعلتا شرًّا وغَضَبًا، وملامِحهُ لا تبشِّرُ بالخيرِ أبدًا.

وقفتْ (زهير) وانحنت احترامًا للملك، وجسدُها يرتجِفُ بالكامل خوفًا منه.

"جلالة الملك، مرحبًا بك... كيف أستطيعُ خدمتك؟"

قالتْ واقِفَةً أمامَهُ ونظرُها للأرض، مُشبِّكَةً يديها المرتعشتين تحتَ بطنِها.

دفعها الملِكُ بعنفٍ حتَّى سقطتْ أرضًا، وتوجَّهَ نحو ابنته النَّاظِرَةِ إليه بعينين مفتوحتَين على مصاريعِهما... والشرُّ يتطايرُ من عينيه.

"أنتِ لعنة! لعنة!"

صرخَ (بريجيوس) بأعلى صوتِهِ جالِسًا القرفصاء أمامَها، وعيناهُ المرعبتان تُحَلِقان بعينيها الزرقاوَين اللتَين غرقتا بالدموع.

"منذُ أتيتِ لعالمِنا والنَّكَباتُ والمصائبُ تنهالُ علينا، حلَّت علينا اللعنة بكلِّ معنى... حتَّى ماتتْ زوجتي اليومَ بسببك! بسببك!"

وبَّخَها بلا رحمة وهو يهزُّها بعُنفٍ، لتبدأ الصغيرةُ بالبكاء ويداها ترتعشان... في مشهدٍ نُزِعَت فيهِ رحمةُ الأب أيَّما انتزاع.

اقتربتْ نحوه (زهير) بهدوء، باذِلَةً وسعَها في تهدئته... ليصفَعَها بشدَّةٍ أصابتْها بالدوار وسقطت من قُوَّتِها.

"لا أريدُ أن أراكِ أبدًا، وإن رأيتُكِ أمامي فلن أترَدَّدَ في قتلك! أتفهمين؟"

قال رافِعًا رأسها للأعلى بقوَّة، وهي تبكي دون حولٍ أو قوَّة... ومن أين لها قوَّةً بعدَ والدِها الذي يهدِّدُها بالقتل؟

"أتفهمين؟"

أعادَ سؤالَهُ مُجدَّدًا، صارِخًا وقد تطايرَ رذاذُ لعابِهِ على وجهِها... لتومِئَ المسكينةُ باكِيَةً وقلبُها قد سقطَ من مكانه.

غادرَ الغرفةَ وأغلقَ بابَها بعُنفٍ، تارِكًا خلفَهُ جراحًا لا تُشفى... وآلامًا لا تُنسى. جرتْ (زهير) لـ (آجنيس) واحتضنتْها وهي تبكي بحُرقة، وقلبُها يتقطَّعُ من شدَّة الخوف والأحزان. لا تعلمُ أتبكي على أبيها الذي يكرهُها ويتمنَّى موتَها، أم على أمِّها التي سمعتْ خبر وفاتِها للتو؟!

"هـ.. هـ.. هل ما... ماتتْ أمـ.. أمـ.. أمي؟"

سألتْ (آجنيس) ببكاءٍ والدموعُ تتساقطُ على كتفِ (زهير)، التي صُدِمَت هي الأخرى من الخبر كما صُدِمَت (آجنيس)... عالِمَةً أنَّها ستكونُ أمَّها من بعدِ أمِّها... كما أوصتها السيدة (فيرا).

اكتفتْ باحتضانِ الطفلة الباكية بصمتٍ، مُمسِكَةً رأسها لتُطَبطِبَ عليه... وقلبُها امتلأَ حِقدًا وغِلًّا على الأب المنزوع

الرَّحمة.

# العاصمة (فريك)، دولة (أوبيا)

## أكتوبر، 1988

# الفصل الثاني والأربعون

تلاعبت الرِّياحُ الليليَّةُ اللطيفةُ بأوراقِ الشَّجرِ المُصْفَرَّة، بعد أن جفَّفها الخريفُ وأسقَطَهَا أرضًا... تارِكًا أشجارَ حديقةِ القصرِ خاليَةً تمامًا من الورق. لولا بعضُ الأزهار الخريفية التي تفتَّحت وازدهرت، لبدا منظرُ الحديقة بشِعًا جدًّا... لكنَّها قامت بدورِها على أكملِ وجه.

لم تكُن أوراقُ الشَّجر هي الوحيدةَ الذَّابِلةَ والجافَّةَ آنذاك، بل شارَكَها فؤادُ فتاةٍ أكلَ عليهِ الدَّهرُ وشرِب... ذابلًا جافًّا مُتساقِطًا.

نظرتْ (آجنيس) للحديقَةِ من نافذةِ غرفتِها، التي صمَّمَتها لها أمُّها خصِّيصًا واختارتْ أثاثَها بكُلِّ عناية... برونقِ أميراتِ طفولي... لتغادِرَ أمُّها عالَمَها بعد ذلك.

تركتِ ابنتها حبيسَةً في طابَقِها، لتقضي فيهِ عامَين مُتتالِيَين من العُزلة... لم ترَ فيهما أحدًا إلا خادِمَتَها!

كلُّ يومٍ كالذي سبَقَهُ بالضَّبط، خالٍ من الإثارة والمُتعة والحيوية... وإن جدَّ جديدٌ فسيكونُ مُحزِنًا لا يسرُّ أحدًا. لم يكتَرِثْ أحدٌ لأمرِها، إلا خادِمةٌ تُنَفِّذُ وصيَّةَ سيِّدَتِها لترعى (آجنيس) بعد رحيلِ أمِّها. لم يعلمْ أحدٌ بوُجودِ فتاةٍ تُسمَّى (آجنيس) أصلًا، إلا قِلَّةٌ قليلةٌ تُعَدُّ على الأصابِع... ولن يخبروا أحدًا بوجودِها لعدم مقدِرَتِهم.

تأمَّلت الطفلةُ (آجنيس) الحديقَةَ بصمتٍ وبرود، مُرتَدِيَةً

بجامَتِها البيضاءَ التي امتلأتْ برسوماتٍ إحدى الأميراتِ الخياليَّات... واضِعَةً خدَّها على يدِها وقد فقدتْ طعمَ الحياة.

قاطعَتْ طَرَقاتٌ عديدةٌ على البابِ بحرَ أفكارِها، وعادتْ للواقِع سريعًا مُستديرَةً نحوَ الباب بكرسيِّها الدوَّار.

"الباب مفتوح"

قالتْ (آجنيس)، عالِمَةً الشَّخصَ خلفَ الباب دون تفكير... فهو الوحيدُ الذي تراهُ لأعوام... باستثناءِ زياراتٍ نادِرَةٍ تعيسةٍ من أبيها.

"مرحبًا مرحبًا، كيف حالُ الأميرة الصغيرة؟"

دخلتْ (زهير) الغرفة حامِلَةً طبقًا مُغطًّى، بقميصِ نومِها الأبيضِ القصير... لتظهرَ رُكبتاها الحِنطيَّتان.

"أهلًا أهلًا... بخير"

رحَّبتْ (آجنيس) بأنيستِها الوحيدة بأسلوبٍ فاقَ عمرها بمراحل، وهي تلاعِبُ شعرَها الأشقرَ الطويل المنسدِل على كتفيها... وبعضُ خصله تساقطتْ على عينيها الزرقاوين.

"خمني، ما الذي سنتناولُهُ الليلة؟"

قالت (زهير) واضِعَةً الطبق المغطَّى على الأرض، مُخرِجَةً مفرشَ طعامٍ من جيبِها لتفرده.

"دعيني أشتمُّ رائحتهُ أوَّلًا"

قامتْ (آجنيس) عن الكرسي واتَّجهتْ نحو الطبق بلهفة، ناسِيةً كلَّ همومِها للحظة.

"هذا غش!"

قالت (زهير)، مُتبسِّمَةً وهي تفرد المفرش.

"نسيتُ العصيرات، ضعي الطبق على المفرش وانتظريني... سأعودُ سريعًا"

هرعت (زهير) للخارج بينما قرَّبتْ (آجنيس) أنفَها من الطبق، لتشتمَّ رائحة الدجاج الشهيَّة. وضعته على المفرش وتربَّعتْ بانتظارِ صديقتِها، رافِعَةً شعرَها الذي ضايق عينيها... عائدةً لأفكارِها الحزينة.

لحظاتٌ وسمِعَتْ (آجنيس) خطواتِ (زهير) تقتربُ من الغرفة، وفتحت الطبق لترى إن كان تخمينُها صحيحًا... دجاجٌ مُحَمَّرٌ مشوي بالفعل.

"ها! دجاجٌ كما توقَّعت"

قالت (آجنيس) بصوتٍ عالٍ وحماسة، في منظرٍ بريءٍ للغاية... رغم كل الآلام التي واجهتْها إلا أنَّ براءة الطفولة لا تتغير.

لم تسمعْ ردًّا من (زهير)، ووقعُ الخطواتُ توقَّفَ تمامًا على مقربَةٍ من غرفتِها... مما جعلها تلتفِتُ للخلف ناحية الباب. فتحت عينيها على مصاريعهما، وسقط قلبُها من مكانه وارتجف جسدُها بالكامل... حين رأت أباها واقِفًا

عند بابِها. على عكسِ الطفلاتِ حولَ العالمِ، اللاتي يقفزن فرحًا عند رؤية آبائهن... ويجرين نحوهم ليتحضنَّهم.

(بريجيوس) لا يأتِي إلا بِشَر، هذا ما تعلَّمَتهُ (آجنيس) من تجاربها المريرة مع والدها... والتي لن تنساها ما حيِيَتْ.

لكنَّ الغريبَ والجديدَ تلك المرة أنَّهُ وقفَ مُبتَسِمًا، بروبٍ أسود من الحرير... وتاجهُ الماسيُّ استقرَّ فوقَ شعرِهِ الأسودِ الناعم المختلط بالشَّيب.

"كيف حالك؟"

سأل الملك بابتسامة، متوجِّهًا نحوَ سريرِ ابنته... مُداعِبًا لحيتَهُ القصيرةَ البيضاء.

ابتلعتْ (آجنيس) ريقَها ناظِرَةً لأبيها بخوف، فلم ترَ ابتسامَتَهُ منذ خرجتْ للحياة... قد يبتسمُ الشَّيطان حتَّى لكنَّ (بريجيوس) لا يبتسم!

"بخير"

قالتْ بنبرةٍ خافتة، مُعدِّلَةً جلستَها ويداها ترتعشان... والرعبُ بادٍ في عينيها البريئتَين.

"اقتربي من أبيكِ يا حياتي، لا تخافي"

قال بابتسامَةٍ واضِعًا كفَّهُ على حِجرِه، في مشهدٍ لم تتخيَّلهُ (آجنيس) حتى في أحلامِها.

تحرَّكتْ نحوَهُ بهدوءٍ وبُطء، بخطوات حذرة وكأنها تقترِبُ من حيوانٍ مفترس... إلى أن وقفتْ أمامَه بابتسامةٍ مُصطَنعة... ناسِيَةً عشاءَها بالكليَّة.

"أخبريني، ماذا فعلتِ اليوم؟"

قال (بريجيوس) ببشاشة، حاملًا ابنتَهُ ليضَعَها على حِجرِه.

ابتسمتْ (آجنيس) بخجلٍ وأبوها يلاعِبُ شعرَها الأشقر، وقلبُها مغمورٌ بالفرحة والاستغراب... غيرَ مُصدِّقة البتة أنَّ قلبَ أبيها حنَّ أخيرًا على ابنته الوحيدة.

"همممم... لعبتُ بقطاري، وقضيتُ بعضَ الوقتِ مع بناتي"

أجابتْ وعيناها تنظرانِ للأسفلِ خجلًا، وكأنَّ أباها رجلٌ غريبٌ تتحدَّثُ معهُ لأول مرَّة... في الحقيقة كان رجلًا مختلفًا تمامًا عن ذي قبل.

"أوووه، بناتك... عرفيني عليهن"

قالَ مُقبِّلًا رأسَ طفلته لأوَّل مرة في حياته.

"تلكَ (فيرا)، وتلك (زهير)، والأخيرة والأصغر (جازمين)"

قالتْ وهي تشيرُ إلى دماها الثلاث التي تراصَّتْ على الحائط في زاوية الغرفة.

"هي (آجنيس)، أعتذر عن التأخر... كنتُ أبحثُ عن

عصير التوت المفضل..."

توقَّفتْ (زهير) عن الكلام تمامًا، وأسقطت العصيرات التي حملتها من الصدمة... حين دخلت الغرفة ووجدتْ (آجنيس) في حجرِ أبيها الملك المبتسم.

"جـ.. جـ.. جلالة الملك، كيف أستطيعُ خدمتك؟"

قالت (زهير) بتوتُّر، راكِعَةً أمام الملك برجفة... وكلُّها خوفٌ على (آجنيس) من والدها.

"اخرجي وأغلقي الباب خلفكِ"

أجابَ الملكُ بصرامة، مشيرًا بإصبعهِ للخارج... وقد تلاشتِ ابتسامته.

خرجتْ (زهير) تنفيذًا لأمر سيِّدِها رغمًا عنها، شاعِرَةً بنبضِ قلبِها المتسارعِ في أرجاءِ جسدِها... بعدَ أن رأت منزوعَ الرحمةِ يحمِلُ ابنتَهُ ويتبسَّمُ في وجهها لأول مرة.

لم تكُن لتترُكَهُما وشأنهما، وألصقتْ أذنها بالباب لتستمِعَ لحديثِهِما... مُتمَنِّيَةً أن يكونَ قلبُ الأبِ قد عَطَفَ أخيرًا على ابنته.

"الآن يا عزيزتي، بابا يحتاجُ منكِ شيئًا مهمًّا... ستفعلين أيَّ شيءٍ من أجل أبيكِ... صحيح؟"

بصعوبةٍ تامَّة استطاعتْ (زهير) سماعَ جُملتِه.

"نعم بالتأكيد!"

ردَّت (آجنيس) بحماس وصوتٍ عالٍ.

"أريدُكِ أن تخلعي ملابِسَكِ وتستلقي بجواري هنا"

سقطَ قلبُها من مكانه حين سمِعَتْ جملته الحيوانية تلك، فاتِحَةً عينيها على مصاريعهما... واضِعَةً يدها على فمها لتمنَعَ نفسها من الصراخ! لم ترتَحْ أبدًا لابتسامته تلك، فلا خيرَ يأتي من وراء ذاك الوغد الحقير المختل.

تمَنَّتْ لو ماتتْ آنذاك وكانتْ نسيًا منسيًّا، تمَنَّتْ لو انشقَّت الأرض وابتلعتها... وكم تمَنَّتْ أن تنقذ طفلتَها -التي لم تلِدها- من موقفٍ لا يُنسى ولا يُغتَفَر.

أسندتْ ظهرَها على الحائطِ بجانبِ الباب، واضِعَةً يديها على فمِها والدموعُ تتساقطُ من عينيها الخضراوَين كالشَّلَّال... مُتخيِلَةً ما يجري في غرفة المسكينة التي لن تفهَمَ شيئًا مما سيحدُثُ لها. استسلمتْ قدماها أخيرًا لتجلِسَ على الأرض، وجسدُها يرتجِفُ بالكامل، ودموعُها تسيلُ وقلبُها يُطعَن ألفَ مرَّة... كلَّما تذكَّرَتْ أنَّها لم تستَطِعْ حمايَتَها من اعتداء المختل الشهواني.

الثواني تمرُّ كالدَّقائق... والدَّقائقُ تمرُّ كالسَّاعات... على فؤادِ (زهير) الذي انفطرَ وتقطَّع، دون أن تسمعَ همسًا أو صوتًا من الغرفة. لم تعلمْ كم مضى من الوقت، عشرُ دقائق؟ عشرون دقيقة؟ نصفُ ساعة؟ أكثرُ من ذلك؟ استمرَّتْ فقط بذرفِ الدموع جالِسَةً على الأرض، مُرتعشةً وشعرُ جسمِها يقف، مُتمنيةً الموتَ لـ (بريجيوس) ألفَ

مرَّةٍ في الدقيقة... بأبشعِ الطُّرُقِ المُمكِنَة!

خرجَ القَذِرُ من غرفةِ ابنتِهِ مُغلقًا روبَهُ الأسود ببرود، لتلتقي عيونُهُ بعيونِ (زهير) الخضراءِ المُحَمَّرةِ الدَّامِعة... وكلُّها رغبةٌ في طعنِهِ حتى تُغادِرَ روحُهُ القذرة جسدَهُ الأقذر.

جلس القرفصاءَ بجانبِها وقرَّبَ فَمَهُ من أذنها، وهي تنظرُ لهُ بخوفٍ وحِقد وجسمُها الضَّعيفُ يرتجف... هامِسًا:

"إن أخبرتِ أحدًا بما حدث، فستتمنين الموتَ ألفَ مرَّة... من شدَّة العذاب الذي ستواجهينه"

مشى بعيدًا لِتَدخُلَ (زهير) الغرفة، وتجِدَ (آجنيس) مُختَبِئةً تحتَ الفراشِ بارتجافٍ من هولِ ما رأت... مُهمِهمَةً بكلامٍ لا يُفهَم.

***

"جرتْ (ليلى) نحوَ أُمِّها لتحتَضِنَها بصمت، ودموعُها تسيلُ على وجنتَيها بخوف... مُقسِمَةً ألّا تعودَ..."

قاطعَ شخيرُ (آجنيس) العالي قراءةَ (زهير)، مُستلقِيَةً بجانبِها على سريرها الزهري... مُمسِكَةً يدَ (زهير) بشدَّة. تنهَّدتْ (زهير) بعُمقٍ وأغلقت قصَّةَ الأطفالِ الكبيرةَ بهدوء، خوفًا من أن توقِظَ المسكينةَ التي بالكادِ غرقتْ في النوم... بعد الموقفِ المهولِ الذي واجهتْه. سحبتْ يدها بلُطفٍ وقامتْ من السَّرير، بقميصِ نومِها الأبيضِ القصير.

مشتْ على أطرافِ أقدامِها الحافية بخِفَّة، وأطفأتْ أنوارَ الغرفة وغادرت... تارِكَةً الصغيرة لتُواجِهَ ما تخبَّأ لها من كوابيسَ مرعبة.

أسرعتْ في المشيِ برِوَاقِ الطابق، مُطفِئَةً أنوارَهُ الصفراء في طريقِها... بعد أن انتصفَ الليل وسكنَ النَّاس. سقطتْ دمعةٌ من عينها وهي تتذكَّرُ ما حدث، مسحتْها وتقدَّمَتْ بإصرارٍ شادَّةً فكَّيها وقبضتَيها... عاقِدَةً العزمَ على أمرٍ في نفسِها.

خرجتْ من الطابق وأقفلته بالمفتاح، مانِعَةً الجميعَ من الدخول والخروج... ولم يكُن أحدٌ ليدخُلَ غيرها. بدأتْ بالنُّزول من سلالمِ القصرِ الدائرية الفاخرة، التي امتلأتْ بالتماثيل واللوحاتِ النَّفيسة... ووجهُها لا يبشِّرُ بخيرٍ إطلاقًا والشَّررُ يتطايرُ من عينيها الخضراوين.

وصلتْ للطابق الثاني وهي تحثُّ الخُطا، وقد خُفِّفَتْ إضاءتهُ ليظهرَ بشكلٍ هادئٍ غامض. تعلَّقتْ مختلف اللوحاتِ على جدرانه، وكان أطولَ وأكبرَ من طابق (آجنيس)... مُمتلِئًا بغُرَفٍ على اليمين والشِّمال. لم تطِل المشيَ هذه المرَّة، ووصلتْ للغرفةِ المنشودة على مقرُبَةٍ من السلالم.

فتحت البابَ بهدوءٍ لكنَّ صريرَهُ أبى إلا أن يُحدِثَ جَلَبةً لقدَمه. دخلتِ الغرفةَ وقد غطَّاها الظلام الحالك، وتوقَّفتْ مكانَها حتَّى تعتادَ عينُها على الظلام... ثُمَّ تقدَّمتْ

نحو سريرِها بحذر. حوتْ تلك الغرفةُ العديدَ من الخدم الغاطّينَ في نومٍ عميق، على أسرَّتِهم القديمَةِ المتراصَّةِ ذاتِ الدورين... بعد أن أنهكَهُم العملُ من تنظيفٍ وتمسيحٍ وتغسيلٍ وتلبيةِ طلبات. أصواتُ الشَّخيرِ المُزعِج علت الغرفة، بترتيبٍ وتكرارٍ وكأنَّها معزوفة... معزوفةٌ تعبِّرُ عن إرهاقِ أولئك الخدم.

ارتمتْ على سريرِها فورَ وصولِها له -والذي كان بالدور السُّفلي- وتغطَّت ببطانيتها، ناظِرَةً للأعلى بقلبٍ مكسورٍ لا يُجبَر وعينين حاقدتين... وعقلُها منغَمِسٌ في التفكير.

"هيه، ما الذي أخَّرَكِ هكذا؟"

همستْ خادِمَةٌ أطلَّتْ عليها من الدور العلوي للسرير، ليبرُزَ لمعانُ عيونِها البندقيَّة وشعرها القصير الأسود... وكأنَّها جنيَّة.

"آه لو تعلمين ما حدث اليوم، كم تمنَّيتُ الموتَ على أن أراهُ يا (جوديث)"

همستْ (زهير) وهي تنظرُ لـ (جوديث)، بعينينِ أحاطَ بهما الأسى والقهر.

"يا إلهي، ماذا حدث؟"

سألتْ (جوديث) هامِسَةً بعينين مفتوحتين على مصاريعهما، بفضولٍ اعتراهُ القلق.

رفعتْ (زهير) جسدها واقتربتْ من (جوديث) التي

أطلَّ رأسها من فوق كالقرد، مُحتاطَةً كي لا يسمعها أحد... وقالت:

"أتى الملعون اليوم واغتصبها بكل برود!"

وضعتْ (جوديث) كلتا يديها على رأسِها ناظِرَةً للأسفل، غيرَ متوقِّعَةٍ أنَّ هناك أبًا بتلك القسوة والمرض.

هزَّتْ (زهير) رأسها مُغلِقَةً عينيها، آخِذَةً نفسًا عميقًا.

"أما زلتِ على الخطَّةِ ذاتِها؟"

سألتْ (جوديث) بهمس.

"لا بديل لها، وإن كنتُ أخشى أن يفعل اللعينُ فَعلَتَه مرَّةً أخرى ويعتادَها"

أجابت (زهير).

"اثنا عشرَ عامًا من الآن، هذا أمدٌ بعيدٌ للغاية"

"أعلمُ أنَّهُ بعيد، والكثيرُ من الأمورِ قد تتغيَّر.. لكنَّهُ الحل الوحيد"

"الخَدَمُ في مواجهةِ الملوك... خطَّةٌ انتحارية"

"ليسوا أيَّ خدمٍ عاديّين، فسيكونُ معهمُ الملاكُ المُنقِذ"

"متى ستخبرين بقيَّةَ الخدم الموثوقين؟ ومتى ستخبرين (آجنيس)؟"

"ليسَ بعد يا (جوديث)، ما زالَ الوقتُ مبكِّرًا جدًّا"

أنهتْ (زهير) المحادثَةَ باستلقائها على السرير، وانقلابِها للجهة اليُمنى مُغلِقَةً عينيها.

# (الجزيرة المجهولة)

## مايو، 1995

# الفصل الثالث والأربعون

كسرت الجزيرةُ قوانينَ الفصولِ الأربعة العالمية، مُستقبِلَةً الثُّلوجَ على مُسطَّحاتِها ومبانيها في وضحِ النَّهار... في منتصف الربيع. بعيدًا عن العالمِ أجمع ومشكلاته ومصائبه، وقفتْ صبيّتان سمراوان بين زهورِ الحديقة المُغطَّاةِ بالثَّلج... مرتديتَين معاطفَ صفراء متطابقة. تشابهتا في الشَّكلِ والملامحِ واللباسِ وحتَّى في شعرِهما البنيّ الناعم المرفوع لأعلى، تشابُهًا رهيبًا دلَّ على أنَّهما توءمتان لا محالة. أمسكتْ إحداهما بيد طفلةٍ بيضاء تغطَّتْ بمعطفٍ برتقاليّ صوفيٍ، وقبَّعةٍ صوفيَّةٍ وقفازاتٍ أثقلتْ مشيتَها مع حذائِها... وعيناها الخضراوان تلمعان مع نور الشمس.

"انظري (آنجي)، هذا الياسمين"

قالتْ (آليكس) للطفلة البيضاء مُتبسِّمَةً، قاطِفَةً زهرة ياسمين من الحديقة.

قرَّبَتْها من أنفِ (آنجي) الصغيرة، لتشتمَّها الأخيرةُ مُغمِضَةً عينيها... ليزدادَ منظرُها لطافةً فوقَ لطافتِه.

"همممم، رائحة الياثمين جميلة"

قالتْ (آنجي) بلدغةٍ لسانِها فاتِحَةً عينيها بدهشة، بابتسامةٍ طفوليَّة أسنانُها ناصِعةُ البياض.

انفجرَت التوءمتان السمراوان ضاحكتَين، و(آفا) تنحني لتقرُصَ خدَّي (آنجي) المُدبَّبين بلُطف.

"قولي سبعة"

قالتْ (آليكس) بضحك.

"ثبعة"

استجابت لها (آنجي) ببراءة، مُشارِكةً أُختَيها الضَّحك.

لاحظَ التوءمَتان (بيثاني) تقتَرِبُ خلفَ (آنجي)، واضِعَةً إصبعها على فِمها لتُشيرَ لهُما بالسُّكوت... ماشيَةً بهدوءٍ على الثلوج التي غطَّت حديقةَ المنزل... والجزيرةَ بأكملها. شعرُها النَّاعمُ المصبوغُ بالرَّمادي مقصوصٌ على هيئة (البيكسي)، وجسدُها الحنطيُّ امتلأ بالأوشامِ ابتداءً من الذئب على حلقها... مرتديةً جينزًا قصيرًا أبيضَ وتيشيرتًا أحمرَ وكأنَّها تتحدَّى البرد والثلوج.

أطاعتاها والتزمتا الصمت، متظاهرتَين بعدم رؤيتِها حتى لا تنتبه (آنجي)... إلى أن جلستْ (بيث) القرفصاء خلفَها ووضعتْ يديها على عينيها قائلةً:

"من أنا؟"

ضحكتْ (آنجي) مُحاوِلَةً التملُّصَ منها، لكن لا جدوى.

"عمة (بيث)"

أجابتْ (آنجي) مباشرةً دون تردُّد، وهي تبتسمُ مغمضةَ العينين.

"إجابة صحيحة، أيتها اللعوب الذكية!"

قالتْ (بيث)، مُقبِلةً (آنجي) بقوَّة.

"كيف حال الشوكولاتات؟"

أكملتْ بغمز، مُمسِكَةً بيدِ (آفا).

"الشوكولاتات بخير، ويرغبنَ بالذهاب مع أمهن وأبيهن"

أجابتْ (آفا) مادَّةً لسانَها وهي تضحك.

"(آنجي) غشَّاشة بالمناسبة، تعلمُ أنَّ الجميع في الداخل باستثنائك"

قالتْ (آليكس)، واضعةً يديها حول خصرِها... بغيرةٍ جليَّةٍ من أختِها الصُّغرى.

"لا تزالُ ذكية، هيَّا بنا للداخل فقد تأخَّرتُ بما فيه الكفاية"

قالتْ (بيث) حاملةً (آنجي)، متوجِّهةً لباب المنزلِ الصغيرِ الأبيضِ المفتوح.

سبقَتها (آليكس) و(آفا) للداخل راكضتين، وخطواتُ أقدامِهن تُطبَعُ على الجليد. لحقَتْهما (بيث) بهدوءٍ حاملةً (آنجي)، برونقٍ وهيئةٍ غريبةٍ أظهرتْ عدم اكتراثِها ومخالفتَها للمجتمع... وكأنَّ جسدَها لوحةٌ فنيَّةٌ بالأوشامِ التي ملأته.

"كم عمرك الآن؟"

سألتْ (بيث) وهي تُغلِقُ بابَ المنزل خلفَها بقدمِها،

ناظرةً للطفلة بابتسامة.

رفعتْ (آنجي) أربعة أصابعَ مغطَّاةٍ بقفازاتِها البرتقالية، مُصدِرَةً صوتًا مُضحِكًا بأنفِها.. أجبرَ (بيث) على الانفجارِ ضاحكةً.

التفتَ جميعُ من في غرفة المعيشة بالواجهة لـ (بيث)، التي استمرَّتْ بالضَّحك والكل متعجبون. على الأريكة أمام التلفاز الكبير جلستْ (ستيفاني) مُمسكةً بجهاز التحكُّم، بآفارولٍ أزرقَ أنيق جعلَها تبدو لطيفةً مع شعرِها البني المجعد الطويل... وعينيها الخضراوَين لتُشبِهَ الأطفال عارضي الأزياء في الإعلانات. بجانبِها (تشارلز) و(فيوليت) مستعدَّينِ للمغادرة، وكلٌّ منهما وضع حقائبه أمامه.

جرتْ (آنجي) نحوَ (مالوري) التي جلستْ مع (بليد) إلى طاولة الطعام بجانب الأريكة، مُصدِرَةً الصَّوتَ المُضحِكَ ذاتَه من أنفِها باستعراض... لتُجبِرَ الجميع على الضحك. أخذتْ جولةً حولَ الغرفة وهي تصدرُ الصوتَ، حتَّى فهِمَ الجميعُ سبب ضحك (بيث)... فالصوتُ غريبٌ ومُضحِكٌ مع ملامِح (آنجي).

وقفتْ (بيث) بجانب (سارة) و(جريس) اللتين جلستا على أريكةٍ مجاورةٍ للثانية، ضاحكتين على (آنجي) من قلوبهما... عدا (جريس) التي اكتفتْ بالتبسُّم كعادتِها.

"حسنًا يا عزيزتي، كوني مؤدَّبةً ولا تعصي أوامر العم (بليد) والعمة (مالوري)... اتفقنا؟"

قالتْ (فيوليت) وهي تحمِلُ (آنجي)، التي شابهتْها كثيرًا بشعرِها الأشقر وعينيها الخضراوَين وبياضِها الشاحب.

أومأتْ (آنجي) برأسِها مُطيعة، لتسألَ أمَّها بعد ذلك:

"هل سيكونُ لدي أختٌ صغرى؟"

"نعم يا روحي، سترُزقين بأُختٍ جميلةٍ مثلك ومثل أخواتك"

أجابَها (تشارلز) وهو يستلمها من أمها، ليقبِّلَها قبلةَ الوداع.

"ما زلتُ لا أفهمُ لمَ عليكما الذهابُ بعيدًا لأشهر. ألا تستطيعين إنجابَها هُنا يا ماما؟"

سألتْ (آفا) بمنطقٍ وعقل، جالسةً بجانبِ (بليد) و(مالوري) عند الطاولة... غيرَ عالمة أنَّ أمَّها ليستْ حبلى أصلًا.

أخفيا الموضوع ببراعةٍ على طفلاتهما - المسروقات من مستشفياتِ (أوبيا) جميعِهن - ولم يعلمْ بذلك إلا نادي (العنقاء الرمادي).

"يا قلبي، أمُّكِ تريدُ أن ترتاحَ قليلًا قُبيلَ الولادة... وبمجرد ولادتِها ستأتي كما فعلت معكن جميعًا"

قالت (مالوري)، متبسِّمةً بوجه (آفا) التي كانتْ تحاوِلُ استيعاب الموضوع.

"نعم، لترتاح من إزعاجكما أنتِ و(آليكس)!"

قالتْ (ستيف) باستهزاءٍ وعدمِ اهتمام، ونظرُها للتلفاز.

كادتْ (آفا) أن تركض نحوها لتضرِبَها لكنَّ (بليد) أمسكَ بذراعِها بلطفٍ ليُهدِّئها، مُقبِّلًا رأسها.

"تمزحُ معكِ يا (آفا)، لا تضربِي أختكِ الكبيرة فهذا عيب"

قال (بليد) بتوجيهٍ ونصح، ناظرًا لها برقَّة.

"حسنًا، كنَّ مطيعات لأعمامكن ولا تزعجنهم... وتذكَّرن أنَّا نحبُّكن كثيرًا. (ستيف)، كوني عطوفًا على أخواتك الصغيرات وكوني قدوةً لهن... ولا تُتعبي العمة (جريس) في المذاكرة والدراسة"

قالتْ (فيوليت) حاضنةً (ستيف) التي اصطنعتِ ابتسامتَها، وظلَّتْ تنظرُ للتلفاز مومئةً برأسها.

"وشوكولاتاتي، لا تؤذين (آنجي) واعطفن عليها وساعدن أعمامكن في رعايتِها... وذاكرن جيِّدًا وادرسن باجتهاد... واحترمن أختكن الكبرى (ستيف) وأطعنها"

قال (تشارلز) الذي وقف حامِلًا حقائبه، متوجِّهًا للتوءمين ليحضنهما بعد (ستيف).

"وداعًا يا أميراتي"

ودَّعتْ (فيوليت) بناتها وهي تغادِرُ المنزل مع زوجها، ليلحق بهما أعضاء النادي.

"كوني حذرة، ولا تقلقي على بناتك أبدًا فهن في أيدٍ أمينة"

قالت (سارة)، مربِتةً على كتف صديقتِها... ناظرةً لـ (تشارلز).

اكتفى البقيَّةُ بالأحضان والقُبَل فقط، فقد عبَّرتْ (سارة) عما يدور في خلدهم.

"شكرًا جزيلًا على ما تفعلونه من أجلنا، لن ننسى لكم صنيعكم أبدًا... واعتبروهن بناتكم وافعلوا الأصح لهن في نظركم"

قال (تشارلز) وهو يجمعُ شعرهُ البني الطويل ليربطه.

"واجبُنا يا صديقي، واجبُنا"

نطقتْ (جرس) لتُنهي المحادثة، وقميصُها الأبيضُ مع تُّورتِها الرماديَّة أظهرا رسميَّتها الشديدة... لتُشبِهَ جميعَ المعلِّمات في العالم.

غادرت (فيوليت) و(تشارلز) حاملين حقائبهما، تاركين خلفهما بناتهما ليتبنّيا - أو بالأصح - ليسرِقا فتاةً أخرى... وينقذاها من قبح صنيع أبيها الذي سيرميها في البحر.

## مدينة (بليس)، دولة (أويبا)

## سبتمبر، 1995

# الفصل الرابع والأربعون

تقدَّمتْ (فيوليت) في دهليز المستشفى بثقةٍ وتصميمٍ، يكسوها لباسُ الممرضات الزهري... وشعرُها الأشقر المجعد مربوطٌ على هيئة كعكة. بالتوقيت ذاتِه المعتاد، بين انتهاءِ ورديَّة الصباح وابتداءِ ورديَّة المساء... حيثُ يخلو المستشفى تمامًا لعشرِ دقائق إلى أن يصل موظفو النوبة الليلية.

فتحتْ بابَ الحضانة ببطاقةٍ جديدةٍ مزيَّفة، مصمَّمة خصِّيصًا لأبواب ذلك المستشفى... ودخلتْ بسرعةٍ وخفَّة بعد أن اعتادت السرقة واحترفتها. لم تكُن أموالًا، ولا سيَّاراتٍ، ولا مجوهراتٍ، ولا أجهزةً إلكترونية تلك التي تسرقها كمعظم اللصوص... بل طفلات من مهودهن لتتبنَّاهنَّ بعد ذلك.

اتَّجهتْ مباشرةً للطفلة المنشودة، وقد غطَّ الطفلاتُ جميعهن في نومٍ عميق... تحت الإضاءة الخافتة الحمراء. أغمضت الرضيعةُ الحنطيَّة عينيها، ويداها الصغيرتان مبسوطتان... وشعرُها الأسودُ لا تزالُ عليه آثارُ دم المخاض رغم غسله... مستلقيةً على مهدٍ كُتِبَ عليه (نوفا كارلوس).

"هيي (سالي)، هيا، لنرحلْ من هذا المكان الكئيب"

همستْ (فيوليت) مُغيِّرةً اسم الرضيعة بعد استيلائها عليها، كما فعلتْ مع السابقات... حامِلَةً الطفلة بسرعةٍ مع

بطانيتها الصغيرة.

شيءٌ ما شبَّثَ الطفلةَ للأسفلِ حينَ حملِها، وظهرَ صوتُ عظامٍ تتفرقع... لتنفجِرَ باكيةً من الألم. انطلقتْ صفّاراتُ الإنذار مباشرةً، والأنوارُ الحمراءُ ازدادتْ إضاءةً وهي تومِض... ليستيقظ الطفلاتُ كلهن ببكاءٍ وصراخ. ركّزتْ (فيوليت) لتجِدَ سِلكًا أسودَ بلاستيكيًّا ملتفًّا حولَ قدم الطفلةِ اليمنى، لا تنفكُّ عقدته بسهولة... حمايةً للطفلاتِ من السرقة.

"لا لا لا لا، اللعنة!"

قالتْ وهي تُرجِعُ الطفلة الباكية، وصافراتُ الإنذار تصمُّ الآذان.

أخرجتْ سكّينًا من جيبِها وبدأتْ بقطع ذاك السلك، والعرقُ يتصبّبُ من جبينِها وقلبُها يخفقُ بسرعة. شيءٌ ما جعلها تُصِرُّ على أخذ تلك الطفلة، في حين كان بإمكانها الهربُ والتخلي عن العملية بأسرِها! لحظاتٌ من التقطيعِ بحذر حتى انقطع السلك، والرضيعاتُ في الحضانة يتحدَّينَ صوت الصافراتِ بصراخهن وبكائهن. حملتْها وغادرت الغرفة وهي تجري، لترى عدَّة ممرضاتٍ وأطباء يهرعون نحو الحضانة من آخر الدهليز... مما جعلها تزيدُ سرعتَها نحو مخرج الطوارئ.

**"هيييه، توقفي مكانك!"**

صرخ أحدهم، محاوِلًا اللحاق بها قبل أن يفقدوا طفلةً

أخرى.

الطفلةُ تصرُخُ وتصرخ، و(فيوليت) تجري بأقصى سرعتِها وقد تعلَّقَ قلبُها بالطفلة... دون أن نتوقَّعَ ما حدث أبدًا. نزلتْ من سلالم الطوارئ بسرعةٍ لا مثيل لها كالبرق، وأنفاسُها تتقطَّعُ شيئًا فشيئًا... لكنَّ هرمونات الأمومة كانتْ أقوى من كل شيء!

خرجتْ من السلالم لتنتظرَها مفاجأةٌ أخرى لم تكن بالحسبان... عند بوابة الخروج من المستشفى وقف حارسُ أمنٍ سادًّا الطريق، مُمسِكًا بعصاه مُستعِدًّا لمنع (فيوليت) من الخروج. توقَّفتْ مكانَها ونظرتْ للخلف، لتَجِدَ حراس أمنٍ آخرين يسرعون نحوها... ليبقوا لها خيارًا واحِدًا لا ثاني له... القتال.

أحكمت الإمساك بطفلتِها وأغمضتْ عينيها متنهِّدةً، لتفتحهُما بعد ذلك في أتمِّ الاستعداد للهجوم... كذئبةٍ تدافِعُ عن طفلتها بشراسة. جرتْ بأقصى قوتِها نحوَ حارسِ الأمنِ، جاهلةً تمامًا ما ستفعل معه... لكنَّها غريزةُ الأم وطبيعتُها.

فجأة، لمحتْ (تشارلز) عند البوابة، ممسكًا بمضربِ بيسبول مدبَّب... ليُهشِّمَ زجاج البوَّابة بكل ما امتلك من قوة. ارتعبَ حارسُ الأمن وتفاجأ، وابتعدَ بسرعة ناظِرًا للخلف... وهو بين فكَّي الأم والأب المستعدين للتضحية بكل ما يملكان لأخذ ابنتهما. لم تنتظر ثانيةً واحدةً

وأسرعتْ للخروج عبر الزجاج المهشَّم، مُغطِّيةً وجه طفلتها الباكية حتّى لا تتأذى من الزجاج بأي شكل... بعد أن تأذَّتْ عظامُ قدمِها من حملِ (فيوليت) لها دون قصد. كيف استطاعت الخروج ودخولَ السيَّارةِ خلال ثوانٍ معدودة؟! لا يوجد أي تبريرٍ سوى أنَّه هرمون الأمومة الذي اشتعلَ بداخلِها.

أغلقت البابَ ولحقَها (تشارلز) ليقودَ بعيدًا بسرعة، وقدمُه تضغطُ على دوَّاسةِ البنزينِ حتى كادت تنكسر من شدَّة الضغط... والطفلةُ تبكِي بكاءً مُحرِقًا من ألمِها. التقطا أنفاسَهُما و(فيوليت) تنظرُ للوراءِ لترى بعضَ حراس الأمن يتحرَّكونَ بسياراتهم الصغيرة -المشابهة لسيارات الجولف- في محاولةٍ يائسةٍ للحاق بسيارةِ دفعٍ رُباعي.

كشفتْ (فيوليت) عن وجه طفلتها الباكية وحملتْها للأعلى، لتسقُطَ دموعُها على عينيها وتبدأ بالارتجاف. كانتْ ساقُها اليُمنى مُلتويةً لليمين بعُنفٍ وبشاعة، وكأنَّها دُميةٌ عُبِثَ بها!

"(تشارلز)، علينا التوقُّفُ عند أقربِ طبيب!"

***

"لم نتوقف عن البكاء منذ الحادثة، أرجوكَ طمئن قلوبنا"

قالت (فيوليت) ويداها على جبينها، مغمضةً عينيها والصداعُ سيطر على رأسها... من بكاء طفلتها. وضع (تشارلز) يدهُ حول كتفَيها محاوِلًا التخفيفَ عنها، وكيف

يستطيعُ وهو أشدُّ قلقًا وخوفًا منها... والإرهاق بادٍ على محيَّاه.

وقفا بجانب الطبيب، وطفلتُهما على سرير العيادة تصرُخُ صراخًا لم يكُن طبيعيًّا أبدًا... ليس كصراخ الأطفال العادي طلبًا للحليب.

غرفةُ العيادة المملوءة بصور الأطفال اللطيفة، حازتْ رونقًا مهدِّئًا للنفس والعين... لكن (تشارلز) و(فيوليت) لم يكُن ليهدِّئهما أقوى المهدِّئات في العالم... ومن يلومهما؟

"حسنًا يا بطلة، لا بأس عليكِ لا بأس... ها نحنُ ذان"

قال الطبيب مُقرِّبًا الإبرة من قدمِ الطفلة اليمنى الملتوية، وقد ثبَّتَها بيده الأخرى... صابًّا جام تركيزه حتَّى لا يرتكب خطأً بإهماله.

وخزَ قدمها بالإبرة وحقن السائل بثباتٍ وهدوء، رغم صعوبة التركيز مع بكاء الرضيعة الضعيفة... والذي اعتادت الأذن إزعاجه. أخرجها سريعًا واستخدم المسحة الطبية، ليُغطِّي مكان الوخزة بلصق الجروح.

"لم يكُن تسريعُ نتائج الأشعة سهلًا، لكن لأجلكما فقط قمتُ بذلك"

قال الطبيب، متوجِّهًا لكرسي مكتبه... تاركًا الطفلة خلفه على السرير باكيةً.

"ممتنٌّ لك جدًّا يا (أورلينج)، أعتذرُ بشدة عن القدوم في

هذه الساعة دون إنذارٍ مسبق"

قال (تشارلز)، ساحبًا زوجته برقة ليجلسا أمام المكتب.

فتحَ الطبيبُ (أورلينج) نتائجَ الأشعة وراح ينظرُ إليها ويقلِّبُ صفحاتها، وملامحهُ لا تحملُ أيَّ مشاعر... كملامح لاعبي القمار بالضبط. الوالدان ينظُران له بتوتُّرٍ وتخوُّف، وقلبهما انفطرَ على طفلتِهما الصارخة من آلام عظامها الرقيقة الهشَّة... منتظرَين كلام الطبيب.

أغلقَ الملف وقام بتشبيك يديه على سطح المكتب، ناظِرًا للرضيعة قائلًا:

"للوقت الراهن أعطيتُها مسكِّنًا للألم وسيبدأ مفعوله سريعًا، وسأعطيكُما شرابًا استمرَّا عليه لمدة أسبوعين"

قال (أورلينج) بنبرةٍ هادئة ناظِرًا لهُما، مُمهِّدًا الطريقَ لجملته القادمة.

"(تشارلز) و(فيوليت)، ما أنتما على وشك سماعه لن يكون بسيطًا... ولا توجد طريقةٌ أخرى لإيصال الخبر. عظامُ الطفلة عمومًا ضعيفةٌ بسبب خللٍ وراثي منذ الولادة، ومع الحادثة... أخشى أنَّ طفلتكما لن تتمكَّنَ من استعمال رجلِها اليُمنى بعد اليوم. ستحتاجُ لعكَّازٍ للمشي طيلةَ حياتِها... أنا آسفٌ جدًّا جدًّا"

"يا إلهي!"

قالت (فيوليت) ناظِرةً للطبيب وعيناها تغرورقان

دمعًا، ويداها بدأتا بالارتجاف... وقشعريرةٌ سرت خلالَ جسدِها.

"لا بأس يا عزيزتي، هذا ليس ذنبك... لا مشكلة..."

"ليس ذنبي؟! كيف؟! أنا التي سحبتُها وكسرتُ عظامَها كالمختلة!"

قاطعتْ (فيوليت) (تشارلز) الذي حاولَ تهدئتها، مقتربًا منها ليجلِسَ القرفصاء بجانبها مُمسِكًا يدها... وهي تبكي مع طفلتِها وكأنها تواسيها.

"كان لديها خللٌ جينيٌّ يا حبيبتي، ولم تعلمي أنتِ عن وجود السلك! لستِ أنتِ السَّبب... صدقيني!"

واساها (تشارلز)، وكيفَ يواسي شخصٌ يحتاجُ المواساة هو ذاته؟

استمرَّتْ بالبُكاء ويداها ترتجفان، بعد أن ارتكبت خطأً فادحًا دون قصد... تسبَّبَ في حرمان طفلةٍ من المشي كبقية البشر.

"سنرعاها ونقف بجانبها ولن نتركها أبدًا، وفي نهاية المطاف كانتْ ستُرمى في البحر... لكن بسببك ستحيا (سالي) حياةً كريمةً جميلةً معك"

قال (تشارلز) شادًا على يد (فيوليت) المرتعشة، ناظِرًا لها بعطف.

"(نوفا)، سأسميها (نوفا) كما سمَّتها أمُّها... فهي تستحِقُّ

هذا على الأقل بعد أن فعلتُ ما فعلتُ بابنتِها"

قالت بنبرةٍ حزينة، ماسِحَةً دموعَها بيدِها وهي تُغادِرُ مقعدَها ببُطءٍ وترنُّح مُتَّجهةً لطفلتِها على السرير.

"هو كذلك، (نوفا فاولكين)"

وافقها زوجُها، ممسكًا بها حتّى لا تقع على الأرض من هول الصَّدمة.

توقَّفتْ (نوفا) فجأةً عن البكاء، وتردَّدَ صوتُ البُكاءِ على الآذان بعد أن اعتادته... ومفعولُ المسكّن قد بدأ أخيرًا. اقتربا منها لينظرا لعينيها العسليتين البريئتين لأول مرَّةٍ دونَ بكاء، وقد اقترنتْ ببشرتِها الحنطية وشعرِها الأسود... وقدمُها اليُمنى لا تزالُ ملتوية.

"انظري لطفلتِنا كم هي قوية، هل أنتِ قلقةٌ عليها حقًّا؟"

قال (تشارلز) مربِّتًا على كتفِ (فيوليت) ولم يكذب، فتلكَ الفتاةُ كانتْ أقوى (الفاولكين).

# العاصمة (فريك)، دولة (أوبيا)

## فبراير، 2000

# الفصل الخامس والأربعون

غربت الشمس، تأهَّبَ البدرُ لاستلام نوبتِهِ الليلية، وتوقَّفَ الثلجُ عن النزول مع هدوء الرياح... في وقتٍ واحدٍ وكأنَّ أحدَهُم يتحكَّمُ بها بضغطة زر. اكتظَّت الطُّرُقَاتُ بالمارة والسيارات في يومِ الإجازة الرسمي، من متنزِّهٍ ومتسوِّقٍ ومتسكِّعٍ.

"لا تتردَّدي لحظةً واحدة، وسأكون مختبئةً في الخزانة في حال حدوثِ مكروهٍ... وتذكَّري أنَّهُ لم يعُد أباكِ"

قالتْ (زهير) بصرامة، مناولةً (آجنيس) سكِّينًا كبيرةً... واضِعةً يدها الأخرى على كتفها.

ظهرتْ مفاتِنُها واشتدَّ ساعِدُها وازدادتْ طولًا، حتَّى قاربتْ (زهير) في الطول. شعرُها الأشقرُ النَّاعمُ قد صُبِغَ بالأبيض، وطالَ حتَّى وصلَ لأسفلِ ظهرِها.

أومأتْ (آجنيس) واضِعةً السكِّين في جيبِ جينزها الأزرق، ناظرةً لـ (زهير) بعينيها الزرقاوَين اللتَين عفا عليهما الدَّهر وأكل... بعد عشرين عامًا من العزلة منذ الولادة.

"(بريجيوس) في طريقِهِ الآن إليكِ، كما قلتُ لكِ... طعنةً على الصَّدر كفيلةً بإهلاكِه"

قالت (زهير) مُبتعِدَةً بسرعة نحو خزانة الملابس، بلباسِ الخدمِ الأبيض والأسود... دون تضييع ثانيةٍ واحدة.

"ألن يُلاحِظَ صبغة الشَّعرِ ويشك في الأمر؟"

سألتْ (آجنيس) وهي تنظُرُ للأرض ببرود، بعد أن أفقَدَها والِدُها المسخُ طعمَ الحياة.

"لا تقلقي، درستُ هذه الخطَّةَ آلاف المرَّاتِ ووضعتُ جميعَ السيناريوهات المحتملة... كلُّ شيءٍ سيكون على ما يرام"

أجابتْها وهي تُغلِقُ على نفسِها بابَ الخزانة، ليظهَرَ صوتُها مكتومًا.

جلستْ (آجنيس) على كرسي مكتبها الدوَّار، في غرفة الأميرات الورديَّة ذاتِها -التي لم تعد تناسِبُ عمرَها- ويداها البيضاوان ترتجفان ممَّا ستُقدِمُ عليه بعد لحظات.

دخل الملك (بريجيوس) عليها برغباتِهِ ونظراتِهِ الشهوانية والتي لم تعُد تستغرِبُها (آجنيس)، عالمةً تمامًا ما يفعلُهُ والِدُها بها بعد أن نضجت وفهمت. أغلقَ البابَ خلفَهُ وتاجُهُ الماسي يعلو رأسَهُ كالعادة، ليجلِسَ على السريرِ بعدها بروبِهِ الأحمرِ المفتوح... منتظراً ابنتَهُ وكأنَّها بائعةُ هوًى قد دَفَعَ لها.

تحرَّكتْ نحوَهُ بارتجاف والسكّينُ في جيبِها، خالِعةً تيشرتَها الأحمرَ حتَّى تُركِّزَ نظرَهُ عليها... وتُشتِّتَ تفكيرَهُ كي لا يرتابَ البتة. توتُّرُها كان مُبرَّرًا للغاية وخوفُها، ليسَ حبًّا في أبيها المختل... بل لأن الخطَّةَ برمَّتِها تعتمِدُ عليها... وفشلُها يعني موتَها المحتَّمَ وموتَ جميع من شاركَ معها.

انتشى اللعينُ مُبتسمًا بشهوانية، وقد بدتْ عليه علاماتُ الشيخوخة من ترهُّلٍ وبياضِ شعرٍ... مستعدًّا لفعلتِهِ الشنيعةِ المعتادةِ بابنته. ارتمى على السرير مُغمِضًا عينيه، ووقفتْ (آجنيس) أمامهُ بجمالاتِ صدرِها وجينزِها... وكأنَّها تردَّدتْ وفكَّرتْ بالتَّراجُع.

ابتلعتْ ريقَها أخيرًا وأخرجت السكِّينَ بسُرعة، لتغرِسَها في صدرِهِ بلا رحمة... ومن أين لها الرحمة على من لم يرحمها لثانية؟! صرخَ الملك بأعلى صوتِهِ فاتحًا عينيه على مصاريعِهما، ناظِراً للسكِّينِ التي استقرَّتْ في صدره والدماءُ تتفجَّرُ منهُ كعين ماء. لم تكُن لتتوقَّفَ (آجنيس) بعد صراخِهِ، وأخرجت السكِّين لتطعنَهُ مجدَّدًا... ناظرةً له بحنقٍ دون أن تسقُط من عينِها دمعة. طعنةٌ ثالثةٌ ورابِعَةٌ وخامسة، وصراخُهُ يخفِضُ تدريجيًّا وهو يصارِعُ الموت... متمنِّيًا الرحمة من ابنته لكن هيهات! الدماءُ تنتثِرُ عليها وعلى وجهِها مع كل طعنةٍ لمن اغتصبَها لاثني عشر عامًا، وعيناها الزرقاوان اللامعتان تتلذَّذان بالنَّظرِ لمعاناةِ (بريجيوس) وفراقِهِ للحياةِ تدريجيًّا.

توقَّفَ قلبُهُ عن النبض وشفتاهُ عن الحركة، مُعلنة خروج روحِهِ القذرة من جسده... و(آجنيس) تنهالُ عليه بالطَّعناتِ المتتاليةِ وقد امتلأ سريرُها بالدماء.

"حسنًا حسنًا يا عزيزتي، لقد مات... لقد مات"

قالتْ (زهير) خارجةً من الخزانة، مسرعةً نحو

(آجنيس) التي ما زالتْ تمطِرُ أباها بالطعنات... بأماكن متفرقةٍ على صدره.

لم نتلقَّ ردًّا من (آجنيس) التي استمرَّت بتطعين والدِها الميت بصمتٍ وبرود، والدماء قد لطَّختْ وجهها ويدها وملابسها وقليلًا من شعرِها الأبيض... غيرَ شاعرةٍ بما حولَها وكأنَّها تحت تنويمٍ مغناطيسي. أمسكتْ (زهير) يدها قبل أن توجّهَ طعنةً أخرى لا قيمة لها، و(آجنيس) تحاولُ مقاومةَ يدِها لتستمرَّ بغرس سكينِها... وقد سقطتْ دمعةٌ على خدِّها وهي تلتقِطُ أنفاسَها.

"المزيدُ من الطعناتِ على هذا الحقيرِ ستكون مضيعةً للوقت والجهد وهو لا يستحق، لا وقتَ لدينا لنضيّعَه... فأنتِ على وشكِ أن تُصبحي ملكة (أوبيا) بل وملاكَ العالم"

قالتْ (زهير) ممسكةً وجه (آجنيس) بكلتا يديها، لتتلطَّخَ يدُها بالقليل من الدماء.

أومأتْ (آجنيس) بشجاعة، مستجمِعةً قواها بعد أن أخذتْ بثأرِها.

"اغسلي الدم الذي عليكِ سريعًا واغتسلي، ثمَّ البسي الفراءَ المُجَنّح والعدسات... وسأذهبُ لأطمئنَّ أنَّ الخطَّةَ تَسيرُ كما ينبغي وآتي بمن يتخلَّصُ من الجثَّة نهائيًّا الآن"

أشارتْ (زهير) بيدِها للحمام، وتحرَّكتْ لمغادرة الغرفة على الفور... فقد كان جميعُ من في القصر على خطِّ النَّار...

إمَّا الحياةُ أو الموت!

"ماذا فعلتِ مع أخي (ليكتور)؟"

سألتْها (آجنيس) ناظرةً لها بعينينِ حزينتَين وهي تخرج، رغم أخذِها للتو بثأرِها الذي حلمتْ به منذ سنواتٍ طوال.

"لم يكُن (ليكتور) عن أبيكِ ببعيدٍ يا حياتي، فتحتَّمَ علينا التخلُّصُ منهُ أيضًا... وإلا فلن يهنأ بنومٍ حتى يقتلك لو عاش!"

ردَّتْ (زهير) من خارج الغرفة.

حوَّلتْ (آجنيس) نظرها للسرير للحظات، ثمَّ بصقتْ على جثَّةِ والدِها المضرَّجةِ بالدماء على سريرِها... راميةً السكّين على الأرضِ ببرود. هرعت للحمَّامِ والمشاعرُ تتضاربُ بداخلِها، من سعادةٍ وحزنٍ وخوفٍ وقلق... بعد أن أراحتِ الأرضَ ومن عليها من شرور (بريجيوس) الوغد. لم تُغلقِ البابَ خلفَها حتَّى، خلعتْ ملابسها ودخلتْ حوض الاستحمام لغسلِ الدماء بسرعة، بدءًا بالقليلةِ الملتصقةِ بشعرِها... وانتهاءً بالبُقَعِ على جسدِها ورجليها. أغلقتْ صنبور المياه وخرجتْ لتُجفِّفَ جسدَها، ملقيةً نظراتٍ لوالدها الميت بين الفينةِ والأخرى... وكأنَّها تخشى أن يُبعَثَ من موتِه بشكلٍ أو بآخر. استخدمتْ مُجفِّفَ الشعرِ ليتطايرَ شعرُها الأبيضُ الساحر بنعومَتِهِ وطولِه، ناظرةً للمرآة بصرامةٍ وجديَّة... والأفكارُ تحومُ في رأسها مشوبةً

بالمخاوِف.

فتحتْ خزانةَ ملابِسِها وأخرجتْ فراءً ناعِمًا أبيضَ اللون، يحوي جناحَين مفرودَين من الخلف... ملامستُهُ للجسدِ تُشعِرُ بالراحة والاسترخاء والثراء. لبِسَتهُ على جسدِها العاري مباشرةً وزرَّرته، وجلستْ على كرسيِّ مكتبِها الدوَّار الزهري لتنتعلَ كعبًا جلديًّا يصِلُ لركُبتِها... متجاهِلةً تمامًا الجثَّةَ المستلقيةَ على سريرِها.

"لا تترُكْ لها أثرًا حتَّى في مخيِّلتِكَ يا (جون)، هذه مهمَّتُكَ الوحيدةُ فاحرص على تنفيذِها بدقَّة"

قالتْ (زهير) داخلةً الغرفة مع أحد الخدم، مشيرةً إلى جثة (بريجيوس)... متَّجِهةً نحو خزانة الملابس بسرعة.

"كلُّ شيءٍ يسير وفقَ ما أردنا، (ليكتور) و(بريجيوس) انتهيا... قُوَّادُ الجيشِ المعارضون لنا انتهوا... والمروحية في سطح القصر تنتظِرُنا"

تحدَّثتْ (زهير) خالعةً ملابِسَها دون اهتمامٍ بمن في الغرفة، فلا وقت للحياء والحشمة.

"لا أستطيعُ شكركِ كفايةً أيتها الملكة (آجنيس)، لم أعتقد أن أراهُ قتيلًا هكذا يومًا ما"

قال الخادمُ الذي تغطَّى بملابس الحماية البلاستيكية والقناع، واضِعًا حقيبتَهُ على الأرض ليتأهَّبَ للتخلُّصِ من جثَّةِ الملك... مشابِهًا مظهرَ الأطباء الجنائيين.

اكتفت (آجنيس) بالإيماء والتبسُّم بعد أن انتهتْ من انتعالِ كعبِها، ناظرةً لهُ بشرود.

"بسرعة بسرعة، صفِّفي شعرك الآن... لا وقت للأحاديث الجانبية!"

أخرجتْها (زهير) من شرودِها بمناولتِها جهاز تصفيفِ الشعر، واضعةً فراءً أبيضَ مُماثِلًا لفراءِ (آجنيس) على كتفَيها... إلا أنَّهُ لم يحوِ أجنحةً. بدأتْ (آجنيس) بتصفيفِ شعرِها الأبيضِ سريعًا، بينما انتهتْ (زهير) من ارتداءِ فرائِها... لتنضمَّ لـ (آجنيس) في تسريحِ شعرِها وترتيبِه... وكأنَّهما فتاتان تتجهَّزان للذهابِ لأحد الأعراس.

"ماذا عن الوزراء؟"

سألت (آجنيس)، ممرِّرةً المصفِّفَ خلالَ شعرِها الثلجي.

"ارتحنا من شرورهم تمامًا إلا الوزير (باركول)، وما هي إلا دقائق وسنعرفُ مكانه ونتخلص منه... أنتِ ركِّزي فقط على خطابِكِ الذي ستلقينه لشعب (أوبيا) واتركي الباقي علينا"

نطقتْ (زهير) بثقة، محاولةً فكَّ عقدةٍ من شعرِها الأشقرِ الطويل.

تسريحٌ وتمسيدٌ وتصفيفٌ على عجل، إلى أن انتهتا والخادمُ

لا يزالُ يهيّئُ الجثّة وينظّفُ المكان... حتى لا يبقى أثرٌ للملك الظالم المتجبّرِ المغتصب. اتّجهتْ (آجنيس) إلى الحمّام مجدّدًا ووقفتْ أمام المرآة عند المغسلة. التقطتْ علبة العدساتِ اللاصقة المستديرة وفتحتْها، ثم أخذت العدسة الأولى اليُمنى بهدوء... رغم تمرُّسها وتدرُّبها على الخطّةِ كثيرًا إلّا أنّها توخّت الحذر في كل خطوة. التصقتْ بعد عدّةِ محاولاتٍ واستقرّتْ حول بؤبؤ عينِها، ولم يستغرق إلصاقُ الأخرى الكثيرَ من الوقت.

حدّقتْ في المرآة بعد أن تحوّلتْ عيناها من الأزرق إلى الأحمر القاتم، مع أجنحتِها المفرودة وشعرِها الثلجي وبياضِ بشرتِها... في مشهدٍ شيطانيٍّ شديدِ الغرابة.

"رهيب!"

نطقتْ (زهير) بتعجُّب، ناظرةً لانعكاسِ (آجنيس) في المرآة.

وقفتا بعضهما بجانب بعض في مظهرٍ لم يتكرّر من قبل، فقد أظهرَ الفراءُ الأبيضُ وشعرُ (زهير) الأشقرُ المصفّفُ جمالَها المدفون... أما (آجنيس) فعيناها الحمراوان وفراؤها المجنّح أعطتها فخامةً وهيبةً ممزوجتين بجمالٍ لا تعطيهِ أبلغُ الكلماتِ حقّه.

"هل سأنجحُ باعتقادك؟"

تساءلت (آجنيس) وعيناها الحمراوان تحدّقان بالمرآة، ومشاعرُها قد امتزجتْ بشكلٍ غريب.

"لقد قطعنا شوطًا كبيرًا يا عزيزتي، ولا مجال للتراجع... وثقِي بي عندما أقولُ لكِ إن التاجَ ينتظركُ عند العودة... مع محبة بل تقديس الشعب"

حفَّزتْها (زهير)، آخذةً بيدِها للخارج.

"عمة (زهير)..."

"نعم يا عزيزتي؟ أو أستطيع أن أقول يا ملكتي؟ وكم مرَّةً أقول لكِ نادِيني باسمي؟"

أجابتْ (زهير) بضحك، رغم هيبة الموقِف والوقت الضيِّق.

"شكرًا لكِ على كلِّ ما فعلتِهِ من أجلي"

تحدَّثتْ (آجنيس) بكلامٍ صدرَ من قلبِها قبل فِمها، واقفةً عند باب الحمام ناظرةً لأمِّها الثانية... التي ستظل تتصرف حولها كطلفةٍ للأبد.

"لا شُكرَ على واجب، أنتِ ابنتي يا (آجنيس)... فلا داعي لشكري"

لم تسمحْ لها بأخذِ لحظةٍ عاطفيَّةٍ في هذا الوقت، بل لم يسمحْ لهما الوقت أصلًا بالبوح بمشاعرِهما الآن... فانطلقتْ خارج الغرفة معها على الفور. اتَّجهتا نحو باب الرواق الذي لم تغادِرهُ (آجنيس) منذُ ولدت، بسرعة وهمَّةٍ وحياتُهُما الآن على المحك... ودقَّاتُ كعوبهِما تترنَّمُ على المسامع مع الصدى.

خرجتا من بابِهِ المفتوح فلا داعي لإغلاقه بعد الآن، لترى (آجنيس) سلالم قصرِها المستديرة لأَوَّلِ مرَّةٍ في حياتِها... مليئةً باللوحات الغالية والتماثيل المتقنة. كادتْ تتوقَّف لتتأمَّلَها لكنَّ (زهير) أجبرتْها على الحركة، ممسكةً بيدِها لتصعدا الدرج الملكي... و(آجنيس) تتأملُ يمنةً ويسرةً بذهولٍ وتعجب.

عرقلَ الكعبُ حركتهما على السلالِمِ وبطَّأَهُما، فرفعتْ (زهير) فراءها لتقتدي بها (آجنيس)... فلم تصعد تلك السلالِمَ من قبل... ناهيكَ عن أن تصعَدَهَا بكعبٍ لم تنتعلهُ في حياتِها أيضًا. تعثَّرتْ (آجنيس) وكادتْ أن تَسقُطَ على ظهرها، لكنَّ حارسَتَها الشخصيَّةَ وصديقةَ عمرِها أمسكتْ بها... وسرعان ما تداركتْ نفسَها واستعادتْ توازُنها.

سمعتا صوتَ وقعِ أقدامٍ سريعٍ خلفَهُما، والتفتتْ (آجنيس) بخوفٍ وعيناها الحمراوان تلمعان تحتَ الإضاءة البيضاء... لتَجِدَ جنديَّين يصعدان السلالمَ وقد تغطَّيا بالسوادِ بالكامل ولم يُرَ إلا أعينُهما... ممسكين بأسلحتهما الرشاشة.

"لا تقلقي، هذان جُنديَّان مُواليان لنا... وسيأتيان معنا لحمايتنا"

طمأنتْها (زهير) ناظرةً لهم، ممسكةً بيدها.

لحظاتٌ وسحبتْها (زهير) من جديد، صاعدتين السلالم التي أجهدتهُما وخلفهما الجنديَّان بوقعِ أقدامهما المخيفة.

استمرُّوا بالصعود حتّى سمعوا صوتَ هواء المروحية المدوِّي، خطواتٌ قليلةٌ للأعلى واستقرَّ أمامهم بابُ السَّطح المفتوح المزخرف.

ظهرتْ منهُ الطائرة المروحية بصوتِها العالي... وسط حدائقِ القصر وجِنانه التي تغطَّتْ ببقايا الثلوج. وقف أمامها رجلٌ بالغٌ بدا في الأربعينيات من عمره، وهواءُ المروحيَّة يتلاعبُ ببدلته الرسمية السوداء.

"انظري إلى حبيبي، كم هو وسيم"

قالتْ (زهير) ضاحكةً، ماشيةً مع (آجنيس) التي تأمَّلتْ بتعجُّبٍ وانبهار. أتُذهَل من جمال الحدائق على السطح؟ أم من حجم وشكل المروحيَّة وقوتها؟ أم من الثلوج المنثورة على أرجاء السطح وفوق الطائرة؟ كم أرادت الجلوسَ واللعب بالثلج، فلم تتسنَّ لها الفرصةُ كبقية الأطفال في العالم!

"لم أتوقَّع الوزير (فيرجوس) بهذه الوسامة والهيبة"

قالتْ (آجنيس) فاغرةً فَمَها من الدهشة، وهما تتقدَّمان نحو المروحيَّة والجنود خلفهما... في موكبٍ ملكيٍّ لا نظير له! داعبَ الهواءُ الصادرُ من مروحة الطائرة شعر (آجنيس) الأبيض وفراءها المُجنَّح، ماشيةً وخطواتُ كعبِها تُطبَعُ على الثلج... وحُمرةُ عينيها اللامعة تظهرُ من بُعدِ أميال.

"ابتعدي عن حبيبي ولا تقربيه، ابحثي عن حبيبٍ آخر!"

قالتْ (زهير) واكزةً (آجنيس)، التي ردَّتْ لها الوكزة بابتسامةٍ خجول.

"جلالة الملكة... تفضلي!"

انحنى الأربعينيُّ حين اقترابِ (آجنيس) من الطائرة، مبتعدًا قليلًا عن بابِها لتخرُجَ فتاةٌ قريبةٌ من عمر (زهير)... مرتديةً فراءً أبيضَ هي الأخرى.

**"إنَّهُ لشرفٌ عظيمٌ لي، أنا خادمتُكِ (جوديث)... أن أحرُسَكِ بدمي وقلبي وكلِّ ما أملك يا ملكتي!"**

قالتْ (جوديث) رافعةً صوتَها حتى تُسمَعَ مع ضجيجِ المروحية، منحنيةً لتُقبِّلَ يد الملكة... خافضَةً عينيها الكهرمانيَّتَين وشعرُها الأسودُ القصيرُ يتطايرُ مع هواء المروحية.

تبسَّمتْ (آجنيس) بوجوههما ودخلتْ (زهير) المروحيَّة، لتمسك يدَ ملكتِها وتُدخِلَها الطائرة... تلك الفتاةُ التي خرجت بعد عشرين عامًا من العُزلة والحبس.

# مدينة (بليس)، دولة (أوبيا)

## فبراير، 2000

# الفصل السادس والأربعون

"أنتِ لها يا ملكة، تدرَّبنا على الخطبة كثيرًا حتَّى أصبحتُ أحلمُ بها"

قالتْ (زهير) واضعةً يدَها على كتف (آجنيس)، ناظرةً لها بإيمان وثقة.

حقيقةً... الجميعُ في الطائرة المروحيَّة نظروا لها بإيمانٍ وثقةٍ وحُب، بعد أن أراحتهم من شرِّ أبيها وأنقذتهم من عذابه. (زهير) و(جوديث) جلستا على جانبَيها بفرائهما الأبيض الناعم، والجنديَّان المسلَّحان المتَّشحان بالسواد أمامها... متشبِّثَين بأسلحتِهما تأهُّبًا لأي حركة غدرٍ من المعادين لها والموالين لأبيها.

أومأتْ (آجنيس) ونظرتْ من زجاج المروحيَّةِ للأسفل بعينيها الحمراوَين اللامعتَين، وكأنَّهما شعاعُ ليزرٍ يخترقُ الزجاج لترى عبَّارةً بيضاء كبيرة مليئةً بالأشخاص قد اقتربوا منها... آخذةً نفسًا عميقًا. لم تكُن العبَّارةُ وحدَها وسطَ البحر، فقد انتشرتْ حولَها مجموعةٌ من الأشياء التي لم تكُن واضحةً من الأعلى... تترامى مع اتجاه الأمواج.

"هل وجدتم الوزير (باركول) بعد؟"

سألتْ (جوديث) ناظرةً لـ (زهير) بقلقٍ واضح.

"ليس بعد، لكن لا تقلقوا أبدًا فحتَّى إن هربَ لن يجد له موالين قبل أن نظهر نحن... ناهيك عن أنَّ احتمالية علم

أي أحدٍ بعيدةٌ للغاية بل مستحيلة"

أجابتْ (زهير) بطمأنينة، واثقةً تمامًا بخطتها.

"سنبدأ بالهبوط الآن، الزموا مقاعدَكُم"

قال قائد المروحيَّة عن طريق مكبِّر الصوت.

"حسنًا يا ملكتنا، أنتِ تستطيعين... كلنا ثقةٌ بك"

قالت (جوديث) مصفِّقةً بيديها، وعيناها الكهرمانيَّتان تعطيانها منظراً مميَّزًا جميلًا على بشرتِها البيضاء الشاحبة.

بدأت الطائرة بالنُّزول شيئًا فشيئًا، لتتَّضح الأشياء المنتشرة حول العبَّارة مع إناراتها السفلية... طفلاتٌ حديثاتُ الولادة رماهُنَّ آباؤهن في البحر ليُصارِعنَ الغرق. رجالٌ كثيرون وقفوا على أطراف العبَّارة مغمضين أعينهم، بعد أن ارتكبوا جرمًا لا يُغتَفَر بقتلِ بناتهم بغير ذنب... فقط لكونهن إناثًا.

ما هي إلا لحظاتٌ حتَّى تنبَّه رُكَّابُ العبَّارة للمروحيَّة المحلِّقةِ فوقَ رؤوسهم، وكأنَّهم كانوا تحت تأثيرِ مخدِّرٍ من قبل واستفاقوا... ناظرين لها باستغراب وشعورهم وملابسهم تتحرَّك مع هواء المروحيَّة.

هبطت المروحيَّةُ واستقرَّت في المكان المخصَّص لها في منطقة مسطَّحةٍ بأعلى العبَّارة، وبدأ الركاب بالاقتراب أسفلَ مكان الهبوط بحذرٍ وخوف... ما هذه المروحيَّة التي داهمتهم وسط عبادتهم وطقوسهم الدينية؟!

"تعرفان جيّدًا ما تفعلان إن لم تسر الأمور كما أردنا، والزجاج مظلّلٌ فلا يستطيعُ أحدٌ رؤيتكما"

قالتْ (زهير) مشيرةً للجنديّين.

فُتِحَ بابُ المروحيَّةِ إلكترونيًّا، أخذتْ (آجنيس) نفسًا عميقًا مغمضةً عينيها... لتفتَحهما بعد ذلك وتجدَ (زهير) و(جوديث) سبقتاها للخارج بكعابهما الجلدية الطويلة... من ذاك النوعِ الواصلِ للركبة. انتظرتْ ثوانيَ معدودة لتصنعَ لنفسِها رونقًا من الهيبة والملكية كما علَّموها، فدائمًا ما تخرُجُ حاشيةُ الملك ثمَّ الملك بعدهم... وفي هذه الحالة فالملائكة ثم الملاك الأعلى منزلةً والملكة القادمة أيضًا.

خرجتْ من المروحيَّة بعد أن أوقفَ الكابتن محرِّكَها ورأتهُم قد وقفوا على الحافَّة ناظرين للرُّكاب تحتَهم، تاركين لها مساحةً لتقفَ بينهم. مشتْ نحوهُم بهدوءٍ ناظرةً للأمام، والهواءُ يتلاعبُ بشعرِها الأبيضِ الطويلِ الناعمِ وفرائها... مع ريشِ أجنحتِها المفرودة. دقَّاتُ كعبِها على الأرضِ كادت تكونُ مسموعةً لولا صوتُ المروحيَّة الذي انخفض تدريجيًّا، والأمواجُ المتلاطمة وصرخاتُ الرضيعات في البحر حول العبَّارة... ولولا علوُّها عن الرّكاب. وقفتْ على الحافَّة أخيرًا وأصبحتْ واضحةً لهُم، لتنظُرَ لهُم بعينيها الحمراوَين وعليها هالةٌ من الهيبة والكبرياء... دون أن تنطِقَ بحرف.

زاد استغرابُ الرّكابِ أكثرَ وأكثرَ، وبدأ بعضهُم يهمِسُ

للآخر بتعجُّبٍ وذهول... وارتفعتْ همهمتُهم محدِّقين بـ (آجنيس) المجنَّحة ذاتِ العيون الحمراء والشعرِ الأبيض. لم يكُن شعرُ رأسِها الأبيضَ فقط، بل صبغتْ حاجبَيها وحتّى رموشَها ببياضِ الثَّلج.

اختفى صوتُ المروحيَّةِ تمامًا وأجبرت الرياحُ الشديدةُ الأمواجَ على التلاطم حول العبَّارة المنيرة، والشتاءُ يُرغِم البحرَ ليُقدِّم جوًّا معتدلًا مائلًا للبرودة... والطفلاتُ يتلاشى صراخهن مع غرقِ آخرهن وغوصها في أعماقِ المحيط.

*"لما نعود، فهي الوحيدة. لما تعود البشرية، لأنها الوحيدة"*

هتفتْ (آجنيس) بصوتٍ عالٍ وصرامة، ونظرُها للرجالِ تحتَها.

*"لما، تعود الحيوانات، فهي الوحيدة. لما، يعود الشمس والقمر، لأنها الوحيدة"*

أكملتْ هتافَها والجميعُ مُستغرِبون، وبجانبِها (زهير) و(جوديث) صامتتَين تمامًا... ناظرتَين للأمام ببرود.

*"لما، تعود النجوم والكواكب، فهي الوحيدة. لما، تعود كل المخلوقات، فهي الوحيدة. لما، كل الأشياء تعود، لأنها الوحيدة"*

انتهتْ من هتافِها وسكتتْ قليلًا، شادَّةً انتباهَ الجميع...

لتُكمِلَ وتقول:

"أيها المؤمنون، أيها المصدقون، أيها الموقنون... هنيئًا لكم!"

بدأتْ خطابَها الأول لحفنةٍ من شعبِ (أوبيا)، ببلاغةٍ وفصاحةٍ دون تلعثُمٍ أو خطأ... فكم سهرت من ليالٍ تتدرَّبُ على ذاك الخطاب.

"من المؤكد أنكم تتساءلون من أنا، ومن الذين معي، وماذا نريد... وأحب أن أطمئنكم جميعًا أن لا خوفٌ عليكم بل قد جئناكم كآيةٍ من الآلهة ودليلٍ على صدق منهاجكم وطريقكم. قبل عشرين سنة بالضبط رُزِقَ بي أبي الملك (بريجيوس) وصدَّقَ وآمن واحتسب وضحَّى بي في بحر (آنجيلز)، ورضيَ قضاء وحكم الآلهة فيَّ ورضيتُ أنا أيضًا... ورضيَ من ضُحِّيَ بهن من الفتيات أيضًا... بل كل من يُضحَّى بهم قد رضوا وأطاعوا"

بدتْ مصدِّقةً مؤمنةً بالهراءِ الذي تقصُّهُ عليهِم، وسط الخادمتَين المتأنِّقتَين الصامتتَين... مُتقنتين أدوارهما كما خُطِّطَ لها.

"وتثبيتًا وزيادةً ليقينكم وإيمانكم، ودليلًا على من لم يُصدِّقكم فقد بعثتني الآلهةُ أنا واللتين معي... ليعلمَ الجميعُ أن وعد الآلهةِ حقٌّ ويتيقَّن. رُفِعَ أبي وأمي وأخي للفردوسِ الآن جزاءً لصنيعِهِم وإيمانِهِم، وبُعِثنا نحنُ لنستلِمَ زمامَ الحُكمِ في (أوبيا)... ونعملَ على نشرِ الدين وتوعية البشرية"

استمعوا لها دون مقاطعةٍ أو احتجاج، دون أن يُعرَفَ

أمصدِّقونَ هم أم مكذِّبون... نظروا لها ولعينيها الحمراوَين بصدمة.

**"كم مرة نظرت لكم الشعوب الأخرى باحتقارٍ وازدراء وغرابة، مستهترين بدياناتكم ومعتقداتكم وكأنّكم رجعيُّون متخلِّفون؟ ألم يحن الوقت أن تثبتوا لهم صدقَ إيمانكم؟! أما آن الأوان أن تفرحوا بنصر الآلهة لكم بعد الصبر الطويل والمواصلة والمكافحة؟!"**

ازداد خطابُها قوّةً وتشجيعًا، ولغةُ جسدِها تفوقُ الوصف... بحركاتِ يدِها الرزينة الحكيمة. كانت مرّتها الأولى التي تخرُجُ فيها لترى العالم، خارجَ الطابق الذي قضت حياتَها كلَّها فيه... فكيف سيكون خطابُها إن كانت قد خالطت البشر من قبل؟

**"(توماس كارلي)، ابنتاك (ستيفاني) و(هايدي) تلقيان عليك السَّلام... وهما الآن تنعُمانِ بكأسٍ من نبيذٍ في الجنَّة... تنتظرانك لتلحق بهما حين تأذن الآلهة"**

أشارت (آجنيس) إلى أحد الركّاب، والذي جُنَّ جنونه فكيف عرفت اسمه وأسماء بنتيه الميتتين؟!

**"(آليكساندر ميلفين)، ابنتُكَ (شيرلي) تراقِبُكَ بابتسامٍ من الأعلى... محذِّرةً إياك أن تنسى حبوبَ ضغط الدَّم"**

أشارتْ إلى آخر متبسِّمةً، لتكون أوَّل مرةٍ تتبسَّمُ فيها منذُ تُوِّجت.

"و(تشارلي) و(فينش) و(فرناندو) و(فريدريك) و(فيليب) وبقيّتكُم، بناتكم ينعمنَ بوقتٍ هادئٍ جميلٍ في الجنان... يرجون بقاءكم على معتقداتكم ونصرتكم للدين القويم الصحيح"

كانتْ تلك مفاجأةً لهُم جميعًا، فلم يتوقَّعوا أبدًا معرفتها لأسمائهم وأسماء بناتهم... مما أدخل بعضَ التصديقِ في قلوبِهِم.

"هذه (زهير) الملاك الطاهر، رُميَتْ قبلي بعشرِ سنين وصادقتُها في الفردوس... ورُفِعَ والداها للجنَّة بمقابلِ نزولِها لتوعية الناس وتثبيتهم"

أشارتْ لـ (زهير) على يمينها والتي أومأت بجديَّةٍ ووجهُها خالٍ من المشاعر، وشعرُها الأشقرُ تداعِبهُ الرياح.

"وهذه (جوديث) الملاك المُبرَّأُ، رُميَتْ مع (زهير) أيضًا وصادقتُها... ليُرفَعَ والداها الفذان المؤمنان"

أشارتْ لـ (جوديث) على يسارها، وشعرُها الأسودُ القصير بدا ساحِرًا لامِعًا.

"فيا من اختارتكم الآلهة لتكونوا أوَّلَ من يؤمن بي وينصُرُني، أتعاهِدون الآلهة والملائكة بناتكم على حمايتي ونُصرَتِي ومؤازرتي؟"

سألَتهم فارِدةً يديها مع جناحيها، وأصواتُ الأمواجِ تتخَلَّلُ خطابَها الرهيب.

سكتوا قليلًا حتَّى تشجَّعَ أحدُهُم ووافق بصوتٍ ضئيل، ناظرًا للناس حوله بعينين امتلأتا شجاعةً وإقدامًا... مُشجِّعًا آخرين بعده ليوافقوا بصوتٍ أعلى فأعلى.

**"سيحاول العالم بأسره قتلنا وإيقافنا، فهل أنتم حامون لنا؟"**

صرختْ (آجنيس) سائلةً وهي ترفعُ يدها اليُمنى، في مظهرٍ مهيبٍ لها بأجنحتها وفرائها وعينيها الحمراوَين... مظهرٍ لم يتخيَّل أحدٌ حدوثه في التاريخ.

**"نُعاهِدُ الآلهة والملائكة!"**

هتفَ أحدُهُم وهتف خلفه الباقون، رافعين أيديهم اليُمنى.

**"سيحاول (الأسمى) والملوك قتلي وإيقافي، فهل أنتم حامون لي؟"**

سألتهُم ويدُها لا تزالُ مرفوعة، بصوتٍ أعلى من ذي قبل.

**"نُعاهِدُ الآلهة والملائكة!"**

هتفوا بصوتٍ واحد.

**"فلننطلق يا صفوة الخلق، جامعين أكبرَ عددٍ من المؤمنين الأفذاذ إلى القصرِ الملكي بـ (فريك)... اتِّباعًا لأمرِ الآلهة الحكيم... دفاعًا عمَّن سيحاول الكثيرون قتله!"**

صرختْ (آجنيس) مشيرةً بيدِها للأمام، ناظرةً للشاطئ على مدِّ البصر... مُنهيَةً خطابَها الأغرب على مر التاريخ.

لم تعلم هي ولا من معها كيف صدَّقوا تلك الهرطقة، وذاك الخطابَ المليء بالهُراءِ والثَّغرات... لكنَّهُ العقلُ البشريُّ الغريبُ الذي يجعلُ الإنسانَ عبدًا لمعتقده الذي وُلِدَ عليه دون تفكيرٍ أو تحليل بسيطٍ منه!

*"لها نعود، فهي الوحيدة. لها تعود البشرية، لأنها الوحيدة"*

بدأتْ بالهتافِ هي و(زهير) و(جوديث)، ليتبَعَهُن المغفَّلون الذين انطلت عليهم تلك الخرافات... بإيمانٍ قويٍّ استعدُّوا للموتِ في سبيله!

# جزيرة (الأسمى)، دولة (بوسكي)

## فبراير، 2000

# الفصل السابع والأربعون

"هُراء! بحقك يا (لوكاس)، لا مجال للعاطفة في هذه القرارات"

امتعضَ (فين)، ضاربًا بقبضته طاولة الاجتماعات وهو ينظُرُ للرجُلِ الكفيفِ أمامَه... وجبينُه يتصبَّبُ عرقًا من الغضب والحنق رغم برودة الجو.

أبدى جِلدُهُ المترهِّلُ الأبيضُ وشعرُهُ المشتعلُ بالشيب تقدُّمَه في العمر، بجسمِهِ البدين الذي تغطَّى ببدلةِ (التوكسيدو) الأرجوانيَّة الواسعة.

"وجلوسُنا مع هذه المدعوَّةِ (آجنيس) إلى طاولةِ للتفاوُض سيُقلِّلُ من شأننا ويُعطيها أكبرَ من حجمِها! لم يحصُل في تاريخ (الأسمى) من قبل، أن يجلسوا للتفاوُضِ مع أيِّ أحد... ناهيكَ عن مُتمرِّدةٍ انقلابية!"

أيَّدَ (ماكسويل) (فين) بكلِّ هدوءٍ دون انفعال، مُشبِّكًا يديه على الطاولة... مرتديًا بدلةً كبدلةِ (فين) تمامًا.

"هل يُعقَل أن نُبيدَ شعب (أوبيا) كلَّه إذًا في سبيل قتلِها؟! لقد رأيتَ كيف أحاطوا بقصرِها وتشبَّثوا بأسوارِه كالذباب، وجميعُهم مستعدُّون للدفاع عنها بأرواحهم"

أجاب (لوكاس) بانفعالٍ شديد مُتحرِّكًا للأمام، حتى خافوا أن يسقط عن كرسيِّه المتحرِّك.

صمتَ الجميعُ في محاولةٍ يائسةٍ لتهدئةِ نفوسِهِم، تاركين

أصواتَ المطرِ المُصاحَبِ بالبَرَد تحدَّث... بعد أن واجهوا مُعضِلةً لم تحدُث في تاريخِهم من قبل.

دقَّاتُ قلوبِهم تتسارع وأفكارُهُم تتضارب، مع اختلاجِ المشاعرِ في قلوبِهم... باذلين قصارى جهدِهم ليبحثوا عن حلٍّ مع هذه المرأةِ التي اهتزَّ العالمُ لظهورِها. تارةً يلقي البرقُ بوميضِهِ وسطَ غرفةِ الاجتماعات الكبيرة، ليزيدَ توتُّرَهم. وتارةً أخرى يرمي الرَّعدُ بهزيمِهِ على مسامِعِهم، ليُعيدَهُم للواقِـعِ المُؤرِّق. هيبتُهُم على المحك، ونظامُ الحكم الذي وضعَهُ أجدادُهُم من قبلهم قد ينهارُ بالكامل!

"سيدي، لقد وصلتْ"

ظهرَ صوتٌ عميقٌ من مكبِّراتِ الصوتِ في الغرفة، ليأخذوا نفسًا عميقًا بعدَهُ... محاولين الحفاظَ على رباطةِ جأشِهِم وتوحيدَ كلمتِهِم.

"أدخِلها"

قال (لوكاس) بنبرةٍ هادئة، ناقضتْ تمامًا شعورَهُ المُرتبِكَ من الداخل... (لوكاس)... (الأسمى) الأكثرُ صرامةً بينَهُم مُرتبِكٌ قلِق... فماذا عن شعور البقية؟!

ثوانٍ مرَّت كالدقائق على أفئدةِ وعقولِ (الأسمى)، منتظرين دخولَ هذه المرأةِ المدَّعية للملائكية والنبوَّة... وكلٌّ من الكهول الثلاثة يغوصُ في محيط أفكارِهِ. انسحبَ بابُ الغرفة لليسارِ إلكترونيًّا وحوَّلَ الجميعُ أنظارَهُم للباب، حتَّى (لوكاس) الذي كان كفيفًا أصلًا.

دخلت الملكة (آجنيس) بفرائها المُجنّح، ناظرةً للأمامِ بخطواتٍ ثابتة... رافعةً رأسَها بكبرياء لا مثيل له. القليلُ من ماءِ المطرِ بلَّلَ شعرَها الأبيضَ الطويل، وتساقطتْ قليلُ قطراتٍ على وجهِها الأبيض الشاحب... ودقَّاتُ كعبِها تخَلَّلُ هزيمَ الرَّعدِ ووقع زخَّاتِ المطر. جلستْ على أقربِ كرسيٍّ لها ووضعتْ رجلًا على رجل... أمام (الأسمى)... (الأسمى) الذين يخشى أعتى الملوكِ التَّحديقَ بأعيُنِهم فقط!

صنعَ الصَّمتُ هالةً من القلق والتوتُّر، دون أن ينطقَ أحدٌ بحرف... اكتفوا بالتَّحديقِ بها وهي تردُّ نظراتِهم بنظراتٍ أخرى متعجرفة غير مكترثة. ومضَ البرقُ وسطَ الغرفةِ فجأة، لتلمعَ عينا (آجنيس) الحمراوان وتُشعا... مُمثّلةً شيطانًا بشِعًا... لا ملاكَ رحمةٍ على الإطلاق! حمحمتْ حلقَها وساقاها معقودتان، قبل أن تقولَ بكلِّ بجاحة:

"إليكُم ما سيحدُث، ستعلنونني ملكةً بشكلٍ رسمي... ولن أ..."

**"خسئتِ يا ساقطة! من أنتِ حتَّى تحدّثي بهذه الطريقة؟!"**

انفعلَ (فين) صارِخًا، وعروقُ جبينِهِ بارزةٌ من شدَّةِ الاحتقان.

"الملاك الطَّاهر (آجنيس)، آيةُ الآلهة... وملكة (أوبيا)"

نطقتْ بكلِّ برود وهدوء، متبسِّمةً في وجهِ (فين) بخُبثٍ

واستفزاز.

"دعها تُكمِل حديثَها"

قال (لوكاس)، محاوِلًا تهدئةَ نفسِهِ والتَّفكيرَ برزانة... عاقدًا ذراعيه.

"خلفي شعبٌ مكوَّنٌ من 74 مليون نسمة، مستعدّين في أيِّ لحظةٍ لإعلان الحربِ والتمرُّدِ على العالم. وأنتُم في غنى عن ذلك كله أيها (الأسمى)، قد فرضَ من سبقَكُم هذه القوانين ونظَّمَ العالم وجعلَهُ تحت رايةِ حُكمٍ موحَّدة... فلا داعي لأن تبدأ حروبٌ أهليةٌ وما إلى ذلك. طلبي بسيط، اعترفوا بتتويجي الشرعي وأعلنوهُ للعالم... ولن أُغيِّرَ شيئًا من القوانين. سيبقى (الأسمى) أسمى، وسيبقى الذُّكورُ ملوكًا كما تشاؤون، وستبقى قوانينكم مطبقةً حتَّى على أبناءِ شعبي. ولكُم أن تختاروا من شئتُم من الملوكِ بعد رحيلي"

انتهتْ من فرضِ شروطِها بلهجةٍ آمرةٍ قويَّة، وأنزلتْ قدمَيها مُريحةً ظهرَها على الكرسي... والأمطارُ مع البَرَد تهطلُ بعُنفٍ وغزارة.

"أين الملك (بريجيوس) وابنُهُ (ليكتور)؟"

قفزَ (ماكسويل) بسؤالِه، ناظِراً لها لتلتقي عيونُهُ البنيَّةُ بعينيها الحمراوَين... متفحّصًا ملامحَ وجهِها.

"في أعلى الجنان"

قالتْ (آجنيس) مشيرةً بإصبعِها للأعلى.

"تعلمين أنَّ بوسعِنا إبادة شعبك بالكامل إن اضطُرِرنا، أليسَ كذلك؟"

قال (فين) وهو ينظُرُ لها بحقدٍ وغضب.

"أودُّ أن أراكَ تُحاوِل، كم من الوقت مضى وجنودُكُم يُحاصِرون القصرَ دون أيِّ محاولةِ هجوم؟"

ابتسمتْ نصفَ ابتسامةٍ بعد أن أجابتْه، في منظرٍ لم يتكرَّر من قبل... أن يُخاطَبَ (الأسمى) بعجرفةٍ وتمرُّدٍ لا حدود لهُما!

لم ينطِق (لوكاس) بحرفٍ طيلة المحادثة، بل ظلَّ يُفكِّرُ ويفكِّر... إلى أن خضعَ أخيرًا قائلًا:

"إن اشتَمَمنا رائحةَ تمرُّدٍ علينا أو محاولةٍ لتغيير أيٍّ من القوانين، فمصيرُكِ الهلاكُ وإن تحتَّمَ علينا حرقُ (أُوبيا) بأسرِها!"

بدا الانكسارُ والخضوعُ في نبرتِهِ... وإن حاولَ إظهارَ السيطرة والعِز.

أومأَ بعدَها (ماكسويل) مُؤيِّدًا كلام (لوكاس)، ليستشيطَ (فين) غضبًا ويضرِبَ الطاولةَ بقبضَتِه... قائمًا من مكانه.

"يا للعار! يا للخضوع والذُّل!"

صرخَ مُتَجِهًا نحو الباب، والشَّرَرُ يتطايرُ من عينيه... ومن يلومه؟! فلم يسبق أن سقطتْ هيبةُ (الأسمى) بهذا الشكل

المروّع.

"اتفقنا"

قالتْ (آجنيس) قائمةً من مكانِها، وكأنَّها عقدتْ صفقةً تجاريَّةً مع شركة. اتَّجهتْ للخارِجِ بفرائها المُجنَّح وابتسامةُ الانتصار تعلو وجهها... كاسرةً شوكةَ (الأسمى) بذاتِهِم مع دقَّاتِ كعبِها الأسودِ العالي!

## العاصمة (بوسكينو)، دولة (بوسكي)

## أكتوبر، 2018

# الفصل الثامن والأربعون

تحرَّكَ الجنرالان بهمَّة بعد أن فُتِحتْ بوابة القصرِ المستطيلِ الأبيض، والعرقُ يتصبَّبُ من جبينهما ودقَّاتُ قلوبِهما تتسارعِ... تحتَ أشعَّة الشَّمسِ الحارقة. صاحبَهما حارسٌ ضخمٌ مدجَّجٌ بالسلاح، امتلأ وجهُهُ بالندبات والثقوب... ليخترقوا حديقةَ القصرِ التي امتلأت بأشكال وأنواعِ الزهور والأشجار المختلفة... متراصَّةً بشكلٍ احترافي لاءم جمالَ القصرِ وفخامتَه.

ضيَّقوا أعينَهم التي آذتها حرارةُ الشمسِ مُختلِطَةً بالرطوبة، لتُشكِّلا جوًّا جحيميًّا لا يُطاق... ألصقَ ملابسهم العسكرية بأجسادهم المتعرقة.

لم يكُن القصرُ كبيرًا جدًّا، فسرعان ما تجاوزوا الحديقة ليصِلوا لباب القصر... حاثِّينَ الخُطا بقلقٍ واضح. تنحَّى الحارسان اللذان وقفا أمام الباب بمجرد اقترابِ الجنرالَين، ودخلا للقصرِ مع ذاك الحارس الضخم... ببُنيةِ جسدِهِ المفزعة وعضلاته المهولة. كان القصرُ تقليديًّا من الداخل، أشبهَ بفيلا كبيرة... بأثاثِهِ البسيط ورونقه المتواضع. حجراتٌ على اليمين واليسار، وفي آخر الدهليز درجٌ للدورِ الثاني... لا لوحات باهظة الثمن ولا تماثيل فريدة كبقية قصور الدنيا.

تقدَّمَهم الحارسُ دون أن ينظُرَ للخلف، بخُطًا ثابتةٍ مهيبة... إلى أن وصلَ لغرفةٍ وقف عليها حارسان آخران.

"صاحب الجلالة ينتظركم"

قال بصوتٍ عميقٍ جدًّا، بدا وكأنّهُ معدّلٌ بالكمبيوتر من شدة عمقه... مُفسِحًا لهم الطريق.

فتَّشَهُما الحارسان أمام الغرفة من الأعلى للأسفل، بحثًا عن سلاحٍ أو ما شابه... ثمّ ابتعدوا عن الغرفة المفتوحِ بابُها.

نظر الجنرالان بعضُهُما لبعض وأومأا، بالعين ريقهما بصعوبة... وقلوبهما تكادُ تنفجِرُ من شدّة الخفقان. دخلا الغرفةَ ونزعا قبعاتِهِما العسكرية، راكعَين احترامًا وإجلالًا لمن جلس بالداخل.

استقرَّ رجلٌ أبيض أصلع على طاولة الاجتماعاتِ الصغيرة، مرتديًا بدلةً رسميةً سوداء أظهرت بدانتَهُ مع ضيقِها... ناظرًا لهما بعينيه الخضراوَين. على يمينه جلسَ رجلٌ وسيمٌ في منتصف العمر، بشعرٍ أشقرَ ناعمٍ مُسرَّحٍ لليمين... وبدلتُهُ الرسمية الزرقاء على جسده العضلي زادته جمالًا.

"صاحب الجلالة (لوجان)، معالي الوزير (ألفونسو)"

قال أحدُهُما رافِعًا نفسه، واقفًا مكانه مع الجنرال الآخر.

"تفضلا بالجلوس"

قال الوزير (ألفونسو)، مشيرًا بيدِهِ للكراسي القريبة منهما... سامحًا لهما بالجلوس في حضرة الملك.

"أنا الجنرال (بارون) وهذا الجنرال (كودي)... التابعان لقوّاتِ الطوارئ في (بريجيرا)"

قال الجنرال جالسًا، مشيرًا لزميله وهو ينظرُ للملك (لوجان) بتوتُّرٍ واضح.

لم ينطقا بحرفٍ بعدها ليسود الصمتُ الغرفة، وهما يتبادلان النظراتِ القلقة بين الفينة والأخرى.

"أدليا بدلوكما ولا تخافا"

نطقَ الملكُ (لوجان) أخيرًا، لينقذ الغرفة من جو التوتُّرِ العارم... بصرامةٍ وحِدَّة.

"حسنًا يا سيدي، سندخُلُ في لُبِّ الموضوعِ مباشرةً. لقد تردَّدنا كثيرًا قبل المجيء إليك لسنواتٍ طوال، إلى أن عقدنا زمام أمرنا حين ازدادَ الوضعُ سوءًا"

قال الجنرال (كودي)، ماسحًا عرقَ جبينِهِ وهو يضعُ قبعته العسكرية على الطاولة.

أثارَ كلامُهُ الفضولَ لدى الملك وعدَّلَ جلستَه، مُشبِكًا يدَيه على الطاولة... منتظرًا أحدَهُما ليشرَحَ له مشكلتهم.

"ما أنت على وشك سماعِهِ لن يكون سهلَ التصديق، لكن اسمعنا حتى ننتهي وسنزوِّدُكَ بالأدلة. اكتشفنا قبل عدَّةِ سنوات أنَّ الملك (دريكسِل) قد سمحَ لبعض الأشخاصِ بالعيش في (الجزيرة المجهولة)، وكان يزوِّدُهُم بالمؤونة وبنى لهم الجزيرة بالكامل... ليتضِحَ بعدها أنَّها غير

مسمومةٍ أصلًا! الأزمة الاقتصادية التي تمرُّ بها (بريجيرا) الآن هي بسببِ إنفاقه الكثير من ميزانية الدولة على سكان الجزيرة، وحسبَ اعتقادنا وتفتيشنا حول الموضوع... أنَّهم يعيشون هناك منذ أكثرَ من ثلاثين سنة. ولدينا الكثير من المكالمات المسرَّبةِ والتسجيلات بينه وبين (تشارلز فاولكين)، والذي هو (رئيس العلماء) الآن... يتحدَّثان فيها عن (الجزيرة المجهولة) ليثبتا كلامَنا. ولو ذهبتَ الآن لـ (معمل الغوغاء) المهجور لوجدتَ حارسَين، وعبَّارةً مستعدَّةً للانطلاقِ لـ (الجزيرة المجهولة)... ولدينا التسـ.."

توقَّفَ الجنرال عن التحدُّثِ وتسمَّرَ مكانه من الخوف، فقد أومأ الملك (لوجان) لوزيرِهِ فجأةً دون سبب.

"حان الوقت"

قال الوزيرُ (ألفونسو) مُخرِجًا لاسلكيًّا من جيبِه، مباشرةً بعد إشارة الملك له.

دخل الحارسان اللذان وقفا عند الباب للغرفة، ووجَّها أسلِحَتَهُما نحو الجنرالَين وتقدَّما نحوَهُما سريعًا.

"سيدي، ما الأمر؟"

صرخَ أحدُهُما والرُّعبُ ملأَ عينيه، بينما اكتفى الآخرُ بالتجمد مكانه... فاتحًا عينيه على مصاريعهما.

"من يخونُ سيِّدَهُ مرَّةً، سيخونُ مُجدَّدًا لا محالة... والواشون لا أمانَ لهُم ولا خيرَ فيهم!"

نطقَ الملك (لوجان) بحكمة، ناظرًا لهما باشمئزاز ودونيَّة... واضِعًا رجلًا على رجل.

وضعَ إصبعَهُ على عنقه وحرَّكَهُ حولَهُ للجهةِ الأخرى، ناظرًا للحارسَين وقد وضعا أيديهما حول رقابِ الجنرالَين... ساحبين إياهما للخارج.

**"الرحمة يا صاحب الجلالة، الرحمة... أتوسَّلُ إليكَ يا سيدي أ..."**

سدَّ الحارسُ فَمَهُ ليكتُمَ صوتَه، دون أن يحِنَّ قلبُ الملك للحظةٍ عليهِما.

"اتصل بالملك (دريكسِل) وأبلِغهُ بالمجيء إليَّ بأسرعِ وقت"

***

"ومنذُ اكتملَ بناءُ المباني في (الجزيرة المجهولة) مكثوا بها، طالبين أموالًا طائلةً بين الفينة والأخرى... واضطُرِرتُ لإعطاء منصب (رئيس العلماء) لـ (تشارلز فاولكين)... ثم ماتَ بعد ذلك في الحادثة الإرهابية الشهيرة قبل ست سنوات"

أنهى الملك (دريكسِل) حديثَهُ وأراح ظهرَهُ على الكرسي، مُتنهِّدًا بعُمق والانكسارُ والخجل واضحان على وجهه.

كان جالسًا ببدلةٍ رسميَّةٍ رماديَّةٍ تناسقت مع عينيه

الرماديتَّين، مُظهِرةً مدى نحالة جسده.

"وأعطيتَ زوجتَهُ (فيوليت) المنصب بعد ذلك"

قال (لوجان) مُسنِدًا ذقنه على يديه، وهو ينظرُ إلى (دريكسِل) باهتمامٍ وعطف... رغم أن (دريكسِل) يكبُرُهُ بسنواتٍ كثيرة!

رُغمَ استقرارِ أجسادِهما بعضهما أمام بعض إلى طاولةٍ صغيرة، أذهانُهُما كانت تَسبحُ بعيدًا في مخيلاتها... والصمتُ يخيِّمُ على الغرفة. رُغم غلاءِ ملابسِهما وفخامتِها، إلا أنَّهُما بدَوا كرجُلَين مُسنَّين قد زارَ أحدُهُما الآخرَ في منزِلِه... لا كملكَين يحكُمُ كلٌّ منهما دولةً عظيمةَ الشأن!

"وجبَ عليكَ التوجُّهُ إلى أبي حين قاموا بابتزازِكَ وقتَها، فأبي وأبوك كانا صديقَين حميمَين"

نطقَ (لوجان) بعد دهرٍ من السكوت، مُشيرًا لـ (دريكسِل) وكأنَّهُ يوبِّخُ أصغرَ أبنائه.

**"سيُنشَرُ المقطع وسيفحصونني وسيعلمون بحملي لمرض (الهرِس)، وحتى إن حاولنا فِعلَ شيءٍ الآن فسينشرون المقطع أيضًا"**

أجابَ (دريكسِل) بانفعالٍ قائمًا من مكانه، وعيونه الرمادية تكاد تخرجُ من مكانها.

"لا داعي لمهاجمتي، فأنا الوحيدُ الواقفُ بصفك"

قال (لوجان) بهدوءٍ تام، أجبرَ (دريكسِل) على الهدوء.

"أولئك الملاعين، خطَّتُهم مُحكَمةٌ رهيبة... نقلوا لك المرض عن طريق (فيوليت) ليحوزوا جزيرةً لهم وحدَهُم"

تحدَّثَ (لوجان) وهو يقومُ من مكانه بصعوبة، جرَّاءَ سمنته المُفرِطة وجلوسِهِ الطويلِ على كرسيِّه... متجوِّلًا في أنحاء الغرفة.

"لكن لا تقلق، سنجعلُهُم يندمون على ما فعلوا أشدَّ الندم... ووفاةُ (تشارلز) سهَّلَت علينا كثيرًا من العناء... فهو العقلُ المدبِّرُ لزُمرتِهِم. سنورِّطُهُم بجرائمَ لا تُغتَفر، تُرغِمُ العالم على كراهيتهم"

طمأنَهُ بعد أن وقفَ أمامَهُ، مادًّا يدَهُ ليُصافِحَهُ (دريكسِل) بحرارة... ناظرين بعضُهُما لبعض بجِدَّةٍ وصرامة.

"ماذا فعلتَ مع الجنرالين (بارون) و(كودي)؟"

"أرحتُكَ منهما فلن يتحدَّثا بعد اليوم أبدًا، وهذا جزاءُ من يعبثُ مع الملك (دريكسِل)!"

ردَّ (لوجان) بصرامةٍ ناظرًا لحليفِهِ بعينَين خضراوَين امتلأتا شرًّا، مربِّتًا على كتفِه.

(الجزيرة المجهولة)

يناير، 2019

# الفصل التاسع والأربعون

تقدَّمتِ السفينتان الحربيَّتان تحتَ الثَّلجِ المتساقطِ على أرجائها، قاطعتين البحرَ الهادئَ والشَّمسُ توشِكُ على المغيب. النَّوارِسُ تطيرُ بعيدًا مُلقيَةً آخر توديعاتِها بالتغريد، واعدةً البحرَ بالقدومِ غدًا. وبين ذلك كلّه... وقفَ الملك (دريكسِل) مع (لوجان) على مقدِّمة إحدى السَّفينتين، واضعًا يديه خلف ظهرِه وهو ينظرُ للشاطئ الذي لاحَ بالأُفق. اشتدَّتْ حولَهُ بدلةٌ رسميَّةٌ زرقاء غايةٌ في الفخامة، استقرَّت عليها سترةٌ سوداء مضادَّةٌ للرصاص... واضِعًا يديه حولَ مُسدَّسِهِ المُعلَّق على جنبه. شدَّ فكَّيه والشَّمسُ الغاربةُ تنعكسُ على عينيه الرماديَّتين، والثَّلجُ الخفيفُ يتساقطُ عليه.

"ها نحنُ أولاء يا (دريكس)، مستعد؟"

قال (لوجان) واضعًا يديه في جيبيه، وقد ارتدى زيًّا عسكريًّا على غيرِ العادة... ومسدَّسُهُ على جنبِه.

أومأ (دريكسِل) دون أن يتفوه بحرف، استمرَّ فقط بالنظر إلى الشاطئ الذي اقتربوا منهُ شيئًا فشيئًا... والحقدُ بادٍ في عينيه.

"إن لمح أحدُكُم (فيوليت فاولكين) أو (ناثين) فإياكُم وقتلَهم، فقط أحضِروهم لنا أحياء قدر الاستطاعة... أما البقية فلا تغادروا منهم أحدًا"

نطقَ أحدُ القادةِ خلفَ (دريكسِل) و(لوجان) على اللاسلكي، ناظرًا للجنودِ في الخلف.

حوتِ السفينتان جيشًا عرمرمًا فتّاكًا، قد تزوّدَ بالعدة والعتاد... جاهزًا لغزوِ المنطقةِ وإبادتِها بأقوى الأسلحة.

بدأت السفينتان المبحرتان بعضهما بجانب بعض تخفيفَ السرعة، بعد الاقتراب من شاطئ الجزيرة... وأخذَ الجنودُ أماكنَهم في صفوفهم. دقائق معدودة ورستا على رمالِ الشاطئ المُثلج، وسرعان ما نزلَ الجنودُ ليشكّلوا جيشًا واحدًا مصفوفًا على اليابسة... والثّلجُ يتزايدُ والرياحُ تشتد.

نزل الملكان وقد أحاطَ بهما عددٌ غيرُ قليل من الجنود، ليقِفا خلفَ الجيشِ مرفوعي الرأس... دون أن ينظرا للوراءِ أبدًا.

**"فلنجعل العالم بأكمله فخورًا بنا، ولنسطّر التاريخ!"**

صرخ قائدُ الجيشِ رافعًا يده، لترتفع همّةُ الجيشِ مع أيديهم... ويبدؤوا بالتوغّلِ في الجزيرة ليمشي خلفهم (دريكسِل) و(لوجان) المُحاطان بالجنود.

الرياح المثلجة تشتد، والشمسُ تخفي نورها على العالم ليظهرَ القمر، والجيشُ يتقدّمُ بثباتٍ وعزيمة... دون أدنى خوفٍ من الموت. لم يطيلوا المشي حتى وصلوا لمتجرِ بيع الملابس والمسرح المقابلين بعضُهما لبعض، لينقسِمَ الجيشُ لستِّ مجموعات باحترافية... من تلقاء أنفُسِهم بعد أن درسوا تخطيط مباني (الجزيرة المجهولة) جيّدًا.

توجَّهت المجموعة الأولى للمتجر واقتحمته فورًا، والمجموعة الثانية دخلت المسرح... واستمرَّت المجموعات الأخرى مع قائد الجيشِ بالمشي... والملكان يتبعانهم.

توقَّفوا أمام منزل (الفاولكين) ومبنى نادي (العنقاء الرمادي)، لتقتحم مجموعةٌ المنزل والأخرى النادي... واستمرَّتْ آخرُ مجموعتين بالمشيِ حتَّى توقَّفوا بين المطعم المهجور والمدرسة. سمعوا صوتَ طلقاتٍ ناريَّة دون أن يعلموا مصدرَها، أقادمةٌ من البيت أم النادي.

وقفَ (دريكسِل) و(لوجان) هناك مع قائد الجيش، وحولهم جنودُهم المسلَّحون... لتقتحم آخر مجموعتين آخر مبنيَين في الجزيرة. البرودةُ القاتلةُ تعتري الأجساد، والرياحُ الشديدة تختلطُ بصوتِ الطلقاتِ التي تزداد من داخل المباني... والملكان يقفان هناك بصمتٍ وبرود.

**"حضرة الملازم، (فيوليت فاولكين) هُنا في المطعم المهجور"**

صرخ أحدُ الجنودِ عبر اللاسلكي، لاهثًا.

لم ينتظر الملكان وتحرَّكا فورًا للمطعم المهجور بجانبهم، والجنودُ يتلفَّتون بأسلحتِهم احترازًا من أي هجومٍ مفاجئ. دخلوا المطعم الغابر ليجدوا (فيوليت) جاثيةً على ركبتَيها بجانب طاولةٍ من طاولات المطعم، ويداها خلف رأسِها الأشقرِ المجعَّد ورأسُها للأسفل... والجنودُ تجمَّعوا حولَها مشيرين بأسلحتهم عليها. رفعتْ نظرَها لترى (دريكسِل)

و(لوجان)، فاتحةً عينيها الخضراوَين على مصاريعِهما... لتلتقيا بعيني (دريكسِل) الرماديتين.

"حسنًا أيها الجنود، فلنخرُج الآن"

قال قائد الجيش خارجًا من المطعم، ليتبَعَهُ كلُّ الجنودِ عدا أولئك المحيطين بالملكين. أخرجَ (دريكسِل) مسدَّسَهُ وأشارَ به على (فيوليت)، التي جلستْ مستسلمةً بفستانٍ أبيضَ ضيقٍ ووشاحٍ ريشيٍّ أزرق فاتح اللون.

أشارَ (لوجان) لبقية الجنود بالخروج من المطعم، حتَّى بقيَ هو و(دريكسِل) وحدَهُما مع (فيوليت)... والبابُ مغلقٌ عليهم.

"حُب، نخداع، فنقل مرض، فابتزازٌ وتهديد... يا لها من جرائمَ شنيعة!"

قال (دريكسِل)، مجهِّزًا مسدَّسَهُ للإطلاق... مقتربًا من غريمته التي أقلقت مضجعه لياليَ لا تُعد ولا تُحصى. ضحكَ بخُبثٍ واقفًا أمامها، لتتغيَّرَ ملامحُها بشكلٍ مُريب.

تبسَّمتْ بوجهه هازَّةً رأسَها، ابتسامةَ انتصارٍ ناقضتْ تمامًا موقِفَها... والذي وجبَ أن يجعلَها تطلُبُ الرَّحمة وتتوسَّلُ عند قدَميه.

"حذَّرناكَ وكنتَ مطيعًا لسنواتٍ طويلة، فمن الغباءِ أن تتراجعَ الآن لتفرِدَ عضلاتك... ستندمُ يومَ لا ينفعُ الندم... وسترى مقطعك أيها الذليل في كلِّ مكان"

قالت بنبرةٍ هادئةٍ جدًّا، دون خوفٍ من المسدَّسِ المُصوَّبِ على جبينِها.

اشتعلتْ عينا (دريكسِل) غضبًا وبدأتْ أنفاسُهُ تتسارع، قرَّبَ مسدَّسهُ وألصقَهُ بجبينِها وسبَّابتُهُ على الزِّناد... لتضحكَ (فيوليت) بشكلٍ هستيري مستفز!

"هل كنت تعتقد أنِّي سأتوسَّلُ إليكَ للعيش؟ يا لك من مثيرٍ للشفقة!"

تعجرفتْ (فيوليت) بسخرية، مثبِّتةً عينيها الخضراوَين غير المكترثَين على الإطلاق... بعينيه الرماديَّتَين اللتَين تطايرَ الشررُ منهما.

لم يتحمَّل أكثرَ من ذلك، وسرعان ما أخرسَها للأبد... ضاغطًا الزِّناد لتخترقَ الرصاصةُ منتصفَ جبينِها الأبيض. سقطتْ (فيوليت) على الأرض والدم يسيلُ على وجهها من الثقب الذي حُفِرَ بجبينِها، لافظةً أنفاسَها الأخيرة.

بدأتْ يدا (دريكسِل) بالارتجاف وجرتْ دموعه على خدَّيه، ناظراً لغريمتِه وحبيبته في الوقت ذاته... بمشاعرَ مختلطةٍ غريبة. أحزينٌ هو أم فرِح؟ لا أحد يعلم، فقط استمرَّ بالنظرِ إليها بعينين امتلأتا دموعًا.

"صاحب الجلالة... لدينا مشكلة! لم نعثُر على (سارة) و(بليد العنقاء)، ولا أثرَ لبناتِ (الفاولكين)!"

صرخَ قائد الجيش، طارقًا باب المطعم المغلق بعُنف.

مدينة (أليو)، دولة (سويفين)

يناير، 2019

# الفصل الخمسون

## المتحدثة: (آنجيلا)

اختفت نغمة الاتصال المزعجة بعد قبولي لاتصال (هيزيل كويري) - (آفا) - وصداها لا يزال يتكرر في أذني... بعد أن تركنا توءمتها (آليكس) لتواجه حصار جيش (الأسمى) المرير. ظهرت دائرة الانتظار، ومعها صورتي أنا و(جيني) بحالتنا الفوضوية المزرية... من لباسٍ مُضحِك وشعرٍ غير مرتب وأعيُنٍ ملؤها الإرهاق.

**"يا رفاق... لا وقت للشرح! (الأسمى) يحاصر جميع الفنادق للفحوصات، غادرا الفندق على الفور ولا تتركا أي أثر"**

بمجرد ظهورِها على الكاميرا بدأتْ بالصراخ والتحذير... بشعرِها الأرجواني المحلوق من الجانب، والذي بدا كأشواك قنفذ من فوضويته. غطَّى قميصُ نومٍ أبيضُ حريريٌّ جسدَهَا... وأشعةُ الشمسِ الخفيفة القادمة انعكست على نصف وجهها الأسمر.

"اهدئي اهدئي... سبقَ وأتَوا لنا وقارنوا عيِّناتِنا مع أمي... أفهمُ من كلامِكِ أنهم زاروكِ أيضًا؟ هل ظهرت نتائج المقارنة؟"

سألتُها باهتمام، وعيناي لا تفارقان وجهها.

بعثت تلك الكلمات في نفسِها الراحة، وعدَّلت جلستها

على الأريكة مُطلِقَةً تنهيدةً عميقةً قبل أن تقول بهدوءٍ طغى عليه الحُزن:

"نعم... قاموا بمحاصرةِ فندقي وأخذِ عينةٍ مني، وظهرت النّتيجة سلبية. وأنتن هل ظهرت نتائجكن؟"

لم أعلم أأفرحُ وقتها أن إحدى أخواتنا شاركتنا المصيبة أم أحزنُ لأنّنا قد لا نكون أخوات! أخذتُ نفسًا عميقًا لأستعد للتحدث... لكن (جيني) سبقتني قائلةً:

"نتائجنا سلبية أيضًا"

سكتنا جميعًا لبُرهة... وأدمغتنا تحاول البحث عن تحليل منطقي.

"أعتقد أن (سارة) و(بليد) لهما يد فيما حصل... من المحتمل أنهما عبثا بالنتائج بطرقهما الخاصة و..."

"مستحيل! كيف يتمكّنان من العبث بأقوى جهازٍ أمنيٍّ في (الأسوأ)؟!"

قاطعتُ (آفا)، خالِعةً نظارتي الزهرية لأنظفها وألمعها بقميص النوم الأزرق.

"بإمكانهما يا (آنجي)... أُناسٌ كأمي وأبي وأفراد (العنقاء الرمادي) ربطتهُم علاقاتٌ بملك مثل (دريكسِل)، أعتقدُ أنه من السهل عليهم العبثُ بنتائج الفحوص. واثقةٌ أن لديهم علاقاتٍ أيضًا داخل دائرة (الأسمى) مكّنَتهم من التدخُّل... ألم تصلكم رسالة من

(سارة) تخبركم فيها بعدم الهروب أو الخروج مهما حصل، كما وصلتني وقت الحصار؟"

"بلى!"

ردت عليها (جيني)... بينما صمتُّ وأنا أغوصُ في أفكاري.

"هذا يعني أنَّها كانت تخطِّطُ للعبث بالنتائج هي و(بليد) ... أو أنها عبثت وانتهت!"

فسَّرت (آفا)، مُلاعِبةً شعرها الأرجواني.

"أو أنهُ يعني أنها كانت عالِمةً بأن نتائج الفحص ستظهر سلبية لأن (فيوليت) ببساطة ليست أمَّنا! لا يوجد أيُّ تفسيرٍ منطقي غير ذلك، وحتى لو كان لهم علاقات مع الملك (دريكسِل) فلن يصلوا لـ (الأسمى)... أنسيتِ أنهم الأعلى سُلطة؟"

بقدرِ النقاشات والمناظرات التي خُضتُها... كان هذا النقاش الوحيد الذي تمنَّيتُ أن أكون فيه مخطئة. تمنَّيتُ لو أُهزَم فيه أمام حجج (آفا) وتبريراتها، لكن عقلي أبى إلا أن ينتصر بمنطقيته اللعينة.

صمتنا جميعًا... متذكرات لحظاتنا مع أمنا، والتي لم نعد نستطيع الجزم بأنها والدتنا... وهذا هو أسوأ ما في الأمر!

"أين (آليكس) بالمناسبة؟ رأيتُها متصلة ومنضمَّة لمكالمتكن!"

سألت (آفا)، مُحاوِلةً إشغالَ عقلِها بعيدًا عن موضوع (فيوليت).

"(الأسمى) يحاصر فندقها الآن... وقد أخبرناها أن تدعهم يأخذون العينة ثم نتصل علينا بعد ذلك لنجد حلًا"

أجابت (جيني)، بنبرةٍ هادئة... مُتثائبةً.

"عليهم اللعنة! استطاعوا الوصول لفنادقنا جميعًا في أوقات متقاربة. آه لو علمتن ما مررتُ به البارحة لَشَابت رؤوسكن... لم أعُدْ أتحمَّل كِتمانَ الأمرِ أكثرَ من ذلك"

صمتت (آفا) قليلًا، آخِذةً نفسًا عميقًا مُغمِضَةً عينيها... قبل أن تكمل:

"أتتذكرن حين أخبرتكن عن المسرح أمام فندقي؟ ذهبتُ بعد آخر مكالمةٍ لنا والتقيتُ ببائعة التذاكر (آليس)... سيِّدة عجوز لطيفة للغاية. تبادلنا أطراف الحديث قليلًا قبل أن تخبرني عن المسرحية القادمة، (مفجِّراتٌ في سنٍّ صغيرة) في تمام السادسة مساءً. اشتريتُ التذاكر عاقِدةً العزمَ على العودة في موعد مكالمتنا، والذي كان في السابعة مساءً"

لم تترك (آفا) لنا فرصةً للرد... وتابعت:

"كان موعد المسرحية البارحة في تمام الساعة السادسة، وحضرتُها وكُلِّي ندمٌ على فعل ذلك... كانت المسرحية تتحدث عنَّا. نعم... تتحدثُ عنَّا بشكل كوميدي ساخر. لم أستطعْ تمالُكَ أعصابي... وخرجتُ للشارع لأنهارَ تمامًا

وأفقِدَ الوعي. ولا تدعنني أُحدِّثُكُن عن الكوابيس التي راودتني وأنا غائبةٌ عن الوعي، واستيقظتُ في غرفة فندقي... لأرى الطَّبيبَينِ الجنائيَّين أمامي ليأخذا عيِّنَتِي، و(آليس) بائعة التذاكر بجانبي"

كانت تلك كميةً كبيرةً من الصدمات لنستوعبها في وقتٍ واحد! أنبدأُ من تعرُّف هذه الغبية على (آليس) على الرغم من تحذير (سارة) لنا من الاختلاط بالناس؟ أم من المسرحية الساحرة؟ من أين بالضبط؟!

"يا إلهي، ألم تحذرنا (سارة) من الاختلاط بالناس؟! وكيف ظهرت نتائج الفحص في أقل من 24 ساعة؟!"

نطقتُ مُقطِّبةً حاجبي... وعيناي مفتوحتان على مصاريعهما.

"ما أسوأ شيءٍ يمكن أن يحصل إن اختلطنا بالناس؟! (آليس) كهلةٌ لا حول لها ولا قوة... وهي لطيفةٌ للغاية"

**"ألم نتعلمي من (الأسوأ) بعد كل ما مررنا به؟!"**

صرختُ لا إراديًّا.

**"مللتُ من الجلوس في هذه الغرفة اللعينة!! أنتِ معكِ (جيني) تؤنسُكِ وتُسلِّيكِ أما نحن فلا رفقة معنا.. فكيف سنجلس في غرفنا دون التحدث مع أي أحد؟! هاه؟"**

انفعلت (آفا) صارِخةً... والشمسُ المنعكسة على وجهها قد ازدادت حرارةً وشعاعًا.

هدأتُ بعدها لئلا تزيدَ عِنادًا ومُكابَرةً... أخذتُ نَفَسًا عميقًا وخلعتُ نظَّارتي، وقد تعبَ عقلي من شدة التفكير.

أحتاجُ إلى الهدوء والتركيز وعدم الانفعال... فأنا الوحيدة العاقلة بينهن، واحدةٌ تعاقِرُ الخمر، وأُخرى تتعرف على الناس وكأننا في (الجزيرة المجهولة)، و(جيني) طفلةٌ لم تصل إلى سنِّ البلوغ بعد، و(ستيفاني)... أين (ستيفاني)؟

"أين (ستيفاني)؟ ليس من عادتها التأخر على مكالماتنا!"

سألتُ بنبرة تعبت من الصراخ والانفعال... واضِعةً نظارتي الزهرية التي شُطِبَت زجاجتها.

"كنتُ على وشك سؤالكن للتو"

قالت (جيني)... مُسنِدةً ذقنها على ركبتها.

"لعلَّها تأتي في وقت المكالمة المعتاد... قد تكون أتت بالأمس ولم تجدنا، ما زال أمامنا الكثير من الوقت حتى السابعة مساءً"

قالت (آفا)، بعد أن هدأت هي الأخرى، لكن هدوءها لم يطُل... إذ سرعان ما تغيرت نظرتها حين حوَّلت بصرها للأمام.

"يا إلهي!"

قالت (آفا)... فاغِرَةً فمها، مُقطِّبةً حاجبيها.

"لقد قام (الأسمى) باعتقال الملك (دريكسِل) لحملِهِ

لمرض (الهربس) الذي لا علاج له! افتحا قناة الأخبار"

# مدينة (بليس)، دولة (أوبيا)

## يناير، 2019

# الفصل الحادي والخمسون

## المتحدثة: (ستيفاني)

نسماتُ الهواءِ القارسةُ تَتَخَلَّلُ جسدي المرتجف... لم أعُد أشعر بأطرافي من شدة البرد.

رائحةٌ مقززةٌ للغاية اخترقتْ مناخِري، لم أستطع تحديدها بالضبط... جثةُ قطةٍ أو كلب؟ غائط؟ قيء؟ لا أعلم بالتحديد.

نَغزاتٌ أليمةٌ مُبرِّحة... تهاجمني بين الفينة والأخرى في أماكنِ الجلدات المُتفرِّقةِ على جسدي. لا أتذكرُ عدَدَها جيِّدًا... إحدى عشرة أو قريبًا منها، أوقَعَتْها تلكَ الشيطانةُ بسوطِها على جسدي الواهِن. لرُبَّما كان العدد أكثرَ من ذلكَ بكثير... فقد فقدتُ الوعيَ بعد الجلدة الحادية عشرة أو ما قارب. الذراعان، الصدر، الفخذان، السَّاقان، وأخيرًا الرقبة... كل تلكَ أخذتْ نصيبها من السوط اللعين.

عطشٌ شديدٌ، جوعٌ رهيب... آخرُ ما أتذكرُ أكلَهُ هو تلك البيتزا مع الماء، ويا ليتني لم أذهب لذاك المطعم.

عمَّ المنطقةَ المُحيطَةَ هدوءٌ عجيب... إلَّا من صوتٍ واحدٍ على مقرُبةٍ مني. كان مألوفًا جِدًّا بالنسبة لي... صوت غليانِ المياه على حسب ظني. كنتُ أتنفَّسُ بصعوبة... وكأنَّ أحدَهم كان يلاحقني.

الرائحةُ الكريهةُ تشتدُّ مع اشتدادِ نسماتِ الهواءِ القارسة... وصوتُ غليانِ الماءِ يتردَّدُ في رأسي. ما الذي يحدثُ حولي؟ كم لبثتُ غائبةً عن الوعي؟ حان الوقت للتحقُّق.

فتحتُ عيني لأرى نفسي في المكان الملعون ذاته... بإضاءته الحمراء الخافتة. حرَّكتُ يديَّ بعُنفٍ آملةً أنَّ الوثاقَ قد حُلَّ بمُعجزةٍ ما، لكن ليتَ المطالبَ بالتمنِّي... ما زِلتُ مُقيَّدةً للكرسي بإحكام!

حوَّلتُ نَظَري للشِّمالِ حيثُ كان مصدرُ صوتِ الغليان... لأراها. جلستِ المسخةُ القرفصاءَ أمام إبريقٍ كبيرٍ تفورُ مياهه على نارٍ هادئة، وأنفُها ما زالَ يحملُ الأقراطَ الأربعةَ السوداء... ناظِرةً للإبريق بتمعن.

ثوانٍ معدودةٌ حتى تنبَّهت لاستيقاظي، وحوَّلت أنظارَها الباردةَ لي... بعيونها الخضراء اللامعة. ودون سابقِ إنذار... امتدَّت يدُها لتحمِلَ الإبريق الكبير من على النار المشتعلة، قائمَةً من مكانها. اتجهتْ نحوي مُمسِكَةً بالإبريق، والذي بقيتُ أسمعُ صوتَ غليانِهِ رُغمَ بُعدِهِ عن مصدر الحرارة. شرعَتْ دقَّاتُ قلبي في التسارع... وعينايَ تُفتَحان على مصاريعهما من رهبة الموقف. ماذا الآن؟!

استمرَّت بالتقدم نحوي... مُرتديَةً فُستانًا جِلديًّا أسودَ هذه المرة، وشعرُها قد تغطَّى بقلنسوة فستانها. ما حكاية هذه الساديَّة مع اللون الأسودِ والملابسِ الجلدية؟

وقفتْ أمامي... ناظِرَةً لي ببرود. لم تكُن تضع أحمرَ

الشفاه كالمعتاد... ولولا فُستانها لبَدَت تمامًا كالصبيان، بِنُية جسدها الرجاليَّةِ وشعرِها القصير. رفعت الإبريقَ بالقربِ مني ورأيتُ فُقاعات الغليان لا تزالُ تتصاعدُ رغم برودة الجو... وأحسَستُ بحرارتِه ودخانُه يتصاعد!

قرَّبَتهُ من عُنُقِي، وعادت لسؤالها اللعين:

"من أنت؟ وماذا تفعلُ في (أوبيا)؟"

"أ.. أ.. أرجوكِ... أ.. أتوسَّلُ إليكِ! أخبرتُكِ أن اسمي (كالفِن) من (بوسكي) و..."

"إجابة خاطئة"

قاطعتني... وهي تُميلُ الإبريق فوق رقبتي ببطء.

**"حسنًا حسنًا.. سـ.. سـ.. سأخبرك بكل شيء لكن تـ.. توقفي أرجوك! أرجوك!"**

صرختُ بِكُلِّ ما وُهِبتُ من قوة... فلم أعُد أستطيعُ التحمل! ومن يستطيع في هذا العالم بأسره تحمُّلَ ماءٍ مغليٍّ على جسده؟! لم تكُن لتقتنع أصلًا إن استمررت بالكَذب... فما الفائدة من الاستمرار؟ حبلُ المشنقةِ أرحمُ عليَّ من هذا الجحيم.

توقَّفَتْ عن إمالة الإبريق وأبعَدَتْهُ عنِّي... ناظِرَةً إلي... مُنتَظِرَةً الجوابَ الحقيقيَّ على سؤالِها. أخذتُ نَفَسًا عميقًا لأبوحَ بكلِّ شيء، وأنتهي أنا وأخواتي -على الأرجح- على حبل المشنقة... لكن عقلي لم يخُنِّي تلك المرة! عَمِلَ

بأقصى قوته وحُقَّ لهُ ذلك... حين رأى ما بإمكانِ هذه المختلَّة عمله، إن كانت خطفتني وغِبتُ عن الوعي لمدة لا أعلمها... فمن المؤكد أنها عَلِمَتْ وتيقَّنَتْ أنّي فتاةٌ ولستُ صبيًّا كما أدَّعِي، لهذا السبب لم تصدقني! كلَّ ما عليَّ الآن هو اختلاقُ قصَّةٍ عن أنّي فتاةٌ.

"اسـ.. اسـ.. اسمي (ميجان)، (ميجان ناتالي) من (بريجيرا)"

تحتَّمَ عليَّ الكَذبُ أيضًا... فاختلقتُ أولَ اسمٍ طرأ في ذهني، وأولَ دولةٍ شعبُها أبيض.

نظرتْ إليَّ بتمعُّن... وكأنها تُحاوِلُ معرفة صِدْقِي من كَذِبي، وأنا أبادِلُها النظرَ بثِقَةٍ تامة يشوبُها خوف ورهبة.

ابتعدتْ عنّي قليلًا بعد ذلك، وأخرجتْ جِهازًا لاسِلكِيًّا من جيبها -لأول مرةٍ أرى جيبًا في فستان- قائلةً:

"لقد اعترفت"

استدارتْ بعد جملتِها الغريبة تلك واتجهتْ للباب الحديدي، حامِلةً الإبريقَ الكبير... يبدو أن الملعونة ستحتفظُ به لاستخدامه مجدَّدًا! فتحت الباب بعنف، وعيناي تترقَّبانِ ما يقبعُ خلفه. دهليزٌ مُظلِمٌ... مُظلِمٌ جدًّا.

أين تُبقيني هذه ومع من كانت تتحدَّثُ قبل قليل؟ تلاشتْ في ظُلُماتِ الدهليزِ الحالِكَة... تارِكَةً البابَ مفتوحًا. هل ستعودُ مُجدَّدًا؟ أرجوكَ يا إلهي لا تدعها

تعود.

أخذتُ نَفَسًا عميقًا مُنتظِرَةً مصيري المجهول، وقد اعتاد أنفي على الرائحة القذرة... على عكسِ جسدي الذي ما زال يُصارِعُ البرودةَ الأليمة. ودون سابِقِ مُقدِّمات... ظهرت تلك الصهباءُ من الظلام. غطَّاها مِعطفٌ أزرقُ طويلٌ وصلَ لقدميها، مُتماشِيًا مع عينيها الزرقاوَين اللتَين لمعتا تحت الإضاءة الحمراء الخافتة. حملَ خدُّها وشفتاها القليلَ من الحُمرة، وحاجِباها رُسِما باحتراف... كم كانت جميلةً تلك الفتاة!

أتلكَ ابتسامةٌ ترتسِمُ على وجهها؟ مضى وقتٌ طويلٌ منذ أن تبسَّمَ شخصٌ لي. هل أنا أتوهَّمُ وُجودَها بعد الكمِّ الهائل الذي تلقَّيتُه من التعذيب؟!

تقدَّمَتْ نحوي حامِلةً في يدِها اليمنى كُرسيًّا... وفي الأُخرى مِعطَفًا صوفيًّا، وابتسامتُها لا تُفارِقُ مُحيَّاها.

"كيف حالكِ، آنسة (ميجان)؟"

سألتْ واضِعَةً الكرسي أمامي، ثم اتجهت خلفي حامِلةً المعطف الصوفي.

"من أنتم؟ ولِمَ تفعلون كلَّ هذا؟"

أجبتُ عن السؤال بسؤال آخر.. كما كان سيفعل أيُّ شخصٍ طبيعيٍّ عاشَ ما عِشتُه.

"سأكون أنا من يطرحُ الأسئلة هُنا"

قالت الصهباء... واضِعةً المعطف حولي. يا الله... كم شعرتُ بالدفء حين وَضَعَتْه، من هذه الفتاة بحق؟! جلستْ على الكرسي الذي وضعتهُ أمامي... عاقِدةً ساقيها وقد اختفت ابتسامتها.

"لن أُجِيبَ عن أيِّ سؤالٍ حتى تخبروني من أنتم!"

قلتُ بعبوس.

"أمامَكِ خِياران... إما أن تتجاوبي معي، أو أُنادي (Z) لتسكُبَ ذاك الإبريق الساخن"

هدَّدَت وتوعَّدَت، ناظِرَةً إلى أظافرها المطلية باللون الزهري.

(Z)؟ أتقصِدُ تلكَ المسخةَ ذاتَ أقراطِ الأنفِ الأربعة؟!

أومَأتُ بخضوع... لم يعُد للكبرياء معنًى عندي بعد عذابي. أخرجت من معطفها قارورة ماءٍ وفتحتها، مُقترِبَةً مني. أمالتْها فوق فمي، مُنتظِرَةً مني فتحه... ماذا لو كان سُمًّا؟

"لو أردنا قتلَكِ لقتلناكِ من وقتٍ طويل... هذه آخرُ فُرصةٍ لك، اغتنميها أو ابقي على عطشك"

قالت رافِعَةً حاجبيها. معها حق... فتحتُ فمي باستسلام، وبدأتْ بصبِّ الماء في فمي وكأني وِعاءٌ تملؤه. رغِبتُ بشُربِ المزيد لكنَّها توقفت عن السكب وأغلقت القارورة، مُتَّجِهَةً لكرسيِّها.

"لنبدأ... ولا تحاولي الكذب والخداع، فـ (Z) جاهزةٌ للرجوع لك في أي وقت"

قالت وهي تجلِسُ على الكرسي، واضِعةً قارورة المياه أرضًا.

"ما الذي أتى بكِ لـ (أوبيا)؟"

الآن... عليَّ أن أختلِقَ قصةً عن فتاةٍ هربت من بلدٍ ما، لسببٍ مُقنِـعٍ يجعلُها تعيشُ في (أوبيا) تحتَ هويَّةِ ذكر.

"اسمي (ميجان ناتالي)... من (بريجيرا) من العاصمة (ج) تحديدًا، أبلغُ من العُمرِ أربعةً وثلاثينَ عامًا. تربَّيتُ ونشأتُ نشأةً طبيعيةً، كأي فتاة مع عائلة عاديَّةٍ... في بداية الأمر"

توقَّفتُ لوهلة لآخُذَ نَفَسًا عميقًا... وهي تنظرُ لي بتمعُّن. بدوتُ واثِقَةً تمامًا في كلامي، وعليَّ الاستمرار بحذر.

"أبي كان ضابِطًا يعملُ في الجيش وأمي ربة منزل، لم يُنجب والداي غيري... فأعطياني كل الحنان والدلال. وبعدَ بلوغي التاسعةَ عشرة من عمري... حدثَ شيءٌ غريبٌ لعائلتي، أمي وأبي بدأا بتعاطي المخدِّرات. ومعهَا بدأتْ حياتي بالانحدار، أعودُ من المدرسةِ لأجدهما منتَشيين للغاية... هذا إن كانا في المنزل أصلًا. وقتها أصبحتُ أنا ربة المنزل وحدي... أنظفه... أطبخ لنفسي أو والديَّ الطعام إن كانا في المنزل... أشتري حاجيَّات المنزل... كنتُ أقومُ..."

"لِمَ لم تذهبي لأقرب قسم شرطة كما كانت أيُّ مراهقة طبيعية ستفعل؟"

سألت باختبار وتمحيص.

"هذا ما فعلتُهُ بعد برهةٍ من الزمن... اعتقدتُ أنهما سيتحسَّنان مع الوقت، وبمجرد ما يَعِدَانني بتركها والإقلاع عنها.. يعودان إليها بعد يومين أو ثلاثة كما هو الحالُ مع غالب المدمنين. استمرَّ ذلك الحال إلى أن... إلى أن حاولَ والدي الاعتداءَ على جسدي في ليلةٍ من الليالي، ولم تمنعهُ أمي من ذلك..."

توقَّفتُ وقتها مُبتَلِعَةً ريقي... مُسقِطَةً دمعةً من خدي. كانَ عليَّ بذلُ قُصارى جهدي في الكذب، وجعلها القصةَ المقنعةَ لتنكُّرِ فتاةٍ بهوية صبي في (أوبيا).

"كم كان عمرُ والِدَيكِ حين وُلدتِ وحين اعتدى والِدُكِ عليكِ؟"

سألتني فجأة... ملامِسَةً شعرَها الأحمر.

"عند ولادتي... كان والدي في الثلاثين من عمره وأمي تصغُرُه بعامين... فعمرها حينئذ ثمانية وعشرون عامًا، ووقت الاعتداء كان أبي في التاسعة والأربعين... وأمي تقريبًا في السابعة والأربعين"

لم أعلم كيف أصبحتُ بارِعةً في الرياضيات وقتها... أما الكذب فقد احترفتُهُ منذ زمن.

"خرجتُ من البيتِ مُسرِعَةً بعد ذاك الاعتداء... لأقرب قسم شرطة. أخبرتُهُم بكُلِّ شيءٍ منذ بدء تعاطيهما إلى أن راوَدَني والدي عن نفسي، حُكِمَ على والدي بالسجن مدة ثلاثين عامًا... وأمي مدة عشرين عامًا. عِشتُ بعدها وحدي وسكنتُ في شقةٍ بالطبع... لم أكن لأستمر بالعيش في ذاك المنزل! بدأتُ العملَ كنادلة في مطعم بعد انتهاء مدرستي... فلم أكن قادِرَةً على دفع أموال الجامعة. بقيتُ على ذلك الحالِ مدة خمسة عشر عامًا... أتنقل بين الوظائف العادية والمملة، نادلة... سكرتيرة... موظفة استقبال... وغيرها. إلى أن كان ذلك اليوم المشؤوم... يومُ خروجِ والدي من السجن. كانتْ ليلةً كغيرها من ليالي الشتاء... وقد رجعتُ من عملي كسكرتيرة لأحد الأطباء النفسيين، لأجدَ والدي على باب شقتي. كان خروجهُ مبكرًا جدًّا ذاك الوقت... فقد تبقى له خمسة عشر عامًا أخرى ليتعفَّنَ في السجن! لم يكن استقبالي له حافلًا كما اعتقدَ الأرعن... وأيُّ بنتٍ كانت ستستقبل أبًا لها حاول اغتصابها باشتياق؟! طردتُهُ من الشقة وبقي يتوسَّلُني لأسامِحَه... وقد أخبرني عن أن علاقاتِهِ في الجيش قد أخرجتهُ مبكِّرًا، وأنهُ تركَ المخدرات للأبد... و..."

"أيُّ نوعٍ من المخدرات كان يتعاطاه والداكِ؟"

قاطعتني بسؤال مُجدَّدًا... مُفَرقِعَةً أصابعها.

"أكثرُ ما كانا يتعاطيانه هو (الكوكايين)... و(الميث) في بعضِ الأحيان"

يا اللهُ! كيفَ كنتُ أردُّ بثقةٍ عليها؟ واللهِ لا أعلم!

"أكمِلي"

"لطالما راودتني أحلامٌ بقتله! نعم... طيلة الخمس عشرة سنةً وأنا أحلُمُ بقتلِ اللعين المُغتصِب! لم يملك قلبي أدنى شفقة له أو لأمي بعد الذي حاولَ فعله... كان سيغتصبني لولا أنِي استعطتُ الهرب ونجوتُ بأُعجوبة. أدخلتهُ الشقة وأنا أتبسَّمُ في وجهه... ونواياي الشيطانية تشتعل في قلبي وعقلي. غطَّ في نومٍ عميقٍ على الأريكة... فقد كان خرجَ للتو من السجن ذلك اليوم، وحان وقت انتقامي المُنتَظَر. أخرجتُ سكّينًا حادَّةً من أدراج المطبخ... ورحتُ أتأمَّلُ لمعانها وحِدَّةَ شفرتها للحظات. تقدَّمتُ نحوَهُ ببطءٍ وحَذَر، وغرزتُ ذلك السكين في صدره... ليَصرُخَ بأعلى صوتِه قائمًا من غفوته. ألحقتُها بطعنةٍ ثانيةٍ وثالثة ورابعة... وأنا أتلذَّذُ بالنظرِ لوجهِ الوالد عديمِ الرحمة. بعدَ أن فارقتْ روحهُ جَسَدَه، حان وقتُ إخفاء الجثة... حملتُها وأحرقتُها في منطقةٍ جبليةٍ بعيدةٍ عن السكان والضجيج، ثمَّ فكَّرتُ بخطَّةٍ للهروب من البلد وإخفاء هويتي تمامًا. كانت الخطةُ المثاليةُ هي العيشَ في (أوبيا) تحتَ هوية صبي... وكما ترينَ فقد ساعدتني بنية جسدي وشعري القصير وصوتي الخشن للانسجامِ كذَكَرٍ هنا، وهذه القصةُ كلها"

انتهيتُ سائلةً الإلهَ أن تصدقني... كانت تلك أقوى كذبة كذبتُها في حياتي، سامحني يا أبي فلا تستحقُّ ذاك الكمَّ

الهائل من التُّهم.

"ألن يبحَثَ عن أبيكِ أقاربُهُ وأصدقاؤه ويلاحظوا اختفاءه؟"

سألتني وعيناها الزرقاوان تحدِّقَان بي.

"قطع الأقاربُ كلُّهم والأصدقاءُ علاقاتِهم معه... منذ بدأ التعاطي"

أجبتُها بنظرةٍ واثقةٍ ثاقبة.

"ماذا كنتِ تفعلين على متن القارب المخصص للتضحية بالفتيات؟"

"لم أكُن أعلمُ بأنهُ قارِبٌ مخصَّصٌ لرمي الفتيات في البحر! اعتقَدتُ أنها حفلةٌ"

"هل عقدتِ العزمَ على الإقامة هنا بشكل دائم؟ وماذا عن الوظيفة... أكُنتِ تخطِّطِينَ للعمل أم لا؟"

"لم أعقِد العزمَ على ذلك لأكون صريحة، أردتُ تجربة الأمر... إن كان مُناسِبًا وسهلًا أن أعيش كصبي فكنتُ سأمكثُ هنا بشكلٍ دائم"

كان ذلك آخر سؤالٍ لها... قبل أن تمكُثَ لحظاتٍ تتأملُ ملامحي وتتفحَّصُني، وكأنها تفكِّرُ في خطوتِها القادمة معي.

"حَسَنًا يا (ميجان)... نستطيعُ إطلاق سراحك تحتَ شرطٍ واحد، إمَّا أن تقبليه... أو ترفضيه ويكون مصيرُكِ

القتل في نهاية المطاف"

قالت الصهباء، قائِمةً من مكانها.

"إمَّا أن تعملي معنا وتنفِّذي مهمَّاتِنا... ونُعطيكِ المال والسكن والحياة الفارهة المخملية، أو ترفُضي وتُعانِدي... ليكونَ مصيرُكِ الهلاك"

أكملتْ وهي تغادِرُ الغرفة، تارِكَةً الكثيرَ من الأسئلة في رأسي.

"ما هي المهمات التي سأقوم بها بالضبط؟ أيُّ نوعٍ من المهمَّات؟"

"وقتَ كلِّ مُهِمَّة ستعرفين المطلوب... لا تقلقي، المهماتُ سهلةٌ للغاية وأجورُها مُجزِيَة"

ردَّت بعد أن وصلتْ للباب الحديدي. أغلقَتْهُ خلفَها دون أن تلتفتَ إليَّ لثانية.

لم أعلمْ أأفرحُ بتصديقها لي... أم أتضايقُ وأقلقُ بتخييرها لي بين الحياة والموت؟! هل صدَّقَتني أصلًا؟ لِمَ تريدُ توظيفَ غريبةٍ قاتِلةٍ مثلي -في نظرها-؟ لحظة... هل لِتلكَ المُهِمَّات علاقةٌ بالقَتل؟

مدينة (كولومبا)، دولة (كوتشينو)

ينايرِ، 2019

# الفصل الثاني والخمسون

## المتحدثة: (آفا)

"لا أعتقدُ أنّهُم سيغضُّون الطرفَ عنّا أو يقومون بتبرِئَتِنا لأنهم عزلوا (دريكسِل) وألقوا القبضَ عليه. إن كان هذا صحيحًا فلِمَ لمْ يوقِفوا عمليات تفتيش الفنادِق؟"

قالت (آليكس)، حانيةً ظهرها على الأريكة.

صمتْنا جميعًا، فقد أيقظت التساؤلات في رؤوسنا مرةً أخرى... جاهلين تمامًا ما يدور حولنا.

"ما اسم ملك (بريجيرا) الجديد؟ (لادون)؟"

سألتْ (آنجي)، فاتِحَةً عينيها بصعوبة.

"(لاندون)... لا يَقِلُّ مظهرُهُ غرابةً وشرًّا عن (دريكسِل). كانَ صارِمًا جدًّا في خطابه للشعب، وقد قَطَعَ وعدًا بإحضارنا جميعًا للعدالة في أقرب وقت... وهذا ما يجعلني أقتنع أنهم لا يزالون يبحثون عنّا حتى بعد خلع (دريكسِل)"

أجبتُها واضِعَةً الكمبيوتر المحمول على الطاولة أمامي.

"ما زلتُ قَلِقَةً على (ستيف) يا بنات... ماذا لو حصلَ تطابقٌ في عيِّنتِها وألقوا القبض عليها؟"

قالت (جيني)، كاسِرةً حاجزَ صمتها المعتاد.

سكتْنا لبرهةٍ قبل أن تتحدَّثَ (آليكس):

"أستبعِدُ زيارةَ (الأسمى) لـ (أوبيا) وتفتيش فنادقها، خطةُ (سارة) و(بليد) كانت مُحكَمَةً جدًّا عندما وضعاها تحت هوية صبي هناك"

"فضلًا عن أنَّ هذا التصرف مُعتادٌ من (ستيف) فالساعة الآن الخامسة والنصف صباحًا... والموعد الذي حددناه واتفقنا عليه هو السابعة مساءً"

أكملتْ (آنجي)، مُعدِّلَةً نظارتها الوردية.

لم يعُد لدى أيٍّ منَّا ما تُضيفُه، وسرحَت كلٌّ منَّا في أفكارها... كان كلُّ شيءٍ معقَّدًا جِدًّا! شخصان فقط بوسعهما الجواب على أسئلتنا، ولن نقابلَهُما إلا بعد أسبوعين تقريبًا من الآن... (بليد) و(سارة). أملُنا الوحيد الذي يُبقينا على قيد الحياة في البقعة الجحيمية الموسومة بـ (الأسوأ).

كم مضى من الأسبوعين منذ مغادرتنا؟ آخ... ليلتان أو ثلاث.

"النُّعاس غَلَبَني فأنا و(جيني) قد تجاوزنا أربعًا وعشرين ساعة دون نوم، أنتُما أيضًا الإرهاقُ ظاهرٌ عليكما... فلنأخذ قسطًا من الراحة الآن، ونلتقي على الموعد لنطمئنَّ على (ستيفاني)"

قاطعتْ (آنجي) أفكارَنا المُبعثَرة، مُتثائبَة.

"السابعة مساءً إذًا؟"

سألتُها لأتحقق... فلم تعُد ذاكرتي تساعدني بعد الكم الهائل من الصدمات.

"السابعة مساءً لكما... أمَّا لنا فستكون السادسة"

قالتْ (جيني)... مُحدِّقَةً بشعرِها الأشقر.

للأمانة... بدا الأشقر جميلًا على شعرِها الطويلِ المجعد.

"كم سيستغرقُ جيش (الأسمى) في محاصرة الفندق؟"

سألتْ (آليكس)، فارِكَةً عينَيها المُحمَرَّتين.

"لا أعتقد أنهم سيأخذون أكثر من أربع وعشرين ساعة، لكِن لا تقلقي أبدًا... خصوصًا بعد أن أرسلت (سارة) لكِ لتخبرَك بعدم المغادرة كما أرسلت لنا. ارتاحي الآن وضعي منبِّهًا على موعدنا"

طمأنَتْها (آنجي)، مُربِّتَةً على كتف (جيني) بجانبها.

"نعم، لا تقلقي أبدًا... لن يحصل لكِ مكروه"

قلتُ بثقة تامة.

"حسنًا، نراكُن لاحِقًا... وداعًا"

قالت (آنجي)، مُغادِرَةً المكالمة.

"وداعًا"

قلتُ ملوِّحَةً بكفِّي لهُما... قبل أن أُغادِرَ المكالمة.

طَوَيتُ شاشةَ المحمول قائِمَةً من على الأريكة... بعد أن

اشتدَّتْ أشعةُ الشمس. اتَّجهتُ لغرفتي وأنا أخلعُ قميصَ النومِ الأبيض... لم أكُن مُرهقَةً كالبقية -وإن أوحت ملامحي بالتعب- ففقداني للوعي عند المسرح أعطاني نومًا كافيًا بالنسبة لي. أخذتُ منشفتي من الحقيبة سريعًا ودخلتُ الحمَّام... فقد اتفقتُ أنا و(آليس) -بائعة التذاكر- على تناول الإفطار معًا. ولم أكُن لأقابلها برائحتي المُنتِنَة تلك وشعري غيرِ المرتب، لم أهتمَّ بكلام (آنجي) على الإطلاق. ولن أُضيِّعَ فرصةً للتعرف على هذه السيدة اللطيفة... خصوصًا بعد مساعدتها لي ووقوفِها معي حين فقدتُ الوعي. أحيانًا أشعرُ أنَّ (آنجي) تبالِـغُ في كل شيء... ما أسوأُ شيءٍ قد يحدث إن قضيتُ بعض وقتي معها؟ لن أمكُثَ معزولةً عن العالم لمدة أسبوعين! لن يتغيَّرَ شيء، وسأبقى أنا تلك الفتاة العادية (هيزيل) من (ديستينيجا).

أخذتُ حمَّامًا دافئًا على عجل... فقد اقتربَ موعدُ إفطارِنَا. جفَّفتُ جسدي وشعري الأرجواني... وقمتُ بتسريحه سريعًا، وارتديتُ تيشيرتًا أسودَ فاخِرًا للغاية، ذاكَ كان تيشيرتًا للمناسبات الخاصَّة... مُرَصَّعًا بالفصوصِ الذهبية. لم يكن لدي متَّسعٌ من الوقتِ لأضع مساحيق التجميل، فقط القليل من الحُمرة على الخدَّين والكُحل.

كُنَّا قد اتفقنا أن نتقابل عند شباك تذاكر المسرح، في تمام السابعة صباحًا. تبقَّت خمسُ دقائق فقط... علي أن أنزل الآن. جلبتُ بطاقة الغرفة وبعض النقود، وأغلقتُ الباب

خلفي لأرى الدهليز خاليًا تمامًا... إلا من بعض عمال التنظيف. ما أجملَ هدوءَ الصباح!

اتجهتُ للمصعد وضغطتُ الزر... مُتأمِّلَةً الدهليز الفارغ. لم يستغرق المصعد وقتًا طويلًا ليصل للأعلى... فجميع النزلاء يغطُّون في نومٍ عميق. دخلتُ وضغطتُ زر الطابق الأرضي... مُفكِّرَةً بكل ما حدث مؤخَّرًا من غرائب وعجائب. اعتقالُ (دريكسِل)... اقتحامُ الفنادق... ونتائجُ مقارنات الأحماض النووية الصادمة. هل كان (فيوليت) و(تشارلز) زوجَين لطيفَين تبنَّيانا فقط؟ لو كان هذا التحليل صحيحًا فجميعُنا في مأمن... لن يصِلَ إلينا أحدٌ طالما أن أحماضنا النووية لن تتطابق أبدًا. لا مع أمنا... ولا أبينا... ولا بعضنا مع بعض حتى على الأرجح!

هل (آليكس) توءمتي حتى؟ التشابه بيننا كبير جدًّا أصلًا، حتى بيننا وبين أخواتي وأمي... يبدو أن (سارة) و(بليد) تلاعبا بالنتائج وأنقذانا.

وصلتُ لردهة الفندق وكانت فارِغةً كما توقَّعت، إلا من موظفة الاستقبال وبعض العاملين. كان شُبَّاكُ التذاكر والمسرحُ جليَّيْن خلالَ زجاج بوابة الفندق، ولمحتُ (آليس) واقِفَةً هناك مُضيِّقَةً عينيها جرَّاء الشمس الساطعة الشديدة... وهي تتلفَّتُ يَمنَةً ويسرة.

هرعتُ مُغادِرَةً الفندق وأنا ألوِّحُ لها بيدي صارِخَةً بابتسام:

"(آليس)"

وقعَ نظرُها عليَّ بعدساتٍ زرقاءَ هذه المرة، بادلتني الابتسامةَ ولوَّحتْ لي هي الأُخرى... لألاحظ الوحمة الغريبة الكبيرة على ظاهر كفِّها. رُغمَ حرارة الجو في الخارج إلا أنها ارتدتْ كنزةً صوفيَّةً بيضاء. شعرُها البنيُّ المجعَّد بدا جميلًا لامِعًا مع بشرتها السمراء، تحت أشعة الشمس. قطعتُ الشارعَ -الذي كان خاليًا من السيارات- بسرعة لأصِلَ لها، وابتسامتي لا تفارقُ مُحَيَّاي.

"أهلًا أهلًا عزيزتي، كيف حالُكِ الآن؟"

قالت (آليس) وهي تحتَضِنُني دون سابق إنذار، ما ألطفها.

"في خير حال... ماذا عنكِ؟"

"بخير ما دُمتِ بخير، ما هذه الأناقة والدلال والجمال؟"

تفقَّدَتْ لباسي من الأعلى للأسفل بإعجاب.

"حقًّا؟ لم أعتقد أنَّهُ بتلك الأناقة"

"أتمزحين؟ ستكونين محطَّ أنظارِ الشباب بل الجميع هناك بلباسٍ كهذا!"

وكزتني غامِزَةً بضحك، ووقعت عيني على تلك الوحمة بكفها مرةً أخرى.

"أ... أ... أشكرك على هذا الإطراء، تبدينَ جميلةً أيضًا...

مع هذه العيونِ الزرقاء سيلتمُّ الشباب حولنا كالنحل!"

كدتُ أذوبُ من الإحراج، ليخرُجَ الردُّ الغبيُّ هذا من فمي.

"أووو... شكرًا لكِ، أنتِ فتاةٌ لطيفةٌ جدًّا يا (هيزيل). فلنتجه للمطعم، فالجو سيزداد حرارةً ولا نريد أن نتأخر"

تبعتُها نحو السيَّارةِ الحمراءِ الصغيرة بالقرب منَّا، دخلتُ السيارة قائلةً:

"أنتِ الألطفُ... سيدة (آليس)، ليسَ لديكِ أدنى فِكرة عن مدى امتناني لكِ لوقوفكِ معي"

"كلمة (سيدة) تُشعِرُني أنِّي عجوز... بالإضافة إلى أنَّها رسميَّة للغاية. نادِيني (آليس)"

ضحكتْ مُغلِقَةً بابَها، مُشغِّلةً المحرك ثم المكيِّف فورًا.

"لا لا، لم أقصِد أن أُشعِرَكِ أنَّكِ عجوز... سنرَى حولَ من يلتمُّ الشباب في المطعم"

وكزتْها بغمزة... شاعِرةً ببرودة المكيف على وجهي.

اكتفتْ بالضحك وهي تحرك بالسيارة. بدا اهتمامُ (آليس) بسيارتها وحِرصُها عليها منذ رأيتُها... كانت نظيفةً لامِعَةً من الخارج، والداخل لم يقِلَّ نظافةً مع القليل من الديكورات التي أضفتْ لمسةً رائعة.

"لديكِ ذوقٌ رفيع في التزيين، على عكسي تمامًا"

"كفاكِ مُجامَلة... أتسمّينَ هذا الهُراء تزييناً؟"

ردَّت وهي تبتسم، مُشيرَةً إلى الزينة على مقدمة السيارة.

"لم أكُن أُجامِل والله! جميلةً بحق... وأتمنى لو امتلكتُ ذوقكِ الرفيع"

"عيونك الجميلة يا (هيزيل)"

تبسمَّت بحنان ناظِرَةً إليَّ قبل أن تحوِّلَ نظرها للطريق.

لِمَ أشعرُ وكأنها أمي في كلِّ مرةٍ أكونُ معها؟

صمتنا جميعًا وسبحنا بأفكارنا بعيدًا، الطُّرُقاتُ لم تكُن مليئةً بالسيارات والمارة على غير العادة. أليسَ من المُفتَرَض أن يخرُجَ الناس لوظائفهم وأعمالهم الآن؟

مررنا بمطعمٍ فاخرٍ اكتظَّ بالزوار... حتى وقف بعضُهم في الخارج بانتظار فراغ الطاولات. "مولتينو" كُتِبَت على لوحته بخطٍّ عريضٍ نخم.

"ها هو مطعمُنا"

قالت وهي تقود ببطء بجواره، باحِثةً عن موقف.

"يبدو لذيذًا جدًّا نظرًا للكم الهائل من الزوار"

"لا تقلقي، صاحب المطعم صديقي... لن نضطر للوقوف بانتظار طاولة"

خرجَت إحدى السيارات وسارعتْ (آليس) لتوقِفَ سيارتها بالموقف. كان الموقِفُ ضيِّقًا للغاية، لكنَّ براعتها

في القيادة مكَّنَتها من إيقاف السيارة باحتراف.

"وااااو، سائقة محترفة أيضًا... بدأت أشعرُ بالغيرة!"

ضحكتُ مُغادِرةً السيارة، لأشعُرَ بحرارة الشمس من جديد.

"أفهمُ من هذا أنَّكِ لم تتعلمي القيادة، أو أنَّكِ سائقة فظيعة"

قهقهتْ وهي تخرجُ من السيارة، مضيِّقةً عينيها من حرارة الشمس.

انفجرتُ ضاحكةً بعد جملتها تلك، متجهةً معها للمطعم.

"لم أتعلم القيادة بصراحة... بحق الإله، هلَّا خلعتِ هذه الكنزة؟ الجوُّ حارٌّ جدًّا"

هزَّت رأسها مبتسِمَةً، مُمسِكةً بيدي.

اقتربنا من المطعم والجميعُ ينظرُون إلينا، مظهرُنا بدا مُضحِكًا بصراحة... سيدة كبيرة بالسن مع فتاةٍ في الثلاثينيات. دخلنا المطعمَ واستقبلنا النادل ببدلتِه الرسمية الحمراء، ليفرحَ فرحًا شديدًا برؤية (آليس).

"صباح الخير سيدة (آليس)، كيف حالك اليوم؟"

قال النادل بلكنة أجنبية واضحة، مبتسِمًا.

"صباح النور (فيليكس)، بخير... ماذا عنك؟"

"بخير سيدتي، تفضلا"

غمزتْ لي (آليس) وكتمتُ ضحكتي، والواقفون في الخارج ينظرون إلينا بغضب... لتخطينا الصف.

أجلَسَنا إلى طاولةٍ صغيرة مقابل النافذة.

"لحظاتُ من فضلكما، سأعود قريبًا لآخذ طلبكما"

غادر بعد جلوسنا مباشرةً، ليستقبل الزبائن الآخرين وينظم الدخول.

"حسنًا، اطلبِي وتخيَّري... قائمة الطعام أمامك"

قالتْ ناظِرةً إلى قائمة الطعام... الموضوعة تحت زجاج الطاولة.

"أعرفُ نفسي بصراحة، سأحتارُ بشدة وأستغرق الكثير من الوقت للطلب... اطلبي لي ما راق لكِ"

قلتُ مُريحةً ظهري على الكرسي، متأمِّلَةً الأشخاص الواقفين في الخارج. لطالما كرهت الوساطات والتسهيلات التي تحدث للناس لمعرفتهم بشخصيّات معينة، وها أنا ذي أفعلُها الآن.

"سهَّلتِ عليَّ المهمة كثيرًا، هل لديكِ حساسية من أنواعٍ معينة من الأطعمة؟"

"لا تقلقي أبدًا، آكُل الأخضر واليابس"

"الحالُ نفسهُ هنا يا عزيزتي"

ردَّت بضحك، وهي تشيرُ للنادل الذي استقبلنا.

"طبقين من إفطاركم المميز، وكوبين من الشاي"

"دقائقُ ويكونُ طلبكما جاهزًا"

قال النادل بلكنته الأجنبية، وابتسامتُهُ لا تفارِقُ محياه. أخرجتْ (آليس) بطاقتها المصرفية من جيبها وناولتها إياه، كدتُ أخرِجُ النقود من جيبي إلا أنها أمسكت يدي قائلةً:

"أنتِ ضيفةٌ عندي!"

قالت بصرامة وإصرار.

لم أُلحَّ عليها أكثرَ من ذلك، فلا طاقة لي بجدال كريمةٍ شهمةٍ مثلها.

"ما أخبارُ البحثِ عن وظيفة؟ هل وجدتِ ما يُلائمُك؟"

نسيتُ لوهلةٍ كلَّ ما حدثَ لي وأنِّي أعيشُ الآن تحت هوية مزيفة، بقصة مختلقة.

"ما زلتُ أبحثُ للآن"

كنتُ قد اعتدتُ الكذب بحلول تلك اللحظة، لم أعُد حتى أتردَّدُ بالجواب.

"كيف تشعرين حيال التمثيل؟"

سؤالها حرَّكَ الممثلة التي بداخلي، (آفا) الشغوفة بالتمثيل... هل أخبِرُها أنِّي أُجيدُ التمثيل في الواقع؟

"لم أجربه بصراحة إلا أيام مسرح المدرسة"

لم أكُن لأخاطر بكل شيءٍ فعلناه في سبيل النجاة، ما زلتُ أملك ما يكفي من العقل.

"ماذا لو جربتِ التمثيل في مسرحنا؟ أعلمُ أنكِ ترغبين بمهنة التدريس، ولكن ما يُدريكِ... قد تكون بداخلك ممثلة عظيمة"

كنتُ في حيرةٍ شديدةٍ من أمري... هل أنضمُّ لهم وأعملُ في وظيفةٍ تؤنسُني حتى يرجع لنا (سارة) و(بليد)، أم أبقى منعزلةً عن الجميع في غرفة الفندق؟ ماذا لو كانت (آليس) مخادعة لا تؤتمن، تمامًا كما قالت (آنجي)؟ لا، لا أظنُّ ذلك. لِمَ أصلًا تخادعُ فتاةً مثلي لا تملك الكثير من المال... إلا إن كانت تعلمُ بأمري. ألقيتُ عليها نظرةً خاطفةً سريعة، لتبادلني بابتسامة طيبة حنونة... وعدستاها الزرقاوان تلمعان مع ضوء الشمس.

مدينة (كابال)، دولة (فويجو)

يناير، 2019

# الفصل الثالث والخمسون

## المتحدثة: (آليكس)

أسرعتُ نحو غرفتي بتوتر، وهزيمُ الرعد المصاحِبُ لزخَّاتِ المطر يحيطُ بالفندق. قلبي يخفِقُ بشدة... أستطيعُ سماع خفقاتهِ في رأسي. لِمَ كلُّ هذا التوتر والخوف؟! ارتديتُ أضيقَ بنطالِ جينزٍ في حقيبتي، متبوعًا بقميصٍ أبيضَ لا يقِلُّ ضيقًا عن الجينز الأسود. ألقيتُ نظرةً خاطِفَةً على المرآة... ليسَ بتلك الرسمية... مظهرٌ جيِّد. كدتُ أجلِسُ لأضع المزيد من مساحيق التجميل، لكني عقدتُ زمامَ أمري وأخذتُ بطاقة الفندق مع هويتي... وبحثتُ عن حقيبة النقود لثوانٍ قبل أن أتذكر. آه... سُرِقَت من قبل (جيب) اللعين، وها أنا أتجهُ أصلًا لوظيفةٍ لا تتشرَّفُ بها أي فتاة بسببه.

خرجتُ إلى الرواق المزدحم... وتوتري يزداد مع اشتداد المطر، الجميعُ خرجوا من غرفهم بعد رفع حصار (الأسمى) على الفندق. لم نتطابق أيٌّ من العينات كما هو متوقع... لم أكن لأُشغِلَ بالي بهذا الموضوع أيضًا، لدي ما يكفي لأقلق بشأنه في الوقت الراهن. بدت السعادةُ جليَّةً على وجوههم بانتهاء الحصار، كنتُ لأسعدَ لو كنتُ مكانهم... لكن الظروف قاهرة. تخطيتُهم جميعًا لأَستَخدِمَ الدرج، لا وقتَ لديَّ لأنتظرَ وأختلِطَ بالجمِّ الغفير الذي وقف أمام المصعد.

تعالى وتتالى هزيمُ الرعد... ليُرعِبَ قلبي ويكاد يُفقدُني توازُني على السلالم. يبدو أن الليلةَ واضِحةٌ من أوَّلِها. أكملتُ نزولي سريعًا مُغلِقَةً أذنيَّ بيدي... لنتنه من هذا الجحيم سريعًا. بالطبع لم تكُن ردهةُ الفندق وواجِهَتُهُ أقلَّ اكتظاظًا من الرواق، سارعتُ الخطا للخروجِ من البوابة قبل أن يراني (جيب) أو اللعينة أخته... إن كانت أختَهُ أصلًا.

يا للحماقة والعجلة، كيف نسيتُ إحضارَ معطفي؟ وقفتُ على ناصية البوابة لأحاول اجتنابَ المطر أن يقع على لباسي وشعري، في النهاية الجمالُ والمظهرُ الحسنُ أساسٌ لهذه الوظيفة.

"تفضلي سيدتي"

أتى الصوتُ من خلفي، استدرتُ لأَجِدَ أحدَ عاملي الفندق... مُبتَسِمًا مُمسِكًا بمظلة.

يا له من منقذ! أخذتُها منه وأنا أبادِلُهُ الابتسام، فتحتُها ووضعتُها فوقَ رأسي... خارِجَةً من الفندق لألحق بسيارة الأجرة التي توقفت جانِبًا للتو.

لمحتُ رجُلًا آخر يريدُ سيَّارةَ الأُجرةِ ذاتَها، لكنِّي أسرعتُ وركبتُها قبله... هل توقفت سيارة الأجرة له؟ لا أكترث للأمانة... علَّمني (الأسوأ) أن الطيبة واللطف لا يُفيدان!

أغلقتُ المظلة وباب الراكب، وتجاهلتُ نظرات الرجل الغاضبة خلفي.

"(مرقص لاستي ليونيس)، من فضلك"

نطقتُ بنبرةٍ خافتةٍ مُنخفِضة، وكُلّي خجلٌ واستحياء.

"حاضر سيدتي"

ردَّ السائق بلكنةٍ إسبانية، ناظِراً للمرآة الوسطى... لتلتقي أعيُنُنا. لم أكُن لألومه بصراحة... أراد أن ينظُرَ لهذه المرأة التي تريدُ زيارةَ ملهًى ليلي. بدا في الثلاثينيات من العمر، وجسمُهُ يكادُ ينفجِرُ من شدَّةِ سمنته.

استخدمَ جواله الذي تعلَّق بجانب المقود قليلًا، حتى ظهرت خارطة للموقع الذي أُريد... يبدو أن هذا المرقصَ غيرُ مشهور... أو أنَّ هذا الرجُلَ مُحتَرَمٌ للغاية لعدم معرفته بهذه الأماكن.

بدأنا بالتحرك وسطَ وميضِ البرق... تحتَ زخَّاتِ المطرِ الغزير وضوءِ القمر. نظرتُ إلى الطَّريق المزدحم ببرود على غير العادة، لم أعُد أهتمُّ بأيِّ شيءٍ حرفيًّا... لم أعُد (آليكس) تلك المُفعَمَة بالحياة. من يلومني؟ فأنا في طريقي للعمل كراقصة، بعد أن قُتِلَتْ أمي، وأُختي، وسُرِقَتْ أموالي كلُّها، (ستيف) لا تزال مجهولةَ المصير... فلم تحضُر لموعدِ الاجتماع المتفقِ عليه، ليُختَتَم كمُّ المآسي هذا باحتمالية كوني مُتبنَّاة!

قطعَ هزيمُ الرعد أفكاري وشتَّتَها، لترتعِدَ فرائصي ويقفزَ قلبي... لطالما كرهتُ الرعد.

"كم بَقِيَ من الوقتِ حتى نصل؟"

سألتُ بتذمُّر... مُسنِدَةً رأسي على النافذة الباردة.

"ها هو المرقصُ هناك... بعد الإشارةِ على اليمين"

أشارَ بإصبعِهِ إلى المرقص، بدا جميلًا جدًّا وباهظَ الثمن... مع أنوار لوحتهِ المومِضَة. سيقانُ امرأةٍ رُسِمَت بجانب كلمة (لاستي ليونيس) بلونٍ وردي... مما أكَّدَ لي أنَّهُ المحل المنشود. كانت الإشارة على وشكِ الاحمرار، فأسرعَ السائقُ للحاق بها... وتوقَّفَ بجانبِ المرقص.

"ديناران ذهبيَّان... سيِّدتي"

سُحقًا! نسيتُ أمرَ النقودِ مُجدَّدًا! تسمَّرتُ في مكاني مُطلِقَةً تنهيدةً عميقة، ما الحلُّ الآن؟ فأنا لا أملِكُ ملِيمًا واحدًا.

"انزلي انزلي"

صرخَ بلكنتهِ الإسبانية، مُقلِّبًا كفَّيه.

خرجتُ مذعورةً بسرعة قبل أن يضرِبَني... ما أقبحَ الفقر! أسرعتُ للمرقصِ الصاخبِ قبل أن تبتلَّ ملابسي وتفسُدَ تسريحةُ شعري الأحمر... لأتوقف أمام حارسِ أمنٍ مفتولِ العضلات. أسمر البشرة، كريه المنظر، جاد الملامح، ووجهه الأيمن يحمِلُ ندبةً كبيرة. اختفتْ عيونُهُ خلفَ نظارةٍ شمسيةٍ رُغم غياب الشمس، واتصلتْ سمَّاعةٌ لاسلكية بأذنه اليمنى... كومةٌ من الشر تمثَّلت في بشر.

قال الحارسُ كلماتٍ إسبانية لم أفهمها... بنبرةٍ ضخمةٍ

صارِمة، ناظِرًا للأمام.

"لا إسبانية"

قلتُ بصوتٍ عالٍ، متحدِّيَةً صوتَ الموسيقى الصادرة من المرقص.

"بطاقة الهوية"

قال بالنبرة الصارمة ذاتِها، دون أن يلتفِتَ إلي.

أخرجتُ بطاقةَ هويتي وأريتُها له، ليُفسِحَ لي المجالَ سريعًا ويسمحَ لي بالدخول.

كان المرقصُ صاخِبًا جدًّا من الخارج... لدرجةِ أنَّهُ أخفى صوتَ المطرِ والرعدِ تمامًا. وبالطبع كان الحالُ أسوأ بالداخل. استقبَلَني أحدُ النَّادلين تحتَ أضواءِ المرقصِ المتلونةِ والرَّاقصة، مُرحِّبًا بي. قبعتْ خلفَهُ ساحةُ الرقص حامِلَةً أشكالَ الرَّاقصاتِ وألوانَهن المختلفة... وقد اجتمعَ حولهن الرجال كالكلاب اللاهثة. ارتعشَ جسدي بالكامل من شدة القذارة والتقزُّز.

"أتيتُ لأُقدِّمَ على وظيفة"

صرختُ في النادلِ ليَسمَعَني... وسطَ الصَّخَبِ والضَّجيج.

"تفضلي هنا، آنستي"

قالَ بهدوءٍ ونبرةٍ بالكادِ سمِعتُها، متبسِّمًا... مُشيرًا إلى

مدخلٍ مُميَّزٍ بجانبي مباشرةً.

اتَّجهتُ لهُ لأرى غرفةً -أو مكتبًا بالأصح- مفتوحًا بابُهُ، كبيرًا إلى حدّ ما. اتَّجهتُ لهُ ببطء... والقلقُ والارتباك باديانِ على مُحيَّاي. الرجلُ الجالِسُ فيهِ كان واضِحًا من الخارج... واضِعًا رِجليه على الطاولة... وفي يده سيجار كوبي. ذَقنهُ المحلوقَةُ وشاربُهُ الطويل أظهرَاهُ بشكلٍ مُتعجرِفٍ مُتسلِّط، مع رِجلَيهِ اللتَين كانتا فوق الطاولة.

دخلتُ المكتبَ لتملأَ رائحةُ السيجارِ أنفي، بعد أن ملأتْ أنحاءَه.

"مرحبًا، أ... أتيتُ للتقديم على الوظيفة"

نطقتُ بتوتر... ونظري يجولُ حول المكتب. كان نظيفًا للغاية، وأثاثُهُ بدا فاخِرًا مع الإضاءة البنفسجية.

اكتفى الرجلُ بالإيماء بوجهه الأسمر، آخِذًا نفسًا عميقًا من سيجاره... مُشيرًا لي للجلوس على الأريكة البيضاء أمام مكتبه الأبيض. جلستُ بانتظارهِ ليتحدَّث، وقد اعتادت أذني على صخب الموسيقى.

"هل عملتِ في ملهًى ليليٍّ من قبل؟"

سأل وهو يُطفِئُ سيجارهُ، دون أن يُنزِلَ قدميهِ من على الطاولة. كانت لهجَتهُ الإنجليزيَّةُ جيِّدةً للغاية، وكأنَّ الإنجليزيَّة لغته الأم.

"لا"

"هل لديكِ خبرةٌ في الرقص؟"

"لـ.. لا، لكن لدي خِبرةٌ في التمثيل وتطلَّبت بعضُ المشاهد رقصًا"

صمتَ لبُرهَةٍ وهو يتفحَّصُني، مُلاعِبًا شارِبَهُ الطويل.

"قفي واستديري"

آهٍ كم تألّمتُ والدموعُ تكادُ تخرج من عيني، حينَ نفّذتُ له طلبه... الحاجةُ للمالِ مريرة!

"حسنًا، هلّا أريتِني بطاقة الهوية"

عدتُ لمقعدي وناولتُهُ بطاقةَ الهوية، وقد استسلمتُ لطلباتِهِ وخضعت. أنزلَ قدميهِ أخيرًا من على الطاولة، ناظِرًا للبطاقةِ سائلًا:

"هل عندكِ خِبرةٌ في وضع مساحيق التجميل، وتصفيف الشعر؟"

يا الله... كيفَ نسيتُ ذِكرَ خبرتي في وضع مساحيق التجميل والتزيين؟

"نعم بالطبع، فقد كنتُ أُجهِّزُ الممثلات قبل ظهورهن على المسرح... سأساعِدكُم كثيرًا في هذا المجال"

قلتُ بحماس ولم أكذب... فقد كنتُ بارِعَةً في المكياج... أما تصفيفُ الشعر فلستُ بمستوى (آنجي) بالطبع.

أرجعَ لي البطاقةَ بصمت، قبل أن يضَعَ رِجلًا على

رجل... مُمسكًا بجواله.

"سندعُكِ تجرّبين العمل الليلة يا (دورا)، بالراتب المذكور والمزايا المذكورة... إن أعجَبَكِ العملُ وناسبكِ فسنوظّفك. تتضمّنُ مهامُّكِ الرقصَ، ووضعَ المساحيقِ وتصفيفَ شعرِ بقيةِ الراقصات... بمقابل 2500 دينارٍ ذهبيٍّ وسكنٍ والوجبات اليومية"

وافقتُ بألمٍ وأسى:

"لـ.. لا مانع"

وضع هاتِفَهُ على أذنه وانتظرَ لحظاتٍ قبلَ أن يقول:

"(ديفِن)، تعالي"

أغلقَ الخطَّ بعد تلك الجملة، ووقفَ لِيظهَرَ تيشيرتُهُ الأزرقُ وبنطالُ الجينز.. بدا مظهَرُهُ غبيًّا نوعًا ما.

لحظاتٌ ودخلتْ فتاةٌ حِنطيّةٌ بدتْ في الثلاثينياتِ من عمرها، مُرتدِيَةً لباسًا أسودَ فاضِحًا.. متبوعًا بجزمةٍ جلديّةٍ سوداء. شعرُها البنيُّ القصيرُ تناغمَ مع هيكلِ وجهِها المستدير.. وطولِها الشاهق. مكياجُها كان سيّئًا للغاية، علِمتُ الآن لِمَ وظَّفوني بهذه السرعة... حاجَتُهم لخبيرة مكياجٍ واضحةٌ جدًّا!

"ستُريكِ (ديفِن) أماكن العمل وبيئته، وتعرّفُكِ على زميلاتك... حظًّا طيّبًا"

قال وهو يتّجِهُ للخارج.

"مرحبًا بكِ، تعالي معي"

قالت (ديفِن) بابتسامٍ ورِقَّة... مُمسِكَةً بيدي. أتمنَّى أن يكونَ بقيةُ الفتيات برقَّتِها ولُطفِها.

مشينا للخارج، وقد حانَ الوقتُ لأُودِّعَ (آليكساندرا فاولكين) الممثلة البارعة... وأستقبِلَ (دورا ريكسي) الراقصة المثيرة.

مدينة (بليس)، دولة (أوبيا)

يناير، 2019

# الفصل الرابع والخمسون

## المتحدثة: (ستيفاني)

"قرارٌ حكيم... (ميجان)"

قالتِ الصهباء، مُقترِبَةً مني ويداها في جيبَيْ بنطالِها الأبيض.

أخرجتْ يدها اليُمنى حامِلَةً سكّينًا مطويَّة، مُبتَسِمَةً بخُبث.

**"اللعنة... ماذا تريدون مني؟! لقد قبلتُ بمهماتكم اللعينة! أ..."**

توقَّفتُ عن الصراخ بعدَ أن اتَّجهتْ خلفي... أرادتْ فكَّ الحبال فقط. سُرعانَ ما حلَّت وَثاقَ يدي اليُسرى لأشعُرَ براحةٍ شديدة، ثم توقَّفتْ قليلًا. اقتربتْ من أذني حتى شعرت بأنفاسها خلفي... وبعطرها الزكي يُداعِبُ مناخري. وضعتْ شفرةَ السكينِ على عنقي... وقالت بهمسٍ وهدوءٍ تامَّين:

"لا تفكِّري بخيانتِنا أو الهرب... وصدقيني... سنجِدُكِ حتى لو اختبأتِ فوقَ سابعِ سماء!"

أومأتُ ويدايَ ترتجفان. رُغمَ جمالِها، وبدو نعومتِها، وطيبِ رائحةِ أنفاسها وجسدِها... إلّا أنها كانت مُرعِبَةً بشكلٍ لا يُصدَّق آنذاك!

أبعدت اللعينة الشفرةَ عن عنقي وفكَّت حبالَ يدي الأخرى... ثمَّ قدمي لأتحرَّرَ بشكلٍ كامل. وقفتُ ببطء وعظامي تشعرُ براحةٍ خيالية... وكأنها تعبّرُ عن شُكرِها بعد هذه المدة الطويلة دون أي حركة. فرقعتُ أصابعَ يدي وعظمَ ظهري... ورائحةُ عرقي تقشعرُّ منها الأبدان.

"هيا بنا"

قالتِ الصهباء، مُتَّجهةً للخارج... ودقَّاتُ كعبِها على الأرض تخترِقُ مسامعي.

"إلى أين؟"

سألتُها وأنا ألحقُ بها، مُفرقِعَةً عظام رقبتي.

"إلى مهمتك الأولى... لحُسنِ حظك سأُرافِقُك"

لم تنظُر للخلفِ لثانيَةٍ واحِدة، كدتُ أُجادِلُها لأستريحَ قليلًا على الأقل أو أتنظَّف... لكنَّ صرامتها لن تدعَ نفعًا للجدل. لحِقتُها سريعًا بقميصي الرجولي الواسع المتسخ، والجينز الذي لم يقلَّ اتِّساخًا وقذارةً عن القميص... لِندخُلَ الدهليزَ المظلم. شعرتُ بنسيمِ الهواءِ القارسِ يتسلَّلُ إلى جسدي، ويخفِّفُ لهيبَ الجلداتِ في البقع المتفرقة... يبدو أنَّها لن تُغادِرَ جسدي أبدًا.

"ما هي المهمة بالضبط؟"

"ستعرفين حينَ نَصِل"

غموضُها وهدوؤُها يُقلِقانني كثيرًا، لا شكَّ أنَّ المهمة

مُخالَفةٌ للقانون. لم ألتفت يمينًا أو يسارًا ونحنُ نتشعَّبُ في ظُلُماتِ الدهليز... فقط اتَّبعتُها على عمى.

ظهرَ النُّور أخيرًا لأرى نهاية الدهليز -الذي كان أشبه بنفق- وكما توقَّعت... مستودعٌ مهجور. رائحةُ الحديدِ الصَّدِئ وأصواتُ الحشراتِ المختلفة، أكَّدت أنَّ المستودعَ لم يدخله بشر منذ أعوام. مشيتُ خلفَها لأرى طريقَ الحريةِ أمامي... بابَ الخروجِ من مستودعِ الجحيم، كعُصفورٍ رأى بابَ القفصِ مفتوحًا أمامه. لم تنطِقْ بحرف بعد آخر جملة، استمرَّت بالتقدم فقط بكعبِها... وشعرُها الأحمرُ الساحرُ يتمايل.

ما سِرُّها يا تُرى؟ كيفَ لفتاةٍ بهذا الجمالِ والأناقةِ والدلال... أن تكونَ مجرمة هكذا؟ وما علاقةُ صاحبةِ أقراطِ الأنفِ الأربعة بها؟ هل هم عصابةٌ أنا على وشكِ الانضمام لها؟

خرجنا للشارعِ المُظلِم... الذي خلا من السياراتِ والبشر والأنوار حتى. بدا الحيُّ مهجورًا هو الآخر... كالمستودع بالضبط. تسمَّرتُ في مكاني، متأمِّلةً أنحاءَ الحي الفارغة المظلمة... يا للرعب! كم قضيتُ من الوقتِ في هذا المكان؟!

"هيَّا بنا... اركبي"

نطقتْ بعدَ صمتٍ طويل، فاتِحةً بابَ سيارةٍ صغيرةٍ متوقفةٍ أمام المدخل.

لم أُركِّز بالسيارة حتى الآن... طابقتْ نخامَتُها وأناقتُها

فخامةَ وأناقةَ الصهباء. تلكَ السيارة الرياضية الفارهة أثبتَتْ ثراءَ هذه العصابة. يبدو أنهم تجار مخدرات أو أسلحة! ما الذي ورَّطتُ نفسي فيه؟!

"كم من الليالي قضيتُ هُنا؟"

سألتُها مُتَّجِهَةً لبابِ الراكب.

"همممم... ليلتين ربما أو ثلاثًا"

قالتْ وأنا أصعدُ على متنِ السيارة، وعيناها الزرقاوان مثبتتان على بابِ المستودع.

لم تقِل السيارةُ الرياضيّةُ الزرقاءُ فخامةً عن الخارج، بمقاعدها الجلدية وأضوائِها الخافتة الداخلية. شغَّلتْ محرك السيارةِ وهي تُغلِقُ بابَها. أغلقتُ بابي وأنا أنظرُ لباب المستودع... كيف تحمَّلتُ قضاءَ ليلتينِ بأكلهما هُنا؟ عادتْ بالسيارة للوراء بسرعة، ثم انعطفتْ لليمين بعُنف. ضغطتْ على دوَّاسة البنزينِ بكامل قوَّتِها، لأرتدَّ على مقعدي بعنف. سقطَ قلبي من مكانه... وقدمُها لا تزالُ ضاغِطَةً بقوة على الدوَّاسة. وقعتْ عيني على عدَّادِ السرعة وهو يرتفع بسرعةٍ مهولة... 80 كم/س - 90 كم/س - 100 كم/س - 110 كم/س!! إلى متى ستستمِرُّ هذه المجنونة بزيادة السرعة؟!

لولا أضواءُ السيارةِ القوية ما كانَ الطريقُ الترابي ليظهرَ من ظُلمَتِه الحالكة. رفعتْ قدمَها أخيرًا من على الدوَّاسة... ليتوقفَ عداد السرعةِ عن الصعود. نظرتُ للصهباء بطرفِ

عيني... أمسكتْ بالمقودِ بيدٍ واحِدَة، ولاعبتْ شعرَها الأحمرَ باليدِ الأخرى. مثالٌ قوي جلي على الفتيات المتعجرفات المتكبرات!

"هل لي أن أعرِفَ أسماءَكم على الأقل؟"

"نادِيني (G)، والأخرى التي كانت معكِ سابقًا (Z)" أجابتْ مُخرِجَةً عِلكَةً من جيبها.

كانت أغربَ أسماء حركية(4) سمعتُها في حياتي، ما سبب هذه التسمية العجيبة؟

ناولتني علكةً أخرى، أخذتُها ورحتُ أتأملها بشرود... ماذا لو كانت سُمًّا؟

"لو أردتُ تسميمَكِ لفعلتُ منذُ أتيتِ"

قالتْ ماضِغَةً العلكةَ بشكلٍ مقرز... كانت تمامًا كأولئك الفتيات المتعجرفاتِ في المسلسلات.

معها حق... فتحتُ العلكةَ ووضعتُها في فمي. نظرتُ للأمامِ لأرى أنوارًا لاحتْ بالأُفُق... أخيرًا وصلنا للطريقِ المُضاء. استمرّت الصهباء -أو (G) كما سمّت نفسها- بمضغِ علكَتِها بصوتٍ عالٍ... مما ضايقني بشدة. حاولتُ إشغالَ تفكيري بالنظر للطريق المضاء، الذي اقتربنا منهُ شيئًا فشيئًا... و(G) اللعينة تُسرِعُ تارةً وتُبطِئُ أخرى.

بدأتْ بتخفيفِ سُرعتِها... قبل أن نَصِلَ للطريقِ المُضاءِ ببضعَةِ أمتار. انعطفتْ يسارًا بعنف، لتنعكِسَ أنوارُ السيارةِ

أمام مستودع آخر صغير أمامنا... ما الذي تخطط لفعله هنا؟!

استمرَّتْ بالقيادةِ نحوَهُ بصمت... أرجو أن تمر هذه الليلة بسلام. توقفتْ أمامَ المستودع وأطفأت المحرك، وخرجتْ من السيارة على عجل.

"مهمتكِ هنا، انزلي"

خرجتُ لأشعُرَ بالهواء البارد مجددًا، لم يكُن بتلك البرودة مقارنةً بجو (الجزيرة المجهولة). تبِعتُها ودقات كعبها قد تلاشتْ على الطريق الترابي، كانت خطواتها واثقة صارمة... عكس خطواتي المهزوزة المتثاقلة. أسرعتُ في المشي حاثَّةً الخُطا... فلننهِ ليلةَ الجحيم هذه. أخرجتْ مِفتاحًا من جيبها ووضعتْهُ في مزلاجِ القفل على الباب الحديدي، ثمَّ رمتْ بالقُفلِ بعيدًا بعد فتحه. سحبت البابَ لليسارِ فأصدرَ صريرًا مُزعِجًا... لم يُثِر ذَلِكَ استغرابي أبدًا نظرًا لقدمِ المستودع وصدأِ الحديد.

سمِعتُ همهمةً ضئيلة. بحثتُ عن مصدرِ الصوت - وأنا خلفَ (G) - لأرى ما لا تُحمَدُ عُقباه! امرأةٌ -في الأربعينياتِ من العمر على ما يبدو- مُقيَّدةٌ على الأرض! جثتْ على ركبتَيها ويداها مُكبَّلتان خلفَ ظهرِها، وعيناها البنيتان بدتا مُتعبتَين جِدًّا... كأنها لم تنمْ منذُ شهر!

أدخلتْ (G) يدها في جيبها، ويا ليتَ الأرضَ ابتلعتْني قبل أن أرى ما أخرجَتْهُ منه. نظرتُ لها نظر الحزينةِ

وعيناي تترجيانِها... مُحاوِلَةً كتمَ دموعي.

راحتْ عيناي تتأمّلانِ المُسدَّسَ الأسود، الذي حملته يدُها بكلِّ برود... ويداي ترتجفانِ بل كاملُ جسدي.

"إما روحُكِ أو روحُها... اختاري بعناية"

كسرتْ (G) حاجزَ الصمت الرهيب، وهي تمضَغُ علكتها بصوتٍ عالٍ... ناظِرَةً لأظافِرِها المطليّةِ دون اكتراث... ويدُها لا تزالُ ممدودةً لي بذاكَ المُسدَّس. يا لها من لعينة!

تلكَ العِبارةُ كانت فصلَ الخطاب بالنسبةِ لي، رفعتُ يدي المرتجِفَةَ ببُطء لآخُذَ منها المسدَّس... كان ملمَسُهُ بارِدًا جدًّا.

نظرتْ لي المرأةُ بترجٍّ وأسى، وعيناها البنيتان مُلِئَتا رُعبًا. كانتْ تهزُّ رأسَها بعُنف، صارِخَةً بكلامٍ مكتوم... بسبب الشريطِ اللاصق الذي وُضِعَ على فمها.

الرياحُ تشتد... همهمةُ المرأةِ تخَلَّلُ صوتَ الرياح وتقطِّعُ قلبي... خفقاتُ قلبي وصلت لرأسي المتصدع... و(G) واقِفَةٌ هُناك ببرود راجيَةً الله أن أنتهي بسرعة! يا لقسوةِ قلبها وبرودِ دمها!

خطرتْ ببالي فكرةٌ ذكيةٌ وقتَها. لِمَ لا أستخدِمُ المُسدَّس لقتلِ (G)... ثمَّ أهربُ من بقعة الجحيم هذه؟! بدتْ خطةً منطقيةً للغاية، وبعد قتلها أسرِقُ سيارتَها. في النهاية، لن

أترددَ في قتلها للحظة؛ فهي من تستحق القتل... لا هذه المرأة المسكينة!

لا أعتقدُ أنَّها بهذا الحُمقِ لتعطيني مُسدَّسًا دون أن تقي نفسَها أوَّلًا... لا جرمَ أنَّ لديها مُسدَّسًا آخر، وهو الآن مصوَّبٌ نحوي إن اشتمّت رائحةَ خيانة! وفوقَ هذا كله وحتى لو استطعتُ الفرارَ منها... فهل ستدعني صديقتُها -أو أصدقاؤها على الأرجح- وشأني؟ ستنشقُّ الأرضَ بحثًا عني، كما قالتْ لي (G) بالضبط قبل أن تحل وثاقي: "لا تفكِّري بخيانتِنا أو الهرب... وصدقيني... سنجِدُكِ حتى لو اختبأتِ فوقَ سابعِ سماء!"

نظرتُ للمرأةِ نظرةً أخيرة، بعد أن نفدتْ مني الحلول... ولم يبقَ لي ملاذٌ إلا إنهاء حياتها. انهمرتْ دموعُها من عيونها، هازَّةً رأسَها بتوسُّل. ابتلعتُ علكتي من الخوف، فتحتُ صمَّامَ أمانِ المُسدَّس، وجهَّزتُهُ للإطلاق بسحب رأسه للوراء... تعلَّمتُ هذا كله عند تدريبي لحراسة حدود (الجزيرة المجهولة). صوّبتُ المُسدَّسَ على جبينِها، وأغمضتُ عيني كي لا أرى دموعَهَا وتوسُّلاتِها... ولا أراها بعد أن تُردى قتيلة. خرجتْ دمعَةٌ من عيني رُغمًا عني... فقد كنتُ على وشك قتلِ إنسانٍ بريء. لامسَ إصبعِي الزناد، وضغطتُهُ بسُرعةٍ حتى أُنهِيَ الجحيمَ الذي كنتُ أعيشُه.

"كلك"

كان ذاكَ هو الصوت الرقيق الذي سمعته... حين

ضغطتُ الزناد! من المُفترضِ أن تُحدِثَ الطلقةُ جلَبة! فتحتُ عيني لأرى المرأةَ المُقيَّدَةَ حيَّةً مكانَها... وقد فتِحَت عيناها على مصاريعهما من الخوف.

"عملٌ جيد، تجاوزتِ أولَ اختبارِ ولاءٍ وثقة... هيا لنخرُج"

قالت (G) بقليلٍ فخر... ماضِغَةً علكتها... مُربِّتَةً على كتفي.

اللعنة على ألاعيبهم! وما أذكاهم! قاموا بتفريغ المسدَّس من الرصاص وضربوا عصفورين بحجر... اختبروا ولائي لهم ليروا إن كنتُ سأضغطُ الزنادَ على (G)، واختبروا مهاراتي في القتل والإجرام ليروا إن كنتُ سأتمكَّنُ من ضغطِ الزنادِ على تلك المرأة!!

أعطيتُها المسدَّس وخرجتُ من المستودع بسرعة، ويدي على قلبي... بعد أن تيقَّنتُ أن بإمكاني قتل بشر!

لم ألبثْ قليلًا حتى سمِعتُ صوتَ طلق نار! التفتُّ لأرى (G) حامِلَةً مُسدَّسًا آخر صُوِّبَ على المرأة... التي قد فارقت الحياةَ بعد أن اخترقت الرصاصة جبينها! سحبتْ (G) الباب لليمين بعد خروجها... تارِكَةً الجثة لتتعفَّن. أدركتُ بعدها طبيعةَ عملي ومُسمَّايَ الوظيفي مع العصابة... قاتلةٌ مأجورة!

# مدينة (أليو)، دولة (سويفين)

## فبراير، 2019

# الفصل الخامس والخمسون

## المتحدثة: (آنجيلا)

"(آنجي)... (آنجي)... (آنجي)"

همساتٌ باسمي... هزَّاتٌ متواصِلةٌ لكتفي... وأنفاسٌ كريهةٌ بالقرب من أنفي.

فتحتُ عيني ببُطءٍ ورؤيتي لا تزال مشوَّشة... وقفتْ (جيني) بشعرِها الأشقرِ الفوضوي -الذي كان بحاجة ماسَّةٍ للاستحمامِ وغسلِهِ بالشامبو- مرتديةً بنطالًا رياضيًّا أسودَ، وتيشيرتًا أحمر.

تسلَّلتْ أشعة الشمس الغاربة الخفيفة من النافذة، لتُساعِدَ (جينِي) على إيقاظي. رفعتُ جسدي من السرير بتثاقُل، لأجلسَ على طرفه... وقد فقدتُ الرغبةَ بالقيامِ بأيِّ شيءٍ بالكليَّة. أصبحتْ حياتُنا مملَّةً جدًّا، بروتينٍ مكررٍ قاتل.

نستيقِظُ كلَّ يومٍ في الساعةِ ذاتِها، لنجتمعَ مع أخواتِنا -اللاتي قابلناهن في اليوم السابق- ونخوضَ المحادثةَ المملةَ نفسها... نسألُ فيها بعضنا عن أحوالِ بعض.

ننتظرُ اتصالَ (ستيف) وصبرُنا قد نفد... ومؤخَّرًا (سارة) و(بليد) بعد أن مضى أسبوعان وزيادة! بعد المكالمةِ أتناولُ مع (جيني) الإفطار، مُحاولتَين اختيارَ مطعمٍ جديدٍ بعد أن سئمْنا من أكل الفندق... لنعودَ بعدها للبيتِ ونُشاهِدَ فِلمًا أو نلعبَ لعبة فيديو.

أصبحنا كالحيوانات بالضبط... نأكلُ نشربُ نذهبُ للحمام وننام. جلبتُ نظارتي المشطوبة وتحرَّكتُ نحوَ الحمام بهدوء... لا أعلمُ كيفَ تحرَّكتْ ساقاي للأمانة. غسلتُ وجهي ببرود، متيقِّنَةً أن اليومَ سيكونُ كالذي سبقه... والذي سبقه... والذي سبقه! تأملت انعكاسَ وجهيَ الشاحبِ في المرآة... وقد فقدَ طعمَ الحياةِ وإثارتَها. أما شَعري الأسود محلوق الجوانب، فقصَّةٌ أخرى... لم يقلَّ قذارةً وزيتًا عن شعر (جيني). لَكَم اشتقتُ لتلكَ الساعاتِ الطويلةِ التي أقضيها في الاهتمامِ بشعري، وتزيينه وقصِّه... ليتَ تِلكَ الأيامَ تعود!

وضعتُ نظَّارتي الزهرية وقد أصبحَتْ زُجاجتُها المكسورةُ لا تُطاق، والرؤيةُ بها تُضايِقُ جدًّا. غادرتُ الحمَّام لأسمعَ (جيني) تتحدَّثُ في غرفةِ المعيشة... لم أكُن في مزاجٍ جيِّدٍ للتحدثِ مع أحد بصراحة. ألقيتُ نظرةً عليها لأجدها جالِسَةً على الأريكة، والكمبيوتر المحمول في حجرها... تتحدَّثُ بنبرتها الهادئة المعتادة.

جلستُ بجانبِها وانضممتُ للمكالمة رُغمًا عنِّي... ها نحنُ أولاء مرَّةً أخرى.

"هممم... يبدو أنَّ أحدَهم في مِزاجٍ سيئ اليوم"

قالت (آفا)، بفُستانِها الأنيقِ الأحمر... وكُحلِها وحاجبَيها المرسومَين بإتقان.

لا طاقةَ لي للعراكِ معها والجدال، اكتفيتُ فقط بالنظرِ

للأمام.

"لِمَ لا تجرّبين أنتِ و(جيني) شيئًا جديدًا؟! ماذا عن..."

"يا إلهي!"

كانتْ مُقاطَعَةُ (آفا) لـ (آليكس) مُبَرَّرَةً تمامًا... فما حدثَ كان مُفاجِئًا للجميع. اتَّصلَ بنا الذي ننتظرُ اتصالَهُ كلَّ يوم، وقد انقطعتْ أخبارهُ عنَّا تمامًا. تسمَّرنا جميعًا في أماكننا، ولم يصدّقْ أحدٌ ما كان يراه... (ستيفاني) تتصل!

أخذتُ المحمولَ من (جيني) باهتمام... بعد أن ضغطتْ على دائرةِ قبولِ الاتصالِ الخضراء، لتدخُلَ معنا (ستيفاني) المكالمة. بدأتْ كاميرتها بالتحميل، وجميعُنا نتلهّفُ لرؤيتِها... رؤيةِ أُختِنا التي اختفتْ لمدَّةٍ تجاوزتِ الأسبوعين!

ظهرتْ أخيرًا على الشاشة، وأيُّ ظهور. مساحيقُ التجميلِ ملأتْ وجهَهَا الأبيضَ الشاحبَ المليءَ بالنمشِ بشكلٍ احترافي، وشعرُها البنيُّ القصيرُ المُجَعَّدُ قد طالَ قليلًا... ممَّا زادَها جمالًا. عيناها الخضراوان لمعتا تحت إضاءة غرفتها القوية، وهي تنظرُ لنا ببرود. لم نتوقَّع ظهورَها بهذا الشكلِ أبدًا... ما الذي حدث لها؟!

"أين كُنتِ بحق الجحيم؟! ما الذي حدثَ لكِ؟!"

صرختْ (آليكس) نيابةً عنَّا، مُقطِّبَةً حاجبيها.

لم تتفاعل (ستيفاني) مع السؤال البتة، وأبقتْ نظرتَها

الصارمةَ على وجهِها! استمر صمتُها للحظاتٍ قبلَ أن تُعدِّلَ جلستَها على ما بدا أنّهُ سريرٌ لوهلة... قائلَةً:

"لا أرى فائدةً من مكالماتنا هذه أبدًا، فليستْ (فيوليت) بأُمِّنا ولسنا بأخواتٍ على الأرجح... لا أُمَّ لنا ولا أب. والآن ولا سيما أن (سارة) و(بليد) قد اختفيا ولم يفيا بوعدهما -كما توقعت بالضبط- فكلٌّ منَّا عليهَا أن تشُقَّ طريقَهَا في (الأسوأ) وحدَها، وعليهَا أن تعتمدَ على نفسها. أعتذِرُ منكن فلستُ أُختًا لكن ولستُن أخواتٍ لي... نحنُ غريبات بالكُلِّيَّة. أتمنّى لكُن الأفضل دائمًا... علَّنا نلتقي في حياةٍ أخرى"

غادرتْ مُباشرةً بعدَ كلماتِها التِي أطلقتها كالنِّبال، لم تترُك لنا فُرصةً للرد حتى! أطبقَ الصَّمتُ علينا وعقولنا تكادُ تنفجِرُ من الحيرة... ما الذي حدث للتو؟

"أرجوكن أخبِرنني أنه مجرد حُلُم"

نطقتْ (آليكس) بكل هدوء، ماسِكَةً رأسها بكلتا يديها.

"كلُّ شيءٍ بدا غريبًا حولها يا بنات... لا أعتقِدُ أنها بكامل قواها العقلية!"

قالت (آفا)... مُتنهِّدَةً بعُمق.

"أتفق معكِ... الكمُّ الهائلُ من مساحيقِ التجميل كان غريبًا، والسريرُ الذي جلستْ عليه مُختلِفٌ عن الذي رأيناهُ في غرفة فندقِها في مكالمتنا الأولى"

قلتُ وأنا أُعدِّلُ جلستي على الأريكة.

"بدتْ نبرتُها وكلامُها كأنها مُجبَرَة"

تحدَّثَتْ (جيني) بنبرتِها الهادئة... جميعُ تصرُّفاتِها أصبحت تذكِّرُني بـ (نوفا).

"صحيح... وكأنها تحتَ تهديدِ السِّلاح! حتى طريقة كلامِها كأنها رجلٌ آلي بلا مشاعر!"

قالت (آفا).

"لا لا، لا أعتقدُ ذلك! أليسَ الأجدرُ بهم أن يخطِّطوا للإيقاعِ بنا وتسليمِنا ليحصلوا على الجوائز؟! عِوَضًا عن إجبارِهم لـ (ستيف) على قطع علاقتها معنا"

سُحقًا لعقلي المنطقي الذي يقطَعُ كلَّ أملٍ في هذهِ الحياة!

"بدتْ واثِقَةً في كلامِها للغاية... هل لديها دليلٌ قاطِعٌ أن (فيوليت) لا قرابة لنا بها؟"

تساءلت (آليكس)، واقفةً من مكانها... لتَظهرَ لنا غرفتها الجديدة. صغيرةٌ لكنها جميلة، بسريرِها الأزرق بالدورين... والتسريحة الكبيرة السماوية.

حالُها غريبٌ ومشبوه، تقولُ إنها غيَّرتْ فندقَها لأن شخصًا ما يلاحِقُها! لم تقُل لنا من هو، ولِمَ يلاحِقُها أو حتى كيفَ عرفتْ أنه يلاحِقُها! وفوقَ كلِّ هذا... لا تبدو غرفتُها غرفةَ فندقٍ أبدًا... أيُّ فندقٍ يضَعُ سريرًا بدورين في غرفه؟! للأمانة، تعِبتُ منها ومن حماقتها... وما (آفا)

عنها ببعيد.

"فلنترك الآن التفكير في موضوع علاقتنا بـ (فيوليت)... ماذا لو لم يرجع (بليد) و(سارة)؟"

سألتْ (آفا)، عاقِدَةً ذراعيها.

"علينا أن نبحثَ عن وظائف"

قالت (آليكس)، واضعةً محمولَها على التسريحة جالسةً أمامها... ليستقِرَّ خلفَها سريرُها ذو الدورين.

"عن أيِّ وظائفَ تتحدثين؟ نحنُ لا نملكُ أيَّ شهاداتٍ أو مؤهلات!"

تجهَّمتُ ونظري لسقفِ الغُرفة.

**"أعطِينا حلًّا بديلًا إذًا يا فهيمة"**

انفعلت (آليكس)، ناظِرَةً لي بحدة.

"أوه أوه... معكِ حق! أنا فِعلًا الفهيمة بينكن يا حمقاوات! الأولى تعيشُ قصة حب مع عجوزٍ شمطاء... رُغمَ تحذيرنا لها، والثانيةُ لم تُكمِلِ الأسبوعَ إلا وقد ادَّعت أن أحدَ الشبابِ يتقفَّى أثَرَها!"

أثارتْ حنقي وغضبي، ما أغباها!

"نسيتُ أنَّ لدينا (ستيفاني) أخرى هنا... ما دخلي الآن بشجارك؟! لا تُخرِجي غضبكِ عليَّ إذا سمحتِ! و(آليس) التي دعوتِها بالعجوزِ الشمطاءِ هي صديقتي... بل أختي.

وبعد كلامك هذا، عرفتُ أنكِ لا تفهمين معنى الصداقةِ والأُخوَّة... وبصراحة أشعر أنك تغارين مني"

"أووو... يا للُّطف! أختُكِ التي تعرَّفتِ عليها منذ أقل من شهر!"

قلتُ بسخرية.

"وما الذي تعنينهُ حين تقولين ادَّعتْ؟ هل تعتقدين أني أكذب؟!"

قالت (آليكس)، مُقرِّبَةً وجهها من الكاميرا.

"بصراحة (آنجي) معها حق، لم تُخبرينا عن قصة الشاب والذي حدث معه"

قالت (آفا) بهدوء.

"أوتعلمن؟ (ستيفاني) كانت على حق... لا عائد من هذه المكالمات إلا الصداع ووجع القلب والرأس! لا أخالُ (سارة) و(بليد) عائدين أبدًا. أنصحكُن بالبحثِ عن وظائف، فما هي إلا شهورٌ وينتهي المالُ الذي معكن"

غادرتْ (آليكس) المكالمة بعد جُملتِها تلك.

"فكرةٌ سديدة... الوداع"

غادرتْ هي الأخرى، مُقلِّدَةً توءمتها الحمقاء.

"حمقاوات... ما أصبرَ الأرضَ عليهن!"

أغلقتُ شاشةَ المحمول بعُنف، كاد يُكسَرُ من الشدَّة.

"لا توقظيني حتى لو زُلزِلَت الأرض!"

هرعتُ لغرفة النوم وأغلقتُ الباب بعصبية... دون انتظارِ رد من (جيني). احتجتُ للبقاءِ وحيدةً لفترة... لو تكلّمتُ مع أحدٍ فسأصبُّ جام غضبي على رأسه!

# الفصل السادس والخمسون

## المتحدثة: (آنجيلا)

كَم قضينا من الوقتِ في غرفةِ الفندق معزولات عن العالمِ الخارجي؟ أسبوعًا؟ أعتقِدُ أنا أكملنا أسبوعًا مُغلقاتٍ البابَ على أنفُسِنا... بالروتين الممل ذاته! أعتقد أن مكوثَنا في (الأسوأ) سيطول... وقد لا نرى (سارة) و(بليد) مجددًا.

نظرتُ لـ (جيني) مُلصِقَةً وجهَها بنافذةِ سيارة الأجرة، وقد بدأتْ صبغتُها الشقراء بالتلاشي... وشعرُها المجعّد يعودُ للونهِ البني. وبالنسبةِ لشعري فقد نما ليصبح أجمل وأطول... وفسخَ لونه الأسود ليعودَ لشقارِهِ الطبيعي الناعم. لن نعودَ لصبغِ شعورِنا وقصها رُغمًا عنا، فلن يعثُرَ علينا أحدٌ بعدَ أن ظهرتْ نتائج مقارنةِ الحمض النووي سلبية.

استمرَّتْ بالتحديقِ بالطريقِ بشرود، ووشاحُها الزهري الريشي التفَّ حولَ رقبتِها... مُتناسِقًا مع فُستانِها الأزرقِ الفاتح. هي التي شجَّعتني على الخروجِ من الفندق اليوم، لقضاءِ بعضِ الوقتِ في المول... كدتُ أُصابُ بحالةٍ نفسية من العُزلةِ لولاها.

كَم هي قوية هذه الفتاة! رغم كل ما واجهَتْه من مصائبَ، ومع صغر سنها إلا أنها كانتْ أكثرَنا صبرًا... ولا أُبالِــغُ إن قلتُ أكثرَنا قوةً بعدَ رحيلِ (نوفا)!

أأنتِ أختي فعلًا يا (جيني)؟ أم أنا يتيمتان تجمعُنا أخوَّةُ منزلٍ تربَّينا فيهِ فقط؟

نظرتْ لي مُتبسِّمةً وبادلتُها الابتسامةَ لا إراديًّا، وضعتُ كتفي حولَها وأنا أتفحص الطريقَ المزدحم... تحتَ أشعة الشمسِ الخفيفةِ الغاربة. جو (أليو) الرائعُ المعتدل يرغمك على الخروج، حتى وإن لم تكن لك حاجةٌ تقضيها... فقط لتشعُرَ بهوائها النقي.

"ثلاثون دينار ذهب، آنستي"

قال سائقُ سيارة الأجرة، متوقِّفًا أمامَ مبنًى ضخم... ازدحمَ أمامَهُ المارة.

أعطيتُهُ أجرَهُ وخرجنا من السيارة، متوجِّهتينِ للمول بحماس. لم يكُن ذهابُنا للتسلية فقط، بل احتجنا بعضَ الملابس... واحتجتُ لإصلاح نظارتي الزهرية المشطوبة أو شراءِ نظارةٍ جديدة. دخلنا لنتفاجأ بالكمِّ الهائل من المحلات، في شتى الأقسامِ والمجالات. وقفنا حائرتينِ أيَّها ندخلُ أولًا، إلى أن وكزتْني (جيني) مُشيرةً لصالونِ عنايةٍ بالشعر على اليسار.

"انظري إلى اللوحة... يحتاجون مصففات وخبراء شعر!"

نطقتْ بحماس، مُمسِكَةً يدي لتقودني نحوَ اللوحةِ التي وُضِعَتْ أمامَ الصالون. لم أفهمْ سببَ حماسِها للوهلة الأولى، لكني تذكرتُ بعدها شغفي في تصفيفِ الشعرِ وتزيينِه وصبغه... وكل شيء لهُ علاقةٌ بالشعر ببساطة.

"لا أعتقدُ أنهم سيقبلونني دونَ شهاداتٍ وسِجل علمي. فرصة قبولي ضئيلةٌ جدًّا"

قلتُ وأنا أتمعّنُ اللوحة.

"وما أدراكِ؟ جربي ولن تخسري شيئًا!"

قالتْ وهي تدفعُني نحو صالونِ الشعر، دون أن تترُكَ لي فرصةً للرد.

كان الصالونُ متوسطَ الحجم، بطلاءٍ زهري ساحر على الجدران.

كانتِ المغاسِلُ الحمراءُ الخاصةُ بتدليكِ الشعرِ وصبغِه وما إلى ذلك... مليئةً بالنساء اللاتي تُغَسِّلُ شُعورُهُنَّ وتُدَلِّكُ بالشامبوهاتِ والصبغات. كراسي القص والتقصيرِ أمامَ المرايا حوتْ نساء أقل... تُقَصُّ شعورُهُنَّ باحتراف.

آه... كم حركَ ذاك الصالونُ الشغفَ بداخلي... وكم اشتقتُ للمسِ الشعرِ والصبغاتِ والمقصاتِ على يدي.

"عِمتُما مساءً أيتها الآنستان... كيفَ أستطيعُ خدمتكُما يا جميلتان؟"

رحبَتْ بنا سيدَةٌ في الأربعينَ من عمرها أيّما ترحيب، بابتسامةٍ يطمئنُّ لها القلب. تغطّى جسمُها بمِئزر العمل الأسود، ورُبِطَ شعرُها البنفسجي الناعم على هيئةِ كعكة... مُتناغِمًا مع بشرتِها البيضاء الشاحبة.

"أوه، شُكرًا لكِ سيدتي... رأيتُ إعلانَ الوظيفة وأرغبُ بالتقديمِ لها"

أجبتُها بتبسُّم، راجِيَةً أن أُقبَلَ فورًا دونَ تقديم سيرةٍ ذاتيةٍ أو شهادات.

"حسنًا، وأنتِ يا جميلة... هل تريدينَ إعادةَ هذا اللونِ الأشقرِ الجميلِ لشعرِك؟"

سألتْ (جيني) وهي تتحسسُ شعرَها، والابتسامةُ لا تُفارِقُ محيَّاها.

"لا، شكرًا... أنا هنا لأرافِقَ أختي فقط"

أجابت (جيني) بلُطف.

"استريحي هُنا إذًا، وسنستعيرُ أختكِ لدقائق فقط"

أشارتْ لـ (جيني) على مقاعد الانتظار بجوار الباب، وجلستْ وهي تُحرِّكُ إبهامَها لأعلى... غامِزَةً لي بابتسام.

"اتبعيني"

مشيتُ خلفها لآخر الصالون، ودخلنا غرفة الإدارة.

كانت الغرفة صغيرةً جدًّا، لكن أثاثَها فاخِرٌ مرتب. مكتبٌ أبيضُ على اليمين، قبعَ خلفَهُ كرسي متحرك وأمامَهُ كرسيان صغيران. أمامي مباشرةً طاولةٌ استقرتْ فوقَها دُميةُ التدريب وأدواتُ القص... وخلفَها كرسي أسود دوار.

"تفضلي هنا يا..."

"آنـ.. آفرا. (آفرا مورجان)"

أنسَتْني العُزلة اسمي المزيف، لكني تداركتُ الوضعَ سريعًا.

جلستُ على الكرسي خلفَ الدمية حيثُ أشارت، وتوتري يزداد... هل ستختبِرُني الآن؟

"لعلمكِ يا (آفرا)، عادةً ما أطلُبُ من المتقدّمينَ وضعَ سيَرِهِم الذاتية أولًا لأطلع عليها... لكني تفرَّستُ فيكِ حُبَّ ومهارةَ تصفيفِ الشعرِ منذُ دخولك"

تحدثتِ المديرة -على ما أعتقِد- لتَحمرَّ وجنتايَ خجلًا من مديحِها.

"أووو، شكرًا لكِ سيدتي... أرجو أن أكون عند حُسنِ ظنكِ بي"

الحمد لله، لم يخُنِّي التعبيرُ تلكَ المرة.

"نادِيني (آميليا). حسنًا، أريدُ أن أسألكِ بضعةَ أسئلةٍ قبل بدء الاختبار"

أومأتُ لها برأسي، بالعةً ريقي بتوتر.

"سيدةٌ تريدُ صبغةً وقصّة... بأيِّها تبدئين؟"

فكرتُ قليلًا ثم قلت:

"أقص شعرَها أولًا ثم أصبغُه... حتى لا أُهدِرَ كميةً

كبيرةً من الصبغة"

نظرتْ لي بفخرٍ وتعجب، بعدَ أن أتيت بالجوابِ الكاملِ الذي في ذهنها.

"سيدةٌ تريدُ صبغَ شعرِها بطريقةٍ معينة قد تُفسدُ شعرَها بالكامل، ونصحتِها بطريقةٍ أخرى أفضل لكنها أصرَّت... أتنفذينَ رغبتَها؟"

همممم... أنُرضي العميل، أم نحافظ على سمعةِ المحل؟

"لا، فعندما يفسد شعرُها قد ترفعُ قضايا وتفسد سُمعة المحل"

صفَّقتْ بيدَيها وسألتْ سؤالَها التالي مباشرةً:

"من اللون البني للأصفر... صفي لي عملية تحويلِ اللون"

"نبدأُ أولًا بتفتيحِ لونِ الشعر، ثم ندعُهُ لمدة..."

"ممتاز! لا داعي للإكمال فقد أتيتِ بأهم خطوة. أُريدُكِ الآن أن تنفذي لي قصة (البيكسي) على الدمية... مع حلقِ الجانبين"

كانت تلكَ أغربَ مقابلةٍ وظيفيةٍ وأسرَعها! لم تسألني عن عمري حتى، لم تسأل عن أي شيءٍ شخصي... فقط اهتمت بالجانب الوظيفي.

أمسكتُ بالبخَّاخ وبلَّلتُ شعرَ الدمية الأسود الطويل بالماء، ثم أمسكتُ بالمقص والمشط... لأبدأ القص سريعًا.

قصة (البيكسي) هي أسهلُ قصةٍ بالنسبةِ لي، لطالما عمِلتُها مرارًا وتكرارًا في (الجزيرة المجهولة)... على نفسي وعلى غيري.

لحظاتٌ من القص، لتُصَفِّقَ (آميليا) ببُطء... مُتقَدِّمةً نحوي.

"أنتِ ما أحتاجُهُ بالضَّبط، اعتبري نفسَكِ قُبِلتِ! تبقى أن نُناقِشَ الراتب وأيام وساعات العمل"

لم أصدق ما سمعته! هل أنا فعلًا بذاك الاحتراف... أم أن (آميليا) فقط بحاجةٍ لأي موظفة؟ لا يهم، فقد قُبِلت في وظيفةٍ هي شغفي منذ الصغر... لأقضي فيها وقتي بدلًا من الفراغ القاتل.

## مدينة (كابال)، دولة (فويجو)

## فبراير، 2019

# الفصل السابع والخمسون

## المتحدثة: (آليكس)

"توقفي عن الحركة يا غبية!"

قلتُ بضحك، مُمسِكَةً بعلبةِ أحمرِ الخدين.

"حسنًا حسنًا... آسفة"

ردتْ وهي تحاوِلُ كتمان ضحكتها، مُبرِزَةً ملامحَ جادة على المرآة الوردية.

أخذتُ الفُرشةَ وقلَّبتُها في العلبة، لأضعها على خدَّيها الأسمرين.

"ها نحنُ أولاء... (مانهوري) كما لم ترينَها من قبل يا بنات!"

قلتُ وأنا أُديرُ كُرسيَّها في الاتجاهِ المُعاكِس، مُتَّكئةً على طرفه.

"(دورا) (دورا) (دورا)... ما هذا الفن!"

قالتْ إحداهُنَّ بلكنةٍ إسبانيَّة، فاتِحَةً فَمها بدهشة.

"بصراحة... قدومُكِ لنا أنقَذَنا! كان أسوأُ وقتٍ في يومِنا هو وقتَ المكياج، أما الآن فهو أفضلُ جُزءٍ من الوظيفة!"

قالت الأُخرى... ونظراتُ الفخر بادِيَةٌ على وجهها.

استمرَّ الأُخرَياتُ في إبداء إعجابهن بمظهر (مانهوري)

ومكياجها، بعضهُنَّ بالإسبانيَّة التي بدأتُ أفهمها قليلًا بحلولِ ذاك الوقت... حتى احمرَّتْ وجنتايَ نَجَلًا ولم أعرف كيف أرُد.

كنتُ قد جهَّزتُ جميعَ الفتياتِ تلكَ الليلة ليخرجن على المنصة... منصةِ الرقصِ لأكونَ دقيقة. اعتدتُ تلكَ الحياة: وضعُ مساحيق التجميل للراقصات... والخروجُ للرقصِ إن دعتِ الحاجةُ في المرقص. لا أُنكِرُ أني أحببتُ العملَ هُناك، فالفتياتُ جميعُهُنَّ كنَّ غايةً في اللطافة... الشيءُ الوحيدُ المُزعِجُ حينَ أضطرُّ للرقص نظرًا لكثرة الزبائن.

ما أجملَ تلكَ الساعاتِ التي نقضيها معًا بعد انتهاء الدوام، نضحكُ ونلعبُ ونتبادلُ أطرافَ الحديثِ بكل ود. رُغمَ حداثةِ انضمامي لهن، لكني لم أشعُر بالإقصاء منهم ولو للحظة... عاملنني كأُختٍ لهن... وكأني عُوِّضتُ عن أخواتي اللاتي تخلين عني.

تُرى ما الذي حدث معهن؟ وكيف هي أحوالهن الآن؟ كنا قد قطعنا الاتصال تمامًا بعضنا ببعض بعد الشجار الكبير، وبعد تخلِّي (ستيفاني) الغريبِ عنا.

التفتُّ للوراء حينَ سمِعتُ تصفيقًا بطيئًا، لأرى (ديفِن) بتنُّورتِها القصيرةِ السوداء المخطَّطَةِ بالأحمر... وقميصها الأحمرِ العاري البطن... تمشي نحوَنا كمشيةِ عارضاتِ الأزياء. بصراحة، جميعُنا أصبحْنا نمشي بتلك الطريقة. (ديفِن) هي

الألطفُ بينهن، وهي المسؤولة عنا جميعًا... مُديرَتُنا إن صحَّ التعبير. لم أسمعها تصرخ على إحدانا يومًا، أو تغضبُ من إحدانا مهما فعلت... وفيها من الصبر ما الإله به عليم. هي الأقربُ لي بينهن نظرًا لأنها رفيقة سكني في الغرفة، هي تنامُ في السريرِ العلوي وأنا في السفلي... وكم قضينا من ليالٍ نسهرُ ونتحدثُ عن كل شيء بلا مبالغة!

استمَرَّتْ بالتصفيقِ ببُطء وهي تتأملُ الفتيات، ثم وقفتْ بجانبي ووضعتْ ذراعَها حولي... أعتقدُ أنها احتاجتْ لإنزالِ نفسِها قليلًا فطولُها لا يُصدَّق.

"هذا ما أُسمِّيه الإبداعَ والإخلاص في العمل!"

قالتْ وهي تُربِّتُ على كتفي، ناظِرَةً لبقية الفتيات... ولكنتُها الإسبانيَّةُ طاغِيَةٌ على لسانِها.

"أووو... (دورا) قد أُحرجتْ تمامًا ولسانُها انعقد"

قالتْ (مانهوري)، واقِفَةً من كرسيها الدوَّار ونظرُها لي.

خبَّأتُ وجهي واستدرتُ بعيدًا... لا أتعاملُ مع الإحراج بشكلٍ جيد.

"حسنًا يا بنات، حان الوقت... ترتيبُنا كما اتفقنا"

قالت (ديفِن)، الحمد لله أنها غيَّرتِ الموضوع.

تزامنتْ جملتُها مع ابتداء الموسيقى الصاخبة في المنصة خلف الستارة، وبدأ الفتيات بالخروج واحِدةً تلو الأخرى... بتنانيرِهنَّ الضيِّقة... وأقمِصَتِهِنَّ العاريةِ البطن.

كانتْ (ديفِن) تراقِبُهن من كاميرات المراقبة، وتُقلِّبُ بين الكاميرات من الزوايا المختلفة. اقتربتُ منها وجلستُ بجانبها، لأرى الفتيات يرقُصنَ والرجال حولهن كالكلاب! هذا يرمي بالنقود عليهن... وذاكَ يتلذَّذُ بالنظرِ إليهنَّ مُبتسِمًا مُحتسِيًا خمرته... وآخَرُ يتراقصُ ببدنهِ حول المنصة وقد أفقدتهُ الخمرُ عقله. كان العددُ في المرقص كبيرًا جدًّا، وخفقَ قلبي مثلَ كل مرة... أرجو ألّا تطلُبَ مني (ديفِن) الانضمامَ لهن.

"(دورا)"

تسارعتْ دقاتُ قلبي، وتيقنتُ أني سأخرُجُ على المنصة.

"نحتاجُكِ هناك لبعض الوقت... أنا آسفة"

قالتْ وهي تنظُرُ لعينيَّ بلُطفٍ وحُزن، رُغمَ أنها قريبةٌ من عمري إلا أنها تُشعِرُني بحنيَّةٍ لا مثيل لها.

أومأتُ برأسي مُستسلِمَةً... وجلستُ على أقربِ تسريحةٍ لأضعَ مساحيقَ التجميل.

"دعيني أُساعِدكِ... لن نحتاجَ للكثير"

قالتْ وهي تقومُ وتتجهُ نحوي، بلكنتِها الإسبانيَّةِ المميزة.

بدأتْ بتزيين وجهي سريعًا، وأنا أحاوِلُ إشغالَ تفكيري بشيءٍ آخر... بهمٍّ آخر إن صحَّ التعبير!

"(ديفِن)!... (ديفِن)!"

سمعنا صوتَ صراخٍ قادمٍ من الخلف، تبِعَهُ طَرَقاتٌ عنيفَةٌ على الباب... التفتنا في الوقتِ ذاتِهِ للباب.

**"قادمة!"**

صرختْ (ديفِن) بالإسبانية، كانتْ تلكَ إحدَى الكلماتِ القليلةِ التي فهمتُ معناها.

اتجهتْ نحوَ الباب... وتبِعتُها وقد اعتراني الفضول.

آاااه عرفتُ صاحبَ الصوت، وكيفَ أنسى صراخَهُ بالذات؟ هذا هو المعتوهُ صاحِبُ الملهى... (جريجوري)! لطالما صرخَ علينا ووبخنا رُغمَ عمَلِنا الجاد، وكم أمطرنا بشتائمه القذرة! دائمًا ما تأخذُ (ديفِن) اللومَ نيابةً عنا، وتضطرُّ لسماعِ أنواعِ الشتائم والسِّبابِ المختلفة... ما أحلمها وأصبرها! هذا الوغدُ لا يأتي إلا ومعه المصائب... ماذا يريدُ الآن؟!

فتحنا لهُ البابَ، ووَقَفَ على ناصِيتِه دون أن يدخُل... مُرتديًا جينزًا بحمّالاتٍ على قميصه الأبيض... وشارِبُهُ الطويلُ المقززُ مُستقِرٌّ فوقَ فمه.

"جيد، كلتاكما هنا، اذهبا إلى غرفة 3... أحدُ الأعضاء الماسيين طلبكما لليلةٍ خاصة"

قال وكادَ ينصرِفُ، لولا أن جملةَ (ديفِن) استوقَفَته:

"سأُنادي (مانهوري) و(روزا) حالًا"

**"قُلتُ لقد طلبكما بالاسم... اذهبا أنتما فورًا!"**

انفعلَ اللعينُ صارِخًا، لترتعِدَ فرائصي.

أغمضَتْ (ديفِن) عينيها بقوة، وتنهدتْ بعُمق... في محاولَةٍ مُستميتَةٍ لتتحكمَ بأعصابها.

"ولكن اتفاقنا في العقدِ أن أضعَ مساحيقَ التجميلِ وأرقُصَ فقط! لم أوافق على..."

"اعتبريهِ ملغًى إذًا! إما أن تذهبا إلى الغرفة 3... أو اعتبرا أنفسكما مفصولتين"

قاطعني عابسًا، مستديرًا ليخرُجَ من غرفةِ التجهيزات.

أثار غضبي ودمي يفور، ونطقتُ بانفعال:

"لا يصدق! ما هذا الـ.."

"شششششش، لا تقلقي... سأتصرف معه"

قاطعَتْني (ديفِن)، مُمسِكَةً يدي وهي تومِئُ برأسِها.

لحِقَتهُ مغادرةً الغرفة، وعقدتُ ذراعيَّ والشرر يتطايَرُ من عيني... وحُقَّ لي أن أغضب! ما هذا الهُراء؟ تجهيزُ راقِصاتٍ ورضيتُ به، رقصٌ بلباسٍ خليع وتحمَّلتُه، نظراتٌ مقززةٌ حيوانيةٌ من رُوَّادِ الملهى وتغاضيتُ عنها... أما ممارسةُ البغاء فهيهات! هُنا نرسم الخط، وليذهب هو وملهاهُ الليلي للجحيم! الليالي الخاصة في الملهى تعني قضاءَ ليلةٍ مع الزبون، وتسليتَهُ كما أراد... وغالِبًا ما تنتهي بممارسة العُهر. ويريدني أنا و(ديفِن) أن نقوم بها؟ خصوصًا (ديفِن)

التي تعتبر مديرة، كيف يطلُبُ منها طلبًا كهذا؟ لم يحصُل هذا من قبل... من هذا الزبون الذي طلبنا؟ خروجي نادر على منصة الرقص... ولم أرَ (ديفِن) ترقُصُ عليها منذُ انضممت لهذه الوظيفة.

كنتُ أدورُ في الغرفة بتوترٍ وحنق، ويدايَ معقودَتانِ خلفَ ظهري... والموسيقى الصاخبةُ تشتَعِلُ خلفَ الستار. كيفَ سأجد وظيفةً أخرى إن طُرِدتُ من هذه؟ بسيطة... ما أكثرَ الملاهي الليلية! لم يعُد يشكل المسمى الوظيفي أي فارقٍ بالنسبة لي، راقصة... فتاة ليل... فتاة تَسلية... فلقمةُ العيشِ صعبة. وفي حالتي، نوعُ الوظائفِ هذا هو الوحيدُ الذي أُقبَلُ فيه ورواتبُه عالية... ولا يتطلَّبُ أدنى خبرة.

**"تبًّا لكَ ولتجارَتِكَ الرخيصة!"**

دخلتْ (ديفِن) وهي تصرُخُ، رافِعَةً إصبَعَها الأوسط. نطقتْ بكلماتٍ إسبانيَّةٍ فهمتُ قليلًا منها فقط، كانت شتائمَ من العيارِ الثَّقيل... واعتقدتُ أن بقيةَ الكلماتِ شتائمُ كالتي سبقَتها.

وجهُهَا قد احمرَّ رُغمَ سُمرَتِه، وعِرقُ جبينِها -والذي أراهُ لأول مرة- كانَ بارِزًا... لأوَّلِ مرَّةٍ أراها تغضبُ هكذا... لأوَّلِ مرَّةٍ أراها تغضبُ أصلًا! وعلى من؟ على الأجرب الذي لطالما كانت حليمةً في التعاملِ معه! اتجهتْ لغرفتنا بسرعة، ولحِقتُها وكلي جهلٌ بخطوتي القادمة.

"فعلتُ كُلَّ شيءٍ من أجله... **كلَّ شيء!** تحمّلتُ صرخاته وانفعالاتِهِ غيرِ المبررة... أدرتُ له مرقَصَهُ الفاشِلَ وحولتُهُ لأنجح مرقصٍ في المنطقة، ويطلبُ مني الآن مداعبَةَ أحد زبائنه! خدمةُ خمسِ سنواتٍ يضرِبُ بها عرضَ الحائط... **خمسِ سنوات!**"

رفعتْ صوتَها في الجزءِ الأخيرِ وكأنها أرادتْ إسماعه. أخرَجَتْ حقيبةً حمراءَ بعجلاتٍ وفَتَحتْها، وبدأتْ بتفريغِ ملابسِها من الدولاب للحقيبة. لا مجال للشك، أبى الخنزيرُ إلا أن نذهبَ للغرفة 3... أو يقومَ بفصلِنا.

"إن أردتِ تدنيسَ نفسك والقبولَ بالليلة الخاصة فامضِي قُدُمًا، أما أنا فسأُغادِرُ للعملِ مع صديقي!"

قالت وهي تحشو حقيبتها بأنواع الملابس المختلفة، دون ترتيب.

لم أكُن لأرضى بالليلة الخاصة بالطبع، لكن تبقى السؤالُ المُحيِّر.. ماذا سأعملُ بحق؟! ارتميتُ على السريرِ بصمتٍ وقد يئستُ من حياةِ الفقرِ والبحثِ عن المال، وأغمضتُ عيني سابِحَةً في خيالي.

"لستِ مضطرةً للعملِ هنا لعلمك! أستطيعُ أن أجِدَ لكِ وظيفةً عندَ صديقي أيضًا إن أردتِ"

رفعتُ جسمي وفتحتُ عيني... لأراها تُغلِقُ حقيبَتَها الحمراء، وتُخرِجُ حقيبةً أُخرى سوداء... لتبدأ بحشوِها دون أن تنتظِرَ ثانيةً واحدة.

"حقًّا؟ هذا سيكون معروفًا لن أنساهُ لكِ ما حييت! لكِن ما نوعِ الوظيفةِ التي سأعملُ فيها عند صديقك؟ هل يمتلِكُ متجراً أم ماذا؟"

سألتُها وأنا أقترِبُ منها، لأجلس بجانبها.

"مندوباتُ توصيل، نأخذُ طلباتِ الزبائنِ من المستودع ونوصلها لهم"

"فقط؟ هل تعتقدين أن الراتبَ سيكونُ مُجزِيًا؟"

"نعم، ستكون تلك هي وظائفَنا فقط... والراتِبُ مُقارِبٌ لهذا مع توفيرِ السكنِ والوجباتِ أيضًا"

ماذا؟! 2500 دينارِ ذهب وسكنٌ وضمانُ وجبات اليوم... فقط لتوصيل طلباتِ الزبائن؟!

"يا إلهي! هل أنتِ جادة؟!"

اكتفت بالإيماءِ برأسِها... وهي توضِّبُ حقائبها... عاقِدَةً العزمَ على الرحيل. بدتْ جادَّةً في كلامِها غيرِ المعقول البتة، كيف لمندوبِ توصيلٍ أن يحصُلَ على كل هذه المزايا؟!

"هل لي أن أسألَكِ عن شيءٍ دون أن تغضبي مني؟"

سألتُها بهدوء، وقد امتلأتُ رُعبًا منها بعد أن رأيتُ وجهها الآخرَ اليوم! ومن يلومُها على غضبِها؟

"اسألي... لا تخافي"

"إن كانتِ الوظيفَةُ بتلك المزايا التي ذكرتِها، فلِمَ تكبَّدتِ عناءَ العملِ هُنا؟ لِمَ لم تعملي عند صديقكِ من البداية؟"

سألتُها وأنا أنظرُ لملامحِ وجهِها، لأرى إذا ما كانت ستتغير.

"سأخبرُكِ لاحِقًا... هل أنتِ معي أم لا؟"

سألتني وهي تقومُ من مكانها... لتأخُذَ أغراضَها المتفرِّقَةَ في أرجاء الغرفة.

"معكِ معكِ"

لم أُعطِ الموضوعَ الكثيرَ من التفكير، فليسَ لديَّ شيءٌ أخسَرُه! سأجرِّبُ العملَ هناك، وإن لم يعجبني فسأستقيل.

"وضِّبي حقائبَكِ سريعًا، فلا أريدُ تصعيبَ الموضوعِ أكثر بوداعِ الفتيات!"

بدأتُ بجمعِ أغراضي وملابسي، لأضعَها في الحقيبةِ ذاتِها التي خرجتُ بها من (الجزيرة المجهولة). لم يعُدِ الفراقُ والتنقل صعبَينِ عليَّ بعد كل ما واجهت، بدءًا بخروجي مع أخواتي من المسرح نافذاتٍ بجلودنا... مرورًا بالمحطّاتِ المتعدِّدَةِ في طائراتٍ وعبَّاراتٍ وسيَّارات... وانتهاءً بفصلي من المرقص وخروجي مع صديقتي المقربةِ بل الوحيدةِ في (الأسوأ) كله... لوظيفةٍ لفَّها الغموضُ وأحاطَتْ بها الريبة!

***

"انتظريني هنا"

قالتْ (ديفِن) وهي تغادِرُ السيَّارة.

تابعتُها بنَظَري وهي تقترِبُ من المنزلِ الأزرقِ الذي توقفنا عنده، اتَّسَمَ بالبساطَةِ والأناقَةِ معًا. حديقَتُهُ الأماميَّةُ امتلأتْ بمُختَلَفِ أنواعِ الزهور، والشُّجَيراتُ حولَها قد قُصَّتْ باحترافيَّةٍ وذوق.

وقفتْ عند بابِ المنزلِ، بتُّورَتِها القصيرةِ وقميصِها العاري البطن... لتَضغطَ على زرِّ الجرس وهي تتلفَّتُ يمنةً ويسرةً بقلقٍ واضح. هل هو منزِلُ صديقِها الذي سنعملُ عنده؟ لحظات وفُتِحَ الباب، وظهرَ رجلٌ أسمرُ بدينٌ في منتصفِ العمر... عاري الصدر بسرواله الداخلي. كل شيءٍ فيهِ كان مُخيفًا، وجهُهُ حليقُ اللحيةِ والشاربِ امتلأَ بالنَّدبات... عبوسُهُ لم يغادِرْ مُحيَّاه... صدرُهُ العاري غطَّاهُ الشَّعرُ بغزارةٍ وكأنه ذئب... وكرشُهُ الكبيرُ جعلني أشعرُ أنه حامل لوهلة.

كيفَ لإنسانةٍ لطيفةٍ مثل (ديفِن) أن تُصادِقَ شخصًا مثلَ هذا؟! لم يتعِبْ نفسَهُ حتى لتغطيةِ صدرِهِ بروبٍ أو قميص!

لم يرتَحْ لهُ قلبي البتة... هل استعجلتُ حين تبِعتُ (ديفِن) إلى هُنا على عمى؟ تبسَّمَ نصفَ ابتسامَةٍ حين رآها، وصافَحَتْهُ بحرارةٍ وهي تُبادِلُهُ الابتسامة. وقفا يتحدثان بضع لحظات، قبلَ أن يُناوِلَها حقيبةً معدنيَّة صغيرة فضيَّة. لوَّحتْ لهُ بيدِها وهي تتجِهُ نحوَ السيارة، لتلتقي عيني بعينِهِ

ويلاحِظَ وجودي... وأقسِمُ أن نظرَتَهُ حوت الكثيرَ من الوعيد والتهديد! فتحتْ بابَ السيارةِ الخلفي ووضعتِ الحقيبةَ... ثم ركبتْ وتحركنا فورًا.

"هل هذا هو صديقك؟"

سألتُها باستغراب، مُقطِّبَةً حاجبي.

انفجرتْ (ديفن) ضاحِكَةً ثم قالت:

"هل أفزَعَكِ منظَرُه؟ لا تقلقي لا تقلقي، هذا أحدُ مساعديه... لا تحكُمي عليه بمظهَرِه فبمجرد أن تتعرفي عليه ستحبينه جدًّا!"

أجبرتْني ضحكتُها على الضحك، وقُلتُ وأنا أعدِّلُ جلستي على المقعد:

"لا أعتقد هذا بصراحة"

"المهم، هذه الشنطة هي أول شحنةٍ نقومُ بتوصيلِها... وبعدها سنذهبُ للسكن"

"أوه... سنبدأُ من الليلة؟! في هذه الساعة المتأخرة؟!"

"همممم، نسيتُ إخبارَكِ أن دوامَنا سيكونُ مسائيًّا... يبدأُ من الساعةِ العاشرةِ مساءً حتى الثالثةِ فجرًا"

"ماذا؟ ما هذا المتجرُ الذي يستقبِلُ الطلباتِ بعدَ منتصفِ الليل؟ ويوفر خدمة التوصيلِ أيضًا!"

قلتُ بتعجُّب، ناظِرَةً لها... مُقطِّبَةً حاجبي.

"هدّئي من روعِكِ يا (دورا)، لِمَ أنتِ خائفة؟ الكثيرُ من المتاجر هُنا تعملُ بعد منتصف الليل... كالصيدلياتِ وبعضِ التموينات والمطاعِمِ وغيرِها"

قالتْ وهي تُمسِكُ يدي باحتواء، متبسّمَةً وعينُها على الطريق... كم كان أُسلوبُها ساحِرًا في الإقناعِ والطمأنة!

"وأما بالنسبَةِ لنشاطِ المتجرِ فهو في الأدويةِ ومستحضراتِ التجميل، شبه صيدلية"

أكملتْ قبلَ أنْ أسألها... نعم... هذا منطقِيٌّ ومعقول. آهٍ كم كانتْ حليمةً هذه الفتاة، لم ترفَعْ صوتَها عليَّ حتى أو تتذمر من أسئلتي الكثيرة... على الرغم مما حدثَ لها اليوم. لم أعلمْ كيفَ استطعْنا التمَلُّصَ من المرقصِ قبل أن ترانا إحدى الفتيات، وضَّبْنا حقائبَنا سريعًا وخرجْنا بخفَّةٍ وحَذَر.

تنهّدتُ بعُمقٍ وأسندتُ رأسي للمقعد، مُغمِضَةً عيني. كم احتجتُ لحمَّامٍ دافِئٍ أُصَفِّي بهِ ذِهْني، ثُمَّ نومٍ طويلٍ على سريرٍ مخمَلِيّ مُريح!

"أرجوكِ أخبريني أن السكن سيكونُ أفضلَ من المرقص، كم كرهتُ ضخَّ المياهِ الضعيف في المرقص!"

قلتُ وعيناي مُغمضتان.

"أهذا كل ما يهمكِ في السكن، الحمام؟"

قالت وهي تقهقه... صافِعَةً فخذي بلُطف.

أومأتُ برأسي وأنا أضحكُ كالمجانين... بعينيَ المُغمَضتَين.

"لا تقلقي، أرأيتِ المنزلَ الذي أخذنا منهُ الحقيبة؟ سنسكُنُ في منزلٍ مُشابِهٍ له، بحجمه ومستواه"

"منزلٌ كاملٌ لنا وحدَنا؟!"

سألتُها باستغراب، فاتِحَةً عيني من الدهشة... مُقدِّمَةً ظهري للأمام.

"قلتُ لكِ لا تقلقي... سنحظى في هذه الوظيفةِ بما لم نحلُم بهِ من قبل!"

غيرُ معقول! كيف لمندوباتِ توصيلٍ في صيدلية الحصولُ على هذا الكم الهائلِ من المزايا؟!

"صُدِمتْ (دورا)... على رسلك على رسلك"

أكملتْ وهي تضعُ يدها على صدري، مُطَبطِبَةً عليه... ضاحِكَةً بشدة.

"يا إلهي، كيف سمحتْ لكِ نفسُكِ أن تتركي هذه الوظيفةَ لتعملي في مرقص؟!"

توقفتْ عن الضحكِ فجأة، وقد أصبحتْ ملامحُها جديةً تمامًا... مُمسِكَةً المِقود بكلتا يديها. أخذتْ نفسًا عميقًا نمَّ عن مشاعر دفينة، وكأني حركتُ المشاعر في قلبها بسؤالي ذاك... قبل أن تقول:

"لم أُخبِر أحدًا بما حدث، وأنتِ أولُ من سيعلمُ لأني أثقُ

بكِ ولأنكِ صديقتي المقربة"

غمرَ كلامُها قلبي بالسعادة والفرح، ومن لا يفرَحُ حينَ يُخبِرُهُ صديقُهُ المُقرَّب بأنَّهُ صديقُهُ المقرَّبُ أيضًا؟

"عمِلتُ مع صديقي (فيميوس) -والذي أعرفُهُ منذ الطفولة- لمدة ثمانِي سنوات... منذُ أنْ بلغتُ العشرين. عمِلتُ معهُ حسبَ الحاجة، تارةً في صندوق البيع، وتارةً في خدمة العملاء، وتارةً كمندوبةِ توصيلٍ وغيرِها"

توقفتْ قليلًا لتجمَعَ أنفاسَها... حديثُها قد شدَّني جدًّا وأصغيتُ بتركيز.

"ثم قامَ (فيميوس) بعدها بخيانتي، لا أستطيعُ أن..."

قاطعتْ حديثَها سيارة الدفع الرباعي السوداء التي انتقلتْ لمسارِنا فجأة... ضغطتْ (ديفِن) على المكابِح بكل قوتها ليرتطِمَ رأسي بالمنضدة الأمامية. سمِعتُ صوتَ بوقِ سيارةٍ بعدها، ورفعتُ رأسي بتثاقُلٍ وتأوُّه وأنا أُمسِكُهُ بكلتا يدي... لأرى أنا قد التصقنا بسيارةِ الدفع الرباعي. استمرَّتْ (ديفِن) بالضَّغطِ على بوق السيارة حتى أصمَّتْ آذاننا... وكادَ المِقوَدُ يُخلَعُ من مكانه.

"أيها العاهِرُ اللعين!"

صرختْ (ديفِن) بالإسبانية، وأتبعتْها بكلامٍ لم أفهمه... ويدها لا تزالُ ضاغِطَةً على البوق بعُنف.

الحمد لله! تفادَينا الاصطدامَ بذاك الأحمق، بعدَ أن تسبَّبَ

لي بكدمةٍ على الرأس! توقفتْ عن ضغطِ بوقِ السيارةِ المُزعِج، وعُدنا للتحرك بهدوء.

"هل أنتِ بخير؟"

سألتْ (ديفِن) باهتمامٍ وقلق، وأنفاسُها تتقطَّعُ ناظِرةً إلي.

"بخير بخير، فقط كدمةٌ خفيفةٌ على الرأس"

أجبتُها وأنا أتعدَّلُ في مقعدي، رابِطَةً حزامَ الأمان... ليبدأ الصداعُ الأليمُ بعدَها باللعبِ برأسي.

تأوَّهتُ مُمسِكَةً رأسي، منحَنِيَةً إلى الأمام... وقد سيطرَ الصداعُ على رأسي بأكمله.

"دعيني أرَ"

قالتْ (ديفِن)، مُبعِدةً يدي عن رأسي.

"لا وجود لأثر كدمةٍ أو دمٍ لحُسنِ الحظ... ما الذي تشعُرين به؟"

"فقط ركزي على الطريقِ أرجوكِ! صداعٌ وحسب، فلننتهِ من هذه الشحنة ولنذهب للمنزل"

تحدثتُ معها بفظاظةٍ لأولِ مرةٍ في حياتي، ومن يلومُني وصداعُ الجحيمِ ذاك قد غزا رأسي بأكمله؟!

"حسنًا حسنًا، قد اقتربنا من المكان جدًّا... وسأجلِبُ لكِ مُسكِّنًا في طريقنا للمنزل"

توقعتُها أن تُبادِلَني الفظاظة... لكنها كانتْ أعقلَ وألطفَ مني.

أسندتُ رأسي مُجددًا وأنا أضغطُهُ بقوة... آملةً أن أُخفِّفَ من شدة الصداع.

شعرتُ بالسيارةِ تتوقفُ شيئًا فشيئًا، وفتحتُ نصفَ عيني لأنظُرَ عبرَ نافِذَتِي للنافورةِ الصغيرةِ البعيدَةِ على الرصيف. وسرعانَ ما عدتُ لإغماضِ عيني والضغطِ على رأسي... لم أهتم بأي شيءٍ إلا التمدد على السرير والنوم بعد تناوُلِ المُسكِّن... نسيتُ حتى قصتها التي لم تُكمِلها من الأوجاع!

"سأسلِّمُ الشحنةَ وأعودُ سريعًا... لن أتأخر"

قالتْ وهي تغادِرُ السيارةَ وتُغلِقُ بابَها بقوة... ليرِنَّ في أذني بل في رأسي كله. أخذت الحقيبةَ الفضية من الخلفِ وابتعدتْ... ليخطرَ بعدها سؤالٌ مهم في ذهني رُغمَ تصدع رأسي. أي صَيدليةٍ تلكَ التي توصلُ لزبائنها الأدويةَ أو مستحضراتِ التجميلِ في حقيبةٍ معدنية؟! فتحتُ عينيَّ على مصاريعِهما غيرَ مُبالِيَةٍ بآلام الصداع اللعينة، ونظرتُ لـ (ديفِن) عبرَ نافذتي لأراها تقترِبُ من النافورة... وهي تلتَّفتُ حولَها بريبة. جلستْ على كُرسيٍّ استقرَّ أمامَ النَّافورة وهي تَضَعُ الحقيبةَ بجانِبِها، وأنا أُحاوِلُ جاهِدَةً إيجادَ إجابةٍ منطقيةٍ لسؤالي.

اقترَبَ من الكرسي رجلٌ لم أستطِع تمييزَ ملامِحِه... نظرًا لبُعدِ المسافة والصداع الذي أجبرني على إغماض عيني

بين الحين والآخر. فقط لباسُهُ العادي المكون من بنطالٍ وقميص... هو الذي استطعتُ تمييزَه.

وَضَعَ حقيبةً معدنيةً أخرى مُطابِقَةً تمامًا وأخذَ التي بجانبِ (ديفِن)، وتحركَ بعيدًا دون أن يتكلما بكلمة! تذكرتُ حين أعطاني الرجلُ الغريبُ الملثَّمُ حقيبةَ الأموال... التي سُرِقَت مني بعد ذلك. انتظرتْ (ديفِن) قليلًا ثم توجهتْ نحو السيارة، بجديةٍ وسرعة.

ما هكذا يتمُّ توصيلُ الأدويةِ أو مُستحضراتِ التجميلِ يا (ديفِن)! من المستحيلِ أن تحوي الحقيبةُ التي سلمناها أدويةً أو مستحضراتِ تجميل، ما حوَتهُ تِلكَ الحقيبَةُ كان مُخالِفًا للقانون لا محالة! مخدراتٌ ربما أو أسلحة... من يدري؟!

حسنًا (آليكس)، لطالما تصرفتِ بحماقَةٍ فِي (الأسوأ) ... وقد آن الأوانُ لذلك كله أن ينتهي! لن أُخدَعَ بطيبَةِ (ديفِن) الزائفة... كما خُدِعتُ بـ (جيب) من قبل، لن أُلدَغَ من الجُحرِ ذاتِهِ مرتين. سأتظاهَرُ بالغباءِ والجهلِ في الوقتِ الراهِن... وكأني لا أزالُ أعتقِدُ أني مندوبةُ توصيلٍ، إلى أن أفكر في خطةٍ ذكيةٍ للهروب.

مدينة (كولومبا)، دولة (كوتشينو)

فبراير، 2019

# الفصل الثامن والخمسون

## المتحدثة: (آفا)

قمرٌ مُكتمِل... حامتْ حولَهُ الغيومُ الكثيفة. مئاتُ النجومِ ملأت السماء إشعاعًا وزيَّنتها. نسيمٌ خفيفٌ مُعتَدِل، تخلَّلَ تيشيرتي الأزرق. خلتِ الغابةُ لجداجد الليلِ والضفادع، ليُطلِقُوا ما شاؤوا من ضجيجٍ فيها... دون خوفٍ من البشر العابثين. آلافُ الأفكارِ والخواطرِ تدورُ في ذهني، وكأن قلبي وعقلي يشكُوانِ للسماء. ما أصبَرَكَ يا قلبي وأحلَمَك، وما أذكاكَ يا عقلي وأعدَلَك... فالذي واجهتماهُ في هذه الحياةِ يتساقط أمامه أعتى البشر.

نفختْ (آليس) فجأةً دُخان سيجارتِها في وجهي... قاطِعَةً حبلَ أفكاري والخواطر.

"من هذا الحبيب الذي أخذَ تفكيركِ بعيدًا؟"

سألتني وهي تُحوِّلُ بصَرَها إلى السماء... ضاحِكَةً بخفة.

كانتْ مُستلقِيَةً بجواري على حافة الجبل، لنتأملَ السماءَ ونجومَها تارةً... والمُنحدَرَ المُظلِمَ تحتنا تارةً أخرى.

وكزتُها بكوعي وأنا أتبسَّمُ قائِلَةً:

"أوكلما انشغلتْ فتاةٌ بالتفكير... وجبَ أن يكونَ عن الحُب؟"

آهٍ ثم آهٍ آه... ليتني أستطيعُ إخبارك عن المستور! لو

علمتِ لما جلستِ معي دقيقةً واحدة، أنا تلك المطلوبة (آفا) ابنةُ (فيوليت)... والتي يشق (الأسمى) والعالمُ بأسرِهِ الأرضَ بحثًا عنها!

"ليسَ الفتياتُ فقط بل حتى الشباب، فعندما يهوى القلبُ ويورِّط الإنسان... يظلُّ يفكر يومَهُ كله في حالِ محبوبِه و..."

"حسنًا حسنًا... أهذا الذي تُدخِّنينَهُ سيجارةٌ أم حشيش؟ ما هذه الهرطقة؟!"

قاطعتُها وأنا أضحك، ناظِرَةً إليها وهي تستمتِعُ بشفطِ سيجارتِها أيَّما استمتاع.

"أتهزَئينَ بحكمتي يا مخرومَةَ السُّرَّة؟"

انفجرتُ ضاحِكَةً بعد جُملتِها تلك وتبِعَتني هي... حتى خشيتُ أن نسقُطَ كلتانا عن الجبلِ من شدة الضحك!

"تقولينَ ذلكَ غيرةً مني... كل من رأى قرطَ سُرَّتي أبدى إعجابَه!"

"تقصدينَ أنهُم أبدَوا استغرابَهُم"

ردَّتْ بسُخرية وهي تُطفِئُ سيجارتَها على الأرض، والوحمةُ الكبيرة على يدِها ميَّزَتْها عن غيرها.

"ما أفهَمَكِ بالموضة والذوقِ يا شمطاء؟"

"صحيحٌ أني عجوزٌ شمطاء... لكن صحتي أفضلُ منكِ

بكثير..."

توقفنا عنِ الضحكِ والمزاح فقد سمِعنا ما أرعَبَنا! نظرتُ لها بعيون فُتِحَتْ على مَصاريعِها، لتبادِلَني النظرة ذاتها. كانتْ أولَ مرةٍ أسمَعُ فيها صوتَهُ على الواقع... ولطالما سمعته في التلفاز.

عواءٌ طويلٌ قاطَعَ مُحادثَتَنا... وكأنهُ يهددنا وينذرنا!

" هيا هيا... لا بقاءَ لي هُنا وقد اكتفيتُ من التحديقِ بالنجوم!"

قلتُ واقِفَةً من مكاني... مُنتَعِلَةً حذائي على عجل.

"سمعتِ الصوتَ من الخلف... أليسَ كذلك؟ لم يكُن من الوادي"

سألتْني بقلق وهي تقوم، ليظهَرَ مِعطَفُها الأسودُ الذي غطَّاها للركبتَين... تُشعِرُني بالحر كلما رأيتها.

"هذا المرعب في الأمر... كان الصوتُ قادِمًا من ورائنا!"

أجبتُ وأنا أُرجِعُ بقايا الطعامِ الذي أحضرناه في السلة... غيرَ مُبالِيَةٍ بترتيبٍ أو تنظيم.

أعادَ الذئبُ تهديدَهُ لنا بعوائهِ المُفزِع، لينضم له ذئبٌ ثانٍ! لم ننطق بحرفٍ بعد ذلك، جمعنا أغراضَ التنزُّهِ في صمتٍ وعَجَل... واتجهنا نحوَ سيارة (آليس) الحمراء بالقرب منا. وضعتُ سلةَ الطعامِ في المقعد الخلفي، ورمتْ هي بساطَ التنزُّهِ بجانبها... وسُرعانَ ما استقرَّت كلٌّ منا في مقعدها.

"هل رأيتِ ذئبًا من قبل في حياتك؟"

سألتُها رابِطَةً حزامَ الأمان، متفقّدةً المنطقةَ حولنا عبر النوافذ.

"لا، ولا أريد أن أرى... وستكون هذه آخرَ مرةٍ أزور فيها الغابة!"

قالتْ بضحكٍ انتابَهُ توتر، وهي تُشغّلُ المحرك. لم تُخفِ قلقَها وخوفَها، وحتى إن حاولت فسيكونانِ باديَينِ على عينيها العسليتين.

تحركتْ مباشَرَةً بالسيارةِ وهي ترتَج، بسبب الصخورِ الصغيرةِ التي ملأتِ الطريقَ العُشبي. عوى الذئبُ مُعطيًا إيانا تهديدَهُ الثالث، بل عوتِ الذئابُ بالأصح... فقد تكاثروا بحلول تلكَ اللحظة وتداخلَ عواؤهم! لم أعُد أميِّزُ مصدرَ الصوت، أهو من الخلفِ أو الأمام... أهو قريبٌ أم بعيد! سلكْنا دربَ النزولِ من الجبلِ أخيرًا، وكان على (آليس) التمهل آنذاك... وإلا فستنقلِبُ السيارة.

الدربُ مُظلِمٌ إلا من أضواءِ السيارة... ضيقٌ بالكادِ تمشي فيهِ سيارةٌ واحدة... وعرٌ ترتجُّ السيارةُ بالكامِلِ حين السيرِ فيه... مُنحَدِرٌ عليكَ أن تنزله ورِجلُكَ على المكابح!

نزلنا ببُطءٍ شديدٍ وحَذَر، ولم تنطِقْ إحدَانا بكلمة... فالخوفُ قد اعترانا رُغمَ أنا في مأمنٍ الآن من الذئاب.

شعرتُ بزيادةِ السرعة فجأة... زيادة غير طبيعية! نظرتُ

لـ (آليس) لأجِدَها تهتز مع اهتزازِ السيارة دون مقاومة، ورأسُها مُسنَدٌ إلى المقعد!

"(آليس)! (آليس)!"

بدأتُ بهزِّها بعُنفٍ والسيارةُ في انحدار، دققتُ النظَرَ فيها لأجِدَ عينيها مُغمَضتَينِ! اللعنة اللعنة اللعنة... كيفَ نامتْ هذه الغبية؟! صفعتُها بعُنف... لكن لا فائدة... كانتْ تغط في نومٍ عميق. ما الذي حدث؟ لم تكُن ناعِسَةً أبدًا!

عليَّ أنْ أتصرفَ بسُرعَةٍ وإلا انقلبتِ السيارة أو ارتطمنا! رفعتُ جسدي ومددتُ رجلي اليُسرى لأدوسَ بعُنفٍ على المكابح. أمسكتُ بالمقودِ بيدي اليُمنى في اللحظةِ المُناسِبَة، لأوجِّهَ السيارةَ لليمين قبل الارتطام بالصخور!

بدأتْ سُرعةُ السيارةِ بالنزولِ تدريجيًّا، وقلبي ينبِضُ بعُنفٍ في أرجاء جسدي. استمرتْ قدمي بالضغطِ على المكابح حتى توقفت السيارةُ تمامًا، لأتنهَّدَ بعُمقٍ مُغمِضَةً عيني بعد أن واجهتُ الموت... أُقسِمُ أن شريطَ حياتي مرَّ أمامي في تلك اللحظات!

حسنًا... ما الحل الآن؟! أنا لا أعرِفُ القيادة، و(آليس) قد فقدت الوعيَ تمامًا!

نظرتُ إليها ورائي لأجِدَها تغطُّ في سُباتٍ عميق، وقد مال رأسُها لليمين ولُعابُها يسيلُ من فمها.

حسنًا، لن أظلَّ في هذه الوضعيَّةِ مادَّةً ساقي اليُسرى على

المكابح... وساقي اليُمنى في مقعدي بينما جسدي في الهواء! كيف كانتْ تحوِّلُ (آليس) السيَّارةَ لوضع الوقوفِ... دونَ الحاجة لضغط المكابح؟ كانتْ تُعلِّمني الأساسيَّات بين الحين والآخر، وقد اعتدتُ رؤيتَها وملاحظتَها. نظرتُ تحتي لأرى العصا التي كانت تحركها كل مرةٍ حين الوقوف وحين التحرك، هممم... أعتقِدُ أنها كانتْ تضعُ العصا على حرف (P). لنجرب... حركتُها للأمامِ لكنها أبت أن تتحرك! آه... ليتني أعرتُ كلامَها مزيدَ اهتمام!

"(آليييييس)!"

صرختُ بأعلى صوتي، علها تستيقِظ... لا فائدة! صرختُ مرةً أخرى، ناظِرةً إليها وجسدي معلَّقٌ بين السماءِ والأرض... كالمجانين. بعدَ تلك الصرخة القوية... أيقنتُ أنَّها لن تقوم.

أعيا الوقوفُ عظامي، وبدأ جسدي بالتَّعب... عليَّ أن أتصرَّفَ بسُرعة. نظرتُ لعصا التوقُّفِ تحتي، وهممتُ بشدِّها بأقوى ما أملك... لولا أنِّي لاحظتُ الزرَّ على مُقدِّمتِه. تذكَّرتُ الآن! سحبتُ العصا لحرف (P) ضاغِطَةً الزرَّ في الوقت ذاته... وتحرَّكت. رفعتُ رجلي من على المكابح قليلًا، لأشعُرَ بثباتِ السيَّارة... حمدًا لله!

ارتميتُ على مقعدي لاهِثَةً، والعرقُ قد تصبَّبَ على جبيني وتحتَ إبطي... مُغمِضَةً عيني بعد الإنجازِ الذي قمتُ به.

لحظة... كيفَ لم تخطُر هذه الفكرة ببالي؟ الاتصالُ على النجدة! أخرجتُ جوّالَ (آليس) من جيبِ معطَفِها، وفتحتُهُ باستبشار... لكنَّ فرحتي لم تَتِم. حاولتُ فتحه دونَ استجابة، لتَظهَرَ علامةُ نفاد البطارية. قذفتُ بالجوالِ على الأرضِ... دائمًا ما يكونُ جوّالُكِ مشحونًا بالكامل يا (آليس)! الآن ونحنُ نحتاجهُ بشدة نجِدُهُ خاليَ الشحن!

أسندتُ رأسي على النافذة بيأس، وقد تقطعتْ بيَ السبُلُ إلا من انتظارِ (آليس) لتصحو... ماذا لو كانتْ مريضَةً وتحتاجُ المُستشفى؟!

تحرك بي حِسُّ المُخاطَرَة، لا سيما بعد أن وضعتُ السيارةَ في وضع الوقوف... شاعِرَةً بالاحتراف. سأقودُ السيارةَ فقط إلى أن نصِلَ لطريقٍ مأهول... بدلًا من الانتظارِ في هذه الغابَةِ النائيةِ. عليَّ أن أنقُلَ (آليس) أولًا لمقعَدِي، لأقودَ بتركيزٍ وراحة.

لم أُضيع ثانِيَةً واحدة، خرجتُ من السيارةِ -تارِكَةً بابِي مفتوحًا- وتوجهتُ لبابِها... لأشعُرَ بالهواءِ وقد ازدادَ برودةً وشدة. مشيتُ على الأرضِ الترابيةِ الوعِرةِ المنحدرة، حاثَّةً الخُطا لمقعدها. فتحتُ البابَ وزفرتُ بعُمق، يا لجُرأتي وتهوري... عليَّ أن أحمِلَها الآن لمقعدي. وضعتُ يدًا تحتَ رجلَيها ويدًا تحتَ رقبتها، حتى أحمِلَها كالأطفالِ تمامًا.

الرياحُ تشتد... القلقُ للنخاع... وثقلُ (آليس) يكسِرُ العظام! إلهي، كم كانتْ ثقيلة... ضعفَ وزني تقريبًا. لم

أعلم كيف استطعتُ حملَها، هرمون (الأدرنالين(5)) قد أظهرَ مدى فعاليته تلك الليلة! بدأتُ بالمشي على الطريقِ الوعرِ بسُرعة، و(آليس) كالميتةِ لا تشعر بشيء!

كدتُ أتعثَّرُ بصخرةٍ على الطريق، لكن استطعتُ استعادةَ توازُني بأعجوبة... قلت لكم... (الأدرنالين)! تحاملتُ على نفسي وأكملتُ المشي، أحلِفُ أني سمِعتُ عظامَ عمودي الفقري تتفرقعِ! رميتُها على مقعدي، واتكأتُ على ركبتي... مُلتقِطَةً أنفاسي بعدَ أن خارت قواي.

توجهتُ لمقعد السائقِ، ويدي على ظهري من شدة التعب. وقبل أن أصِل... سمعتُ صوتَ وقعٍ على الترابِ خلفي، استدرتُ مُباشرةً وتمنيتُ أن تنشق الأرضُ وتبلعني!

كان هو الذي هددنا أكثرَ من مرةٍ تلكَ الليلة... مُكشِّرًا عن أنيابه! لمعتْ عيناهُ الرماديتانِ رغمَ حلكة الظلام، ولُعابه يسيلُ على الأرض... ذكرتني عيناهُ بعيني (دريكسِل) اللعين! تلامستْ قدمايَ من الرجفة، وارتعشَ جسدي بالكامل... وعينايَ مفتوحتان على مصاريعهما.

لم يكتفِ هو فحسب، بل دعا قطيعَهُ كله لوجبتهِ الشهية! أحاطوا بي من جميع الجهات، أمامي ثلاثةٌ سود... جميعُهم على أتم الاستعدادِ للانقضاض علي. عن يميني واحدٌ

أبيض... يلعقُ يدَهُ وكأنهُ يغسلُها قبل الأكل. عن يساري آخر أسود... يتفحصُني وكأنَهُ في حيرة... أيُّ جزءٍ من جسدي يبدأُ به الوجبة!

تراجعتُ للخلف، لألتصِقَ بالسيارةِ تمامًا... ودموعي تتساقَطُ على خدي. تقدمت الذئابُ ببُطء، متلذذةً برؤيةِ الخوفِ في عيني... قبل أن يقطعوني إربًا إربًا. كم تمنيتُ لو أن أخواتي معي، لأصبحتْ مواجهةً عادلةً على الأقل... لا 6 في مجابهةِ 1!

أين أنتِ يا (نوفا)؟ شنقوكِ ظلمًا وعدوانًا!

أين أنتِ يا (ستيف)؟ تخليتِ عنا دون سببٍ أو مبرر!

أين (آليكس) و(آنجي) وحتى (جيني)؟ تفرقَ شملنا بسببِ عراكٍ سخيف!

أغمضتُ عيني وأطلقتُ صيحةً قويةً مزلزِلَة، حتى شعرتُ بحبالي الصوتية تتقطع! ارتجتِ الغابَةُ بأسرِها لصرختي، وسِمعتُ صداها في السماء حتى. فتحتُ عيني لاهِثَةً، بعد أن أشعلتُ (الأدرنالين) بداخلي.

تراجع الجبناءُ بِضعَ خطواتٍ إلى الوراء... لكن عزمَهُم على التهامي لم يختفِ بعد.

"اقتربوا أيها الملاعين!"

قلتُ بحدة، وعينٍ ملأتها الدموع.

أن أموتَ محاولةً النجاةَ خيرٌ من الاستسلام، والموتُ

واحد... سواءً إن استسلمتَ أو قاومت! لن أستطيعَ قتلهم بلا شك، لكني سأحاوِلُ الوصولَ لباب السائق دون خسارةِ جزءٍ من جسدي. تحركتُ بهدوءٍ وعيوني عليهِم، تحذرهم من الاقتراب. حاول الذئبُ الأبيضُ على اليمين سد الطريق، مكشِرًا عن أنيابه... لأُكشِّرَ عن أنيابي أنا الأخرى.

صرختُ عليهِ وأنا أتحرك... وتراجَعَ كالمتوقع للوراء... كالكلاب تمامًا. تشعرُ أنكَ خائفٌ فتلاحقك وتؤذيك... وعند شعورهم بشجاعتك يتراجعون.

بضعُ خُطُوات، ثم أُخيفُهُم ليتراجعوا... بضعُ خطوات، ثم أصرُخُ ليتوقفوا... إلى أن وصلتُ لباب السائق. فتحتُ الباب سريعًا ودخلت، وحينَها فقط انقضوا علي وبدؤوا بالترامي على نافذتي... الحمد لله أني أغلقتُ الباب.

"اللعنة اللعنة، ما هذا؟ ما الذي حدث؟"

كم اشتقتُ لصوتِها، وكم أشعرني بالأمان! نظرتْ لنافذتي والذئابِ المترامية عليها، بعيونٍ فُتحتْ على مصاريعِها. احتضنتُها بشدة، باكيةً دون أنْ أنطق بحرف.

"ششششش، كل شيءٍ على ما يُرام... أنتِ بأمانٍ الآن... ششششش"

هدَّأتني بحنان، وهي تطبطبُ على ظهري... بينما اكتفيتُ أنا بالبكاء فقط.

"آسفة... آسفة، لن أتركَكِ وحدكِ أبدًا مرةً أخرى!"

وضعتْ يدها على كتفي ونظرت إلى وجهي، وقد امتلأ دموعًا ومخاطًا.

"ما الذي حدث لكِ؟ غبتِ عن الوعي فجأةً أثناء القيادة!"

نطقتُ بعد أن هدأتُ قليلًا، بنبرةٍ تخللها البكاء.

"آسفة يا (هيزيل)، أُصابُ أحيانًا بنوباتِ إغماءٍ وصَرَع... ويبدو أن إحدَاها داهمتني وقت القيادة"

قالتْ وهي تربِّت على كتفي، وكأنني أصغرُ بناتِها.

"يا لكِ من بطلة! أوقفتِ السيارةَ وقُدتِها وحدَك وأنقذتِنا... وحملتِ الشمطاءَ ونقلتِها لمقعدك... وهجمَ عليكِ الذئاب!"

فهمت الموقف وحللته، وهي تنظُرُ لي بفخرٍ وإعجاب.

أومأتُ لها بعينيَ الدامعتَين متبسِّمةً، بعد أن توقفتُ عن البكاء تمامًا.

المضحك المبكي أنا تجاهلنا الذئابَ التي حامت حول السيارة... وكأنها مجرد قطط!

# مدينة (بليس)، دولة (أوبيا)

## فبراير، 2019

# الفصل التاسع والخمسون

## المتحدثة: (ستيفاني)

ذِهنٌ صافٍ تمامًا، جَسَدٌ وَصَلَ لأعلى مراحلِ الاسترخاء، طَلَبَاتٌ تُنَفَّذُ بمكالَمَةٍ واحدة، أرقى الملابسِ وأغلاها... تُشعِرُ الجلدَ والجسمَ بالثراء حين تُلامِسُهما! الكثيرُ من أوقاتِ الفراغ تُقضَى بالتَّنَزُّهِ والاستجمام... والتسوُّقِ فقط للمتعة لا للحاجة، شقَّةٌ فاخِرةٌ امتلأتْ بأثاث راقٍ باهِظِ الثَّمَن، وغُرَف فوقَ اللازم، سريرٌ مريح... التمدُّدُ عليهِ يُنسي همومَ الدُّنيا بأسرِها. سائقٌ خاص بسيَّارةٍ فارهة، جاهِزٌ في كلِّ وقتٍ وحين... ليذهبَ حيثُ أُمِرَ ويفتح الباب عند النزول والركوب.

أصدرَ إبريقُ الشاي صفيرًا، مُعلنًا عن اكتمالِ غليانه وجاهزيته للشرب. أطفأتُ النَّارَ وسكبتُ لي كوبًا بعد وضعِ السكر... لأدخُلَ بعدَها غُرفةَ المعيشة - التي كانَ المطبَخُ الصغيرُ مُطِلًّا عليها - مُرتدِيَةً روبي البنفسجي المخملي الذي أشعرَني بالاستكانِ والدفء.

وضعتُ الكوبَ على الطاولة وجلستُ على الأريكة... مُمَتِّعَةً عينيَّ بالنَّظرِ للبحرِ من الشُّرفة. ما أجملَ حياةَ الأغنياء، تبًّا لمن قالَ إنَّ المالَ لا يجلِبُ السَّعادة! قد عِشتُ حياةَ الطَّبقةِ المتوسِّطة وحياةَ الأثرياء، صدقوني... حياةُ الأثرياءِ أجملُ وأفضل.

لم أعُد بحاجةٍ لإخفاء جنسي، لم أعُد بحاجةٍ لأقمصة

الرجال الواسعة، لم أعُد بحاجةٍ لأن أبدو كصبيٍّ أبدًا. أرتدي ما يحلو لي من فساتينَ وتنانير، وأضعُ ما أُريدُ من مساحيقِ التجميل... والتي توفرتْ لي من أغلى العلامات التجارية العالمية.

احتسيتُ الشاي بسلامٍ وأنا أُحدقُ في البحر، السحبُ قد غطت الشمسَ تمامًا... يبدو الوقتُ مُناسِبًا للنزولِ والتمدد على الشاطئ. اشتعلتْ ذِكرياتُ القاربِ في عقلي كالبرق... تذكرتُ الطفلاتِ اللاتي رُمينَ في البحر بكل برودٍ وقسوة! كم كان مُخيفًا ذلك اليوم، وكم غيرَ في حياتي الكثير... لولاهُ لما اختطفتني (Z) -ذاتُ أقراطِ الأنفِ الأربعة- ولما أصبحتُ بهذا الثراء... رب ضارةٍ نافعة.

رنَّ الجوَّالُ بعيدًا ليُقاطِعَ هدوئي ويقطعَ حبلَ أفكاري، وضعتُ كوبَ الشاي على الطاولة وهرعتُ لغرفةِ نومي حيث مصدر الرنين. أخذتُهُ من على التسريحة ناظِرةً لأتحقق مَنِ المتصل... رغم أن الاتصالات دائمًا ما تكونُ من الشخصِ ذاته كل مرة!

"كالنار، دونَ ضجة... ثم أخمديها وأخفِي الرماد"

أنهت المكالمةَ بعد تلك الكلماتِ السبع فقط... لا سلامٌ ولا كلامٌ كالعادة. أما عنِ الطلاسمِ التي ذُكِرَت في المكالمة، فقد كانتْ مفهومةً بالنسبةِ لي...

"كالنار" أي استخدمي المسدس في العملية.

"دون ضجة" أي مع الكاتم لئلا يصدُرَ صوتُ الطلقة فيُثيرَ

الشك.

"ثُم أحمِديها وأخفي الرماد" أي تخلصي من الجثة وأخفيها.

نسيتُ أن أذكُرَ عيبًا واحِدًا في حياةِ الأثرياءِ التي أعيشُها، أعملُ في وظيفةٍ تختلِفُ ساعاتُ وأيامُ العملِ فيها... وعلي أن أنفذها دون نقاشٍ أو سؤال! كل شيءٍ بثمن... وحياتي هذه لها ثمنٌ غالٍ. أصبحَ التواصل بيني وبين (G) - الصهباء- عبر الجوال، نادِرًا ما تأتي للشقة لتعطيني بعض التعليمات.

وصلتْني رسالةٌ بعدَ ذلك، تتضمن موقع المهمة حتى لا أتيهَ بالقيادة... مع صورةٍ للضحية.

رجلٌ أبيضُ نحيلٌ بدا في الأربعينيات من عمره، بعينين زرقاوَين واسعتين... وقد حُلِقَت لحيته وشابَ شعرُ رأسه الطويل.

قمتُ من سريري الأحمر واتجهتُ لخزانةِ ملابسي... عليَ أن أتحركَ فورَ علمي بالمهمة دون نقاش. فتحتُ الخزانةَ وتجولتُ بنظري فيها، وقد امتلأت بجميعِ أنواعِ الملابس الفاخرة.

همممم... لم أرتدِ بنطالَ الجلدِ هذا منذ مدة. جلبتُهُ مع تيشيرتٍ أبيض، ومعطفِ جلدي أسود... هذا مناسبٌ جدًّا لا سيما وأن عليَّ حملَ الجثة ولن يضايقني هذا اللباس. لا غرابةَ في كوني أتخيرُ في اللباسِ وكأني ذاهبةٌ لنزهة...

قد اعتدتُ هذه المهماتِ وأصبحتْ كشرب الماء! خلعتُ روبي ولبستُ وتجهزتُ على الفور، ثم تناولت إحدَى الأساور الذهبية ولبستُها.

جلستُ على التسريحة لأضعَ بعضَ مساحيقِ التجميل... وهذا ضروري جدًّا لإبعاد الشبهة. اكتفيتُ بأحمرِ الخدودِ والكحل، ثم صففتُ شعري البني سريعًا... والذي طالَ قليلًا ليعودَ لمظهرِهِ الجميلِ المعتاد.

سحبتُ أحدَ أدراجِ التسريحة وفتحتُ الخزانةَ الموجودة فيها بالرقم السري. لم تحوِ تلكَ الخِزانةُ مجوهراتٍ أو ذهبًا كأي امرأةٍ طبيعيةٍ في العالم، بل حوتْ مسدسًا أسودَ لامعًا... وبجانبه علبة الرصاصِ والكاتم! عبأْتُ المسدس بالرصاصِ وركّبتُ عليه الكاتم... لأضعه خلفَ بنطالي وراءَ ظهري.

أخذتُ سلسلةَ المفاتيح وانتعلتُ أحدَ الجوارب المرمية على الأرض... مع أقربِ جزمةٍ تقع عيني عليها. غادرتُ الشقةَ مقفلةً بابها بالمفتاح وخرجتُ من العمارة، فشقتي كانت في الدور الأرضي. فتحتُ أقفالَ سيارتي الفارهة لتُصدِرَ الصوتَ المُريحَ للآذان، كأنهم صمموهُ لذلك خصيصًا.

كان للعصابةِ دورٌ كبيرٌ في تعليمي الكثيرَ من مهاراتِ الحياة... كالقيادة، واستخدام برامج الملاحة، وغيرها. والكثيرَ من فنونِ الجرائم والقتلِ خاصة... كإنهاءِ الحياةِ

بطلقةٍ واحدة، وإخفاء الجثة، وإبعادِ الشبهات، وفتح أبوابِ المنازلِ المقفلةِ بالمفتاح، وغيرها.

ركبتُ السيارة وشغلتُ المحرك بضغطةِ زِر، وفتحتُ الموقعَ على برنامج الملاحةِ حتى يُرشِدَني إلى الطريق. تحتَّمتْ علي القيادة بنفسي دون السائق... في المهمات فقط.

6 دقائق تفصِلُني عن الموقع... جيد جدًّا. مشيتُ على الطريقِ بحذر، فمهاراتي في القيادةِ ما زالتْ تحتاجُ لمزيدِ تدريب.

لا توتر... لا خوف... لا ارتجاف... وكأني ذاهبةٌ لنزهة! أوائلُ المهماتِ فقط كانتْ صعبةً جدًّا علي، أما الآن فأقومُ بها ماضِغَةً علكةً ببرود... بالضبط كـ (G) في أولِ اختبارٍ لي.

"ستكونُ وجهتُكَ على اليمين"

نطقَ برنامجُ الملاحة، نظرتُ للمنطقةِ ثم للخريطة... لأعرِفَ المكانَ بالتحديد. بضعَةُ أمتارٍ للأمامِ فقط ورأيتُ المنزل المنشود، تحققتُ عدة مراتٍ من الموقع... فالخطأُ في هذه المهماتِ يُكلفني حياتي وحياةَ من لا ذنب له! من يدري، قد يكونُ من أقتلُهُم بين الحين والآخر أبرياءَ أيضًا! ليس من شأني السؤال، ولستُ أنا من يقتلُهُم... أنا فقط عبدةٌ مطيعةٌ أتبعُ أوامرهم وإلا قتلوني!

أوقفتُ السيارةَ أمامَ المنزلِ بالضبط، حتى يسهُلَ نقلُ الجثة. جلبتُ أدوات فتح البابِ -إن كان مُقفلًا

بالمفتاح- ووضعتُها في جيبي. خرجتُ وتقدمتُ نحو المنزلِ بثقةٍ وكأنهُ منزلي، حتى لا يرتابَ أحد. توقعتُ أن مهماتي ستكون في منتصفِ الليل فقط، حتى لا يراني أحد... لكن هذه العصابة غريبةٌ لها طريقتُها الخاصة العجيبة.

بابُ الضحية غالبًا ما يكون غير مقفل... لا أعلمُ كيف ينام أحدهم دون أن يُقفِلَ بابَه! جربتُ فتحَ الباب لأرى إن كان مقفلًا أم لا، وكما توقعت... فُتِحَ معي مباشرةً. أغلقته خلفي بهدوء حتى لا يُصدِرَ صوتًا.

أخرجتُ مسدسي وتقدمتُ ببطءٍ في المنزلِ ذي الطرازِ العتيق، باحثةً عن ضحيتي القادمة... وسرعان ما وجدتُها في غرفة المعيشة.

تمددَ الرجلُ على كرسي الاسترخاء وقد أغمضَ عينيه، مرتديًا سرواله الداخلي الأسودَ فقط... ممسكًا بزجاجة بيرة.

"لقد كنتُ مثلكِ بالضبط... إلى أن جاء اليوم الذي استغنوا فيه عن خدماتي"

نطقَ بصوتٍ خشِن، مرعبًا قلبي بعد أن حسبته غافيًا!

"لا تسأل، عليك التنفيذ فقط... كعبدٍ مملوك"

أكملَ فاتحًا عينيه ببطء... متبسِّمًا بخبث.

هذه أول قاعدة وأهمها... هل كان هذا الرجل أحد أفراد العصابة؟

صوَّبتُ مسدسي على رأسه، متقدِّمةً بحذر... دون أن أنطق بحرف.

"أوه نسيت... لن تنطقي بحرف أيتها العبدة المأمورة. لا تحدثْ مع الضحية أبدًا... أليس هذا أحد القوانين؟"

ضحكَ بهستيريا وجنون، آخذًا رشفةً من البيرة... غير مبالٍ البتة أنه على وشك ملاقاةِ حتفه!

جميعُ الضحايا كانوا يتوسلون ذارفين الدموع، يود أحدُهُم لو يفتدي حياته بكل ما يملك... أما هذا فلا يهاب الموت.

"فعلتُ كل شيءٍ للملكة، من قتلٍ واغتيالٍ وتهديد وغيرِها... كنت عبدها المخلص ببساطة! استخدمتني وأخذت حاجتَها مني، ثم رمتني كحذاءٍ قديم... وسيحين دورِكِ قريبًا"

الملكة؟! ما الذي يتكلم عنه هذا الأبله؟ هل هذه العصابة تابعةٌ للملكة (آجنيس)؟ لا لا، غير منطقي أبدًا! يبدو أن مفعول البيرة قد بدأ بالتأثير على عقله!

تركته لينُهي كلامَه، هذا أقل ما يمكن أن أقدمه لضحاياي. جهزتُ المسدس للإطلاق وفتحتُ صمامَ الأمان، وقد أغلق عينيه استعدادًا للموت.

طلقةٌ على جبينه بكل برود، كانتْ كفيلةً بإنهاء حياته... دون أي جلبةٍ بسبب الكاتم. وقفتُ أتأملُ جثته الهامدة... هل صحيحٌ ما يقول؟ لا أعتقد أنه كاذب... لِمَ يكذب

أصلًا؟ لكن ما مصلحة الملكة من إنشاءِ هذه العصابة؟! ولِمَ اختارتني أنا لأنضم لهم؟! آخخخ، هنا تكمن المشكلة... لا يحق لي أن أسألَ عن أي شيء! توجهت للخارجِ لأنهي ما بدأت، وأخفي الجثة بحرقِها في أحدِ الأودية بعيدًا عن الأنظار... وقد امتلأ عقلي بملايين الأسئلة.

***

وضعتُ آخر كومةِ ترابٍ على الحفرة لتتغطى بالكامل وتتسوى بالأرض، بعد احتراقِ الجثةِ فيها وبقاءِ الرمادِ فقط. حملتُ قارورة البنزين الفارغة مع المجرفة، وتوجهتُ لسيارتي لأرمي القارورةَ والمجرفة في المقعد الخلفي. خلعتُ قفازاتي الجلدية ووضعتُها في جيبي، واتجهتُ لبابِ السائق وكأني كنتُ في نزهةٍ عاديةٍ بالصحراء في ليلةٍ هادئة.

ما زالَ ذهني منشغلًا بما قاله اللعين، غادرَ عالمنا بعد أن رمى عليٍ قنبلةً من التساؤلات... أما أمكَنَهُ أن يغادرَ بسلامٍ أو توسُّلٍ لحياتِهِ كالبقية؟! تربَّعت الملكة (آجنيس) على عرشِها في مخيلتي، بعينيها الحمراوَين الشيطانيتين وشعرِها الأبيض... مرغمةً جسدي على الارتعاش بالكامل.

دخلتُ السيارة وشغَّلتها وتحركتُ على الفور، دون اكتراثٍ بالضحية التي أحرقتُ جثتها للتو... وأخفيتُ أثَرَها تمامًا كباقي الضحايا. لم أصِل لمرحلةِ الاستغناءِ عن برنامج الملاحةِ بعد خصوصًا وقت الخروجِ من الصحراء، واهتديتُ بتعليماتِهِ في الاتجاهات قائدةً تحت ضوءِ القمر

وأنوار السيارة. لاحَ لي الشارعُ المضاءُ في الأفق وأسرعتُ حتى أعودَ مبكرًا... لأنعمَ بليلةٍ هادئة في شقتي الفاخرة.

كانت تلك الصحراء هي وجهتي عندما يتطلب الأمر التخلص من الجثة عن طريق الحرق أو الدفن فقط، حسب الأوامر التي تُرسَل لي. خاليةٌ من البشر تمامًا ولا يأتيها أحد، بل لا حياةَ فيها أصلًا فقد خلت من الأشجارِ وابتعدت عن الأنظار. عليَّ أن أتوغَّلَ فيها قليلًا وأمشي بالسيارةِ على رمالها، ثم أشعل النار بالجثة الغارقة بالبنزين وأنتظرها لتحترق شيئًا فشيئًا... كما علموني بالضبط.

أحيانًا تأتي الأوامر بإذابتها بالحمض، وهذه الطريقة مرهقةٌ للغاية وتأخذُ الكثيرَ من الوقت. عليكَ أن ترتدي ملابس الوقاية والقفازات والنظارات حتى لا يصيبك الحمض المذيب بأذى، ثم تختار مكان الجثة الذي ستذوبُ به وعليك توخي الحذر... فكثيرٌ من المعادن تذوبُ مع الحمض!

خرجتُ من الطريقِ الترابي إلى ذاك المجهَّز بالإسفلت والأرصفة، في حي مخيفٍ مريبٍ لم أتجرأ يومًا طيلة زياراتي للصحراء أن أخرج من السيارةِ فيه. بعيدًا عن شوارعه الضيقة القديمة وإنارته الضعيفة الرديئة، قاطنوهُ من أغربِ وأخطرِ ما رأيت. من الطبيعي أن تجدَ أحدًا يمشي بمسدسٍ في جيبه، وآخر يحقن إبرة (الهروين) على أحد الأرصفة وكأنه يدخن سيجارة، وآخرون يتشاجرون شجارًا عنيفًا دمويًا... بالسكاكين وأحيانًا بالأسلحة. وإياك

إياكِ والنظرَ المطوَّلَ فيهم، قد لا تخرُجُ حيًّا بعد ذلك.

قدتُ السيارةَ بسرعةٍ ونظري للأمام، خائفةً بشدة من أن يتعرَّضَ لي أحدُهُم بسوء... رغم تسلُّحي وكوني قاتلةً مأجورة! انعطافٌ لليمين ثم لليسار لأخرُجَ من ذلك الحيِ اللعين، أخذتُ نفسًا عميقًا وقدتُ بهدوءٍ وراحة... لتختفي الراحةُ تمامًا منغمسةً في التفكير المقلق. أتابعةٌ أنا حقًّا للملكة (آجنيس)؟ أيعني ذلك أني أعملُ مع الحكومة؟ هذا هراءٌ محض... ما الذي تريده (آجنيس) من مشردة مثلي؟ ليس هذا فحسب، بل تعلمني مهارات الحياة أيضًا وتدربني!

تنهدتُ بعمقٍ وقد تعب ذهني من كثرة الأسئلة، كفى هوسًا وقلقًا زائدًا... كان الرجل ثملًا للغاية فلا يؤخذ حديثه على محمل الجد. عدتُ للواقع لأرى نفسي متوقفةً عند الإشارة الحمراء القريبة من بيتي، يا للهول... لم أشعُر بمرور الوقتِ أبدًا! أغلقتُ برنامج الملاحة فلا حاجة لي فيه، ورحتُ أتأملُ الناس في السيارات حولي... معظمهم رجالٌ كالعادة... لتسقط عيني بعدها على فتاةٍ صغيرةٍ قاربت عمر (جيني). مع أنها لم تشبهها البتة... إلا أنني تذكرتُ (جيني) وبقية أخواتي. هل هن بخير؟ ما الذي حدث لهن يا ترى؟ لا أعلم، ما أعلمه على وجه اليقين أنهن كرهنني بشدة... بعد قطع علاقتي بهن.

ارتاحَ ذهني من التفكير بعد تحول الإشارة للأخضر. تحركتُ قليلًا ملتزمةً المسارَ الأيمن وانعطفتُ لليمين،

وأوقفتُ سيارتي أمام العمارة وقفة مبتدئين... لم أصل لمرحلة الاحتراف بعد.

تناولتُ المجرفة وقارورة البنزين الفارغة بعد خروجي، لأخفيَ الآثار الباقية عليهما بالماء والمنظفات... رغم صعوبة ربط الجريمة بي إلا أن الاحتياطَ واجب. دخلتُ شقتي سريعًا وأغلقتُ البابَ خلفي بالمفتاح، لأقفل السيارة عن بعدٍ بالجهاز.. شاعرةً بثقلٍ انزاح عن كتفي بعد تنفيذِ المهمة بنجاح.

لم يطُل ارتياحي كثيرًا، فما رأيتهُ في غرفةِ المعيشةِ بعدها جمّدَ الدم في عروقي... وأرغمني على تركِ القارورة والمجرفة لتسقطا أرضًا! رمشتُ مراتٍ عديدة فاغرةً فمي من الدهشة والخوف، لأتثبّتَ أخيالٌ ما أراهُ أمامي أم حقيقة. قلبي ينبضُ بشدة في جميع أرجاء جسدي، ويداي بدأتا بالارتعاش.

جلست الملكة (آجنيس) بشحمِها ولحمِها على الأريكة أمام التلفاز، عاقدةً ساقَيها بفرائها الأبيض المعتاد في صورها. اخترقتْ قرنية عيني بجمرةِ عينيها كشعاع الليزر، وهي تتبسّمُ بوجهي بشكلٍ غريب!

لم تكُن وحدَها في غرفة المعيشة، فقد وقفتْ (Z) ذاتُ أقراطِ الأنف الأربعة السوداء بجانب التلفاز.. متفحصةً وجهي بعينيها الخضراوَين. نظرتُها الباردةُ المعتادةُ ذكرتني بجلدِها العنيفِ المتكرر لي، لتسري رعشةٌ بجسدي وأنا أنظرُ

إليها... واقفةً هناك بقميصِها الذهبي الذي توافقَ مع شعرِها الأشقرِ القصير.

"آنسة (ميجان)... تفضلي بالجلوس"

نطقتْ بنبرةٍ لطيفةٍ ناقضتْ شكلَها تمامًا، ممررةً يدها خلال شعرِها الأبيضِ الطويل... مشيرةً بيدها الأخرى إلى الجانب الفارغ من الأريكة. كنتُ قد اعتدتُ على اسم (ميجان) الذي اخترعتهُ لهم بحلول ذاك الوقت، ناسيةً بعض الأحيان أن اسمي (ستيفاني) في الحقيقة.

ابتلعتُ ريقي بصعوبةٍ ومشيتُ نحو الأريكة، ويداي لا تتوقفان عن الارتجاف. لم أعلم أأستغربُ من وجودِ الملكة في شقتي، أم أخافُ من وجودِ المختلة (Z) عندي؟! لا تأتي (Z) إلا ومعها المصائب... ما الخطأ الذي ارتكبته الآن حتى تأتي؟

جلستُ ونظري للشرفة المطلة على البحر، مسلِّمةً أمري لهما ودقاتُ قلبي تتسارع. تجنبتُ النظر في أعينهما فلن يزيدني ذلك إلا رعبًا وتوترًا!

"لا تخافي يا عزيزتي، أعلم أن الموضوع صادم جدًّا بالنسبة لك... فليس من الطبيعي أن يدخل الشخص منزله ليجد الملكة جالسةً على أريكته!"

قالت بمزاح، ضاحكةً لتلطِّفَ الأجواء في محاولةٍ يائسة... فلا مجال لذلك مع وجود تلك المختلة تحدِّقُ بي من الأعلى للأسفل ببرود!

ابتسمتُ رغمًا عني، كما لو كان سيحصلُ لي مكروهٌ إن لم أُجامِلها... رافعةً نظري لها ببطء ورعب.

"قبل كل شيء، كيف حالك يا فتاتي المخلصة؟"

سألتني وهي تضعُ يدها على كتفي، محاولةً كسر الجليد بيننا... وكم كان هذا صعبًا علي.

"بـ.. بـ.. بخير، صاحبة الجلالة"

تحتَّمَ عليَّ الرد بنبرةٍ قلقة ومجاراتها، متصنِّعةً الابتسامة في وجهها... ناظرةً لها بتوترٍ واضح.

تأكَّدَ لي بعد ما قالته أن العصابة تابعةً لها، وهذا يعني أني أعملُ لمصلحتها... ما كذب الرجل فيما قاله. طرأ سؤالٌ مفزعٌ في ذهني، متذكرةً بقية كلام الرجل... هل سيتخلصون مني بعد أخذ ما يريدونه؟! ماذا يريدون مني أصلًا؟!

"سأدخلُ في صلب الموضوع مباشرةً، من المؤكد أنك تتساءلين عن سبب تجنيدي لكِ، وسبب قتلي لكل الضحايا السابقين... وأسئلةً أخرى كثيرة تجول في خاطرك"

ها نحنُ تان، تبدو على وشك إزاحة الضباب... ووضع النقاط على الحروف. من الصعبِ أن تصرف النظر عن عينيها الحمراوَين وشعرِها الأبيض الناصع، صانعةً لها رونقًا من المهابة والفخامة البالغة!

أومأتُ برأسي وقد امتلكتُ الشجاعةَ للنظرِ فيها لوقتٍ

طويل، دون ارتجافٍ أو تحويلٍ نظر... مع قليلٍ من الخوف الذي لا ألامُ عليه.

"كما قابلتِ الفتيات من قبل (G) و(Z) هُنا، هما ضمن قائمة كبيرة من الفتيات المخلصات"

أشارتْ لـ (Z) التي استمرت بنظراتِها الباردة القاتلة لي، دون أي تعبيرٍ أو مشاعر. لم أمتلك الشجاعة لأطيلَ النظر في وجهها، وعدتُ للنظر في (آجنيس) التي بدأتُ الاعتيادَ على حمرة عينيها قليلًا.

"تلك القائمة تحوي الكثيرَ من جنودي، مرتَّبنَ من (A) إلى (Z) بالأبجدية الإنجليزية حسب رتبة كل منهم... كلما تأخر الحرف كان صاحبه أعلى رتبة. فـ (Z) على سبيل المثال هي الأعلى رتبةً، وبعدها (Y) ثم (X) وهكذا... ليكونَ ترتيبكِ بينهن (A)"

استمعتُ لما تقوله بتمعن، ناظرةً لها باهتمامٍ مومئةً برأسي... دون أي رد أو مقاطعة.

"لاحظتْ (Z) وجودكِ على ذاك القارب، مع تنكرك الرديء كصبي!"

انفجرتْ ضاحكةً ليختفي رونقُ هيبتِها ورسميتِها، لأضحكَ معها لا إراديًّا... وقتَها فقط أستطيعُ أن أقولَ إنها نجحت في طمأنتي وتقليلِ توتري وخوفي بشكلٍ رهيب. أنا المشردة الملاحقة من العالم، أضحكُ مع الملكة (آجنيس) بحد ذاتها! سقطَ نظري على (Z) التي لم تتبسَّم قط،

وقفت هناك بقميصِها الذهبي وبنطالها الأسود... لتُجبِرَ ضحكتي على الاختفاء تمامًا.

"تحتَّم علينا بعد ذلك النظر في أمرك وهويتك الحقيقية، وعندما سمعنا قصتك والمصاعب التي واجهتِها مع والديك... علمنا أنك الفتاة المناسبة للانضمام لنا. واجتزتِ جميع الاختبارات وكسبتِ ثقتنا بشكلٍ عجيب، دون محاولةٍ للفرار أو الرفض. كل زميلاتك اللاتي ستقابلينهن يا (A) عانين ظُلمَ آبائهن ومجتمعاتهن، وكل الضحايا الذين تُوَكَّلين بقتلهم ما هم إلا خونةٌ يخططون للانقلاب علينا... فلن نذرف عليهم الدموع"

كان وقعُ الحقائق عليَّ كالصواعق، لم أعلم حتى كيف أرد.. اكتفيتُ فقط بالصمت والإيماء. صمتتْ قليلًا لترى تأثيرَ كلامها علي، ولتعطي عقلي الوقتَ الكافي لمعالجة ذلك الكم الهائل من المعلومات... مفرقعةً أصابعها.

"السيدةُ الماثلةُ أمامك هناك اسمها الحقيقي (زهير)، لا نظهر الأسماء حتى نتيقن من ولاء المجندة. والآن بعد أن أثبتِّ كفاءتك فقد حان الوقتُ للانتقال للعاصمة، وستكلفين بمهام أخرى تليقُ بمرتبتك... فما قولك؟"

لم ألاحظ تقدمَ (زهير) في السن إلا تلك اللحظة، بعد تطويل النظر بملامحها تحت إضاءةٍ جيدة... ظهرتْ آثارُ عمليات الشد والتجميل على بشرتها الحنطية... وقد أدت غرضها للأمانة. لو تخفف فقط من أسلوبها الرجالي

العنيف، وملابسِها الغريبة وأقراطِ أنفها الزائدة على اللزوم. بدتْ أكبرَ مني ومن (آجنيس) حتى.

"أتشرفُ بذلك سيدتي"

وافقتُ على الفور، فليس الأمرُ وكأنني أملِكُ خيارًا آخر!

"هذه هي فتاتي!"

قالت بفخرٍ وكأني ابنتها، قائمةً عن الأريكة.

"سنغادِرُ الآن، وستأتي (G) قريبًا لتُعطيكِ التعليمات الجديدة وتأخذك لمقرك الجديد"

قالت واضعةً يدَها على كتفي، متبسِّمةً بطيبةٍ وحنان.

"سأكون في انتظارِها، ما اسمها بالمناسبة؟"

سألتُها وأنا أبادلها الابتسام، غيرَ مصدقة أبدًا أني أتحدث للملكة.

لحظاتٌ وحركتْ يدها لتُلامِسَ عنُقي، ثم أحكمت قبضتَها حولَهُ لتخنقني! رفعتْني للأعلى ويدُها تخنقني، ونظرتُها تغيرت تمامًا بعد أن خدعتني للحظاتٍ بحنيتها... لتتحولَ لشر مطلق شيطاني مع احمرار عينيها. بدأ وجهي بالاحمرار ورئتاي تحاولان البحثَ عن مصدرٍ للهواء، ولُعابي يسيل وعيناي كادتا تخرجان من أماكنهما من شدة الضغط.

"تنامُ الذئابُ مغلقةً عينًا فاتحةً الأخرى، احترازًا من

غدر أقرب الأقربين! أعيننا عليكِ دائمًا حتى بعد انضمامك لنا، وإن غدرتِ بنا أو حاولتِ حتّى بأي شكلٍ من الأشكال... فسأجعلكِ تتمنين الموتَ من أنواعِ العذاب التي ستنهالُ عليك من يدي هذه"

نطقتْ بصرامة وخنقُها لي يشتد مع كل كلمة، وأنا بين السماء والأرض أتحشرجُ تحت رحمتِها.

أومأتُ لها مباشرةً ورؤيتي تتغبَّشُ شيئًا فشيئًا، مع شريط حياتي الذي مر أمامي. أبقتْ يدَها حولَ عنقي لحظاتٍ قليلة، وجسدي في حاجةٍ ماسةٍ لنسمة هواء. تركتْني أخيرًا لأقعَ على الأرض، وبدأْتُ بإدخال أكبر كمٍّ ممكن من جزيئاتِ الهواءِ سريعًا... ورؤيتي تعودُ لطبيعتِها تدريجيًّا.

"اسم (G) (يولندا) بالمناسبة"

أجابتْ سؤالي -الذي نسيتُ أصلًا أني سألته بعد أن صرت بين الحياة والموت- مغادرةً الشقة واطئةً الأرضَ بكعبها الأسود بكبرياء، وشعرُها الأبيض يتمايلُ مع مشيتِها... لتتبعَها (زهير) بعد ذلك.

مدينة (كابال)، دولة (فويجو)

فبراير، 2019

# الفصل الستون

## المتحدثة: (آليكس)

"هذه هي الحياة!"

قالت (ديفِن) صاقعةً كأسَ (الشامبانيا) بكأسي، عاقدةً ساقيها على الطاولة في غرفة المعيشة.

"أووووووه، أشعر بالتعب من شدة الراحة!"

قلتُ ضاحكةً، مقلِّبةً بين المسلسلات والأفلام على التلفاز الذكي.

أما في تلك فقد صدقتْ (ديفِن)، آهٍ كم أصبحَ عيشنا مريحًا... معززتين مكرَّمتين بعد أن كنّا نعيشُ من هزِّ أجسادِنا وسط الرجال! منزلٌ كاملٌ لنا وحدنا، بدورين امتلأا بالغرف الكثيرة الزائدة على اللزوم... بطابعٍ حديثٍ أطلَّتْ فيه السلالم على غرفةِ المعيشة. أموالٌ طائلة نقتني بها ما أردنا من ملابس ومجوهرات وسيارات، ونصرفها على أغلى المطاعم والمقاهي... في أي وقتٍ ومكان. كل ذلك مقابل عملٍ واحد، توصيل الحقائب المشبوهة تلك -تحت مسمى أدوية ومستحضرات تجميل- في أي وقتٍ يطلبه منا المدير... أو الزعيم بالأصح.

"بربك (دورا)... فلنشاهد أي فلمٍ أو مسلسل إلا الرعب!"

قالت صافعةً فخذي بلطف، مسندةً رأسها على كتفي...

ليلامس شعرُها البني القصير رقبتي.

"آخ يا جبانة! تشجعي قليلًا ولنشاهد البداية، إن لم تعجبك فسنحوِّل للتصنيفات الأخرى"

هززتُ رأسي ونظري للتلفاز، بعد محاولاتٍ طويلة من الإقناع والتشجيع... محاولةً اختيار فلمٍ قبل أنْ تغير رأيها.

وقعت عيني على فلمٍ بغلافٍ جذاب، زوجَان في منتصف العمر مع طفلتهما... واقفين أمام منزلٍ عتيق. يتحدث الفلم عن أسرة انتقلوا من مدينتهم الكبيرة لأخرى صغيرة، بحكم عمل الأب المحامي... لتتغير حياتهم بالكامل بسبب الأحداث الخارجة عن الطبيعة الصادرة من المنزل. تذكرتُ تلك الفتاة الدموية عديمة الأسنان، مضتْ فترةً طويلةً دون زيارةٍ منها. ارتعش جسدي بالكامل بمجرد تخيلي لها، وقررتُ التوقف حتى لا تظهرَ لي مجدَّدًا... فلدي ما يكفيني من المشكلات.

"تقييمه عالٍ وقصته جذابة، فلنبدأ"

قلتُ مصفِّقةً مرتين، لتُطفَأ الأضواء تلقائيًّا... يا لها من حياةٍ مريحةٍ تلك التي يعيشها الأثرياء!

"سأندمُ بشدة حين يأتي وقت النوم!"

تنهدتْ (ديفِن) بعمقٍ معدِّلةً جلستَها.

لم نتعدَّ حتى شعار شركة الفلم ورنَّ هاتف (ديفِن)، ألقيتُ نظرةً له لأجدَ رقمًا غريبًا قد اتصل بها. التقطت

هاتفها وأجابت سريعًا، مما أوحى لي أن هناك طلبية جديدة سنوصلها. أوقفتُ الفلم وانتظرتُها لتنتهي من مكالمتها، والتي اكتفت فيها بالموافقة على كل ما تسمعه... كما جرت العادة.

"نداءُ الواجب! كان بودي إكمال الفلم لكن علينا أن نذهبَ الآن، لدينا طلبية أدويةٍ لنستلمها من المستودع"

قالت وهي تقومُ عن الأريكة، بعد أن أغلقت الخط.

"كفي عن هذا الهراء يا (ديفِن)! أعلمُ أن ما نقوم بتوصيله ليس أدويةً ولا مستحضرات تجميلٍ البتة!"

طفح الكيل ولم يعد بإمكاني التحمل أكثر من ذلك، لأي درجةٍ تظنني غبية؟!

"نعم أعلم، أقولُ أدويةً ومستحضراتِ تجميلٍ فقط لأتعود على التمويه"

قالت (ديفِن) مقطِّبةً حاجبَيها، لتنفجرَ ضاحكةً بعد ذلك.

"يا إلهي، من سيصدق أصلًا أنها أدوية أو مستحضرات؟! أووه (دورا) (دورا) (دورا)، كم أضحكتِني اليوم!"

أجبرتني على الضحك معها وأنا أقوم، كم كانت بسيطةً تلك الفتاة... وكم كانت الحياة معها جميلةً حتى كدتُ أنسى ما حدث لي من مصائب.

"لكن بجد، ما الذي نقومُ بتوصيلِه بحق الجحيم؟"

سألتُ محاولةً التوقف عن الضحك، ناظرةً لها بوجهها الحنطي الباعث على السعادة.

"هممممم، فلنسمِّه مسحوق السعادة"

قالت غامزةً لي، ماشيةً لغرفتِها.

بالرغم من خطورة ما نقوم بتوصيله، إلا أن تسميتها زادتني ضحكًا. مسحوق السعادة، ليس إلا الكوكايين. اتجهتُ نحو غرفتي المجاورة لغرفتها، مفكِّرةً في الموضوع بجدية أخيرًا... ترويج المخدرات ليس بالهين!

كيف وصلتِ إلى هذه المرحلة يا (آليكس)؟ عملي كراقصة على الأقل ليس مؤذيًا للناس، ولا يعاقب عليه القانون... أما أن أكون مروجة مخدرات فهذا موضوعٌ آخر. دخلتُ غرفتي ببرودٍ بعد أن وصلتْ حياتي للحضيض، نظرتُ في انعكاسِ وجهي على مرآة التسريحة... جالسةً هناكَ محدقةً ببرود. تلاشى اللون الأحمر واستعاد شعري لونه البني الجميل، وطوله يعودُ شيئًا فشيئًا. خلعتُ بيجامتي الحريرية البيضاء بهدوء، ناظرةً لوجهي الرخيص الذليل... الذي قبل بأي وظيفةٍ لجني الأموال... دون أدنى تفكيرٍ بالناس الذين آذيتهم بالسموم القاتلة.

لم نبالغ أبدًا حين سمينا (الأسوأ) بهذا الاسم، فها هو ذا قد حوّلني لمجرمةٍ عديمة شرف... كل ما يهمها هو جمع المال فقط.

"(دورا) عزيزتي، ما المشكلة؟"

أعادتني للواقع المر، التفتُّ للباب لأراها واقفةً بعد أن بدلت ملابسها لترتدي قميصًا أبيض وبنطالًا أسود... متزينةً بقلادةٍ ذهبية وأساور كثيرة على كلتا يديها.

"لا شيء لا شيء، سرحتُ بتفكيري بعيدًا فقط"

هرعتُ بملابسي الداخلية للدولاب، لتغوص عيني بين أنواع وأشكال الملابس المختلفة... من أرقى الشركات وأغلاها ثمنًا. كم ضيعنا من حيواتٍ وأرواحٍ بذلك السم حتى نتمكن من شراء هذا كله؟!

امتدت يدي لفستانٍ بنفسجي متصلٍ بوشاح، ملامسته ليدي وحدها أشعرتني بالثراء... لأرتديه شاعرةً بالذنب ولوم النفس.

"لا لا، اخدعي غيري بهذا الكلام! أنا أعرفك جيدًا أكثر من نفسك حتى... أخبريني يا عزيزتي ما الخطب؟"

جلستْ على السرير ناظرةً لي بعطف، حتى كادت روحي تغوص في أعماقِ عيونها العسلية... لم أستطع إخفاء مشاعري بعدها.

"هل نحن أشخاص سيئون يا (ديفِن)؟!"

جلستُ بجانبِها بفستاني الأنيق ذي الوشاح، كإحدى الفتيات المدللات الأغنياء... اللائي يُصَبنَ بالحزن من أبسط المواقف. هذا كان مظهري فقط، لكن حزني

كان أعمق من أن أستطيع شرحه لـ (ديفن)... تمنيتُ لو استطعت أن أخبرها بكل شيء لأُريحَ قلبي!

"توقعتُ أنا سنخوضُ هذه المحادثة. اسمعي يا (دورا)، نحن لسنا سيئين أبدًا... العالمُ الذي أجبرنا على العمل في مثل هذه الوظائف هو السيئ. في ظنك، لو استطاعت كلتانا إيجاد وظيفةٍ تليق بنا وبمقامنا براتبٍ جيدٍ... فهل سنعملُ ما عملناه؟! لا، لا أعتقد. الحياةُ المريرة أجبرتنا على العمل كراقصتين أولًا، ومروجتي مساحيق السعادة أخيرًا"

ضحكتُ رغم الظروف، كم كان مضحكًا ذاك الاسم الذي وضعته.

"أخبريني إذًا، كيف وثقتِ بي بهذه السهولة؟ ألم تتوقعي رفضي للعمل أو ذهابي للشرطة؟"

"حاجةُ المال التي ستجبركِ على الرقص، لن تمنعكِ من توصيل حفنةِ مخدرات لحثالة المجتمع المدمنين للأمانة. أما ذهابكِ للشرطة فقد وثقتُ بكِ منذ التقيتكِ يا عمري... لم أرَ صديقةً بولائك وحبك من قبل!"

تكبر في عيني كل يوم، ويزيد حبي لها كل ليلة... (ديفِن) هي الاستثناء الوحيد في (الأسوأ)!

"مستعدة لتوصيلِ مساحيقِ السعادة؟"

قالت صافعةً كتفي بلطف، قائمةً من مكانها وهي تضحك.

"بلا شك، فلنبث السعادة في الأرجاء!"

أجبتُها منتعلةً جواربي... وقد اطمأن قلبي وخف تأنيبُ الضمير.

خرجنا معًا لننتعل أحذيتنا، ضاحكتين كالمجانين بالضبط... لا أعتقد أن النكتة كانت مضحكةً لذاك الحد أصلًا! غادرنا المنزلَ وشعرتُ بنسماتِ الهواء العليلة تخلل جسدي، مع ملامسة الفستان لجلدي... شاعرةً بملكيةٍ وثراءٍ لا نظيرَ لهما. رغم سطوع الشمس واعتلائها السماء، إلا أن الجو كان رائعًا للغاية... بالهواء اللطيف وخفة الرطوبة.

ركبنا سيارتنا العادية، لا يُسمَح لنا بالتوصيل إلا بتلك السيارة... حتى لا نلفت الأنظار ونبعث الشكوك.

"فلننتهِ من المهمة سريعًا لنكمل الفلم، لن تملصي منه!"

تنهدتُ بعمقٍ رابطةً حزام الأمان، متجولةً بنظري في حينا الهادئ الفارغ.

"أنتِ وفلمك هذا، ألا نستطيعُ مشاهدة فلم أكشن أو دراما كبقية الناس الطبيعيين؟"

قالت وهي تحركُ بالسيارة، عالمةً تمامًا طريقَها وقد حفظته أنا أيضًا نوعًا ما.. الطريقُ لمستودع مساحيق السعادة. لم يبعد عن بيتنا.. بضع دقائق تفصلنا عنه فقط.

"أنت تفوتين على نفسك الكثير من المتعة، أغبطك على

كمية أفلام الرعب التي لم تشاهديها للآن!"

"يا لك من مختلة!"

"ويا لك من جبانة!"

"لا تتكلمي عن الشجاعة وأنتِ تخافين من قيادة السيارة!"

أفحمتني بصراحة، اكتفيت بالسكوتِ والضحك ناظرةً للأمام... لتبتسِمَ الشقية بانتصار. وصلنا للمستودع ونزلت لتجلِبَ الحقيبة، ماشيةً بثقةٍ وثبات. كنا قد اعتدنا على هذا كله، وكررناهُ حتى حفظناه عن ظهرِ قلب. أحيانًا أخرُجُ أنا لجلب الحقيبة، لأرى المستودع المشبوه -الذي لا يمكن أن يكون مستودع أدويةٍ ومستحضراتِ تجميلٍ على الإطلاق- وأقومُ بالتسليمِ أيضًا حسب التعليمات. لحظاتٌ وخرجت حاملةً حقيبةً سوداء هذه المرة، لنتجه سريعًا لمكانِ التسليم المطلوب... نريدُ الانتهاء منها بسرعة حتى نتفرغ باقي اليوم.

"ليست مزدحمةً كالعادة، غريب!"

قلتُ ناظرةً لها وعيناها على الطريق، ممسكةً بعجلة القيادة بيدٍ واحدة.

"توجد مباراةٌ مهمة الآن بين أقوى فريقَين وطنيين، لهذا السبب"

أجابتني ونظرُها لا يزالُ على الطريق.

استمرتْ بالقيادةِ من شارعٍ إلى شارع، ومن حي إلى

حي... دون اتباعٍ لبرنامج الملاحة. انعطفنا لطريق رئيس لأرى منظرًا أسقطَ قلبي من مكانه، رغم رؤيتي له كثيرًا أثناء المهمات!

"لا تُبدي لهم توترك ولا خوفك، كوني على طبيعتك وكأننا صديقتان قد خرجنا للتنزه"

أمسكتْ بيدي مومئةً برأسِها، ليزيدني ذلك خوفًا.

توقفت سياراتٌ كثيرةٌ تابعةٌ لقوات الأمن، مغلقةً الطريق لتمحصَ السيارات المارة بدقة... باحثين عن أي شيءٍ مريب. تحركنا مع السيارات في الطابور، وتوتري يزيد كلما اقتربنا من رجال الأمن المفتشين.

ماذا لو تم إيقافنا وتفتيشُنا؟! لن ينفعني وقتَها أحد، لا (سارة) ولا (بليد) ولا حتى (ديفِن) أو أحد أفراد العصابة! سنخضعُ للاستجواب بشكلٍ فردي، وسؤالٌ وراء سؤال تحت الضغط الشديد... إلى أن يفتضح أمري ليكون حبل المشنقة بانتظاري في نهاية المطاف! ما الذي ورطني مع الملعونة (ديفِن) رفيقة السوء؟! أن أبقى راقصةً خيرٌ لي من العيشِ بخوفٍ وقلقٍ طيلة حياتي، أما كفاني أني أعيش تحت هويةٍ مزيفة ومطلوبة من العالم أجمع... وأقحم نفسي في تجارة المخدرات؟!

الأحمق سيظل أحمقَ ما حيي، الطيبة وحسنُ النية لا يفيدان في هذا العالم... وإن لم تكن ذئبًا أكلتك الذئاب... وفي هذه الحالة فأنا الحمارة التي ستنهشها الذئاب!

وصلنا لرجل الأمن المُوكَّلِ بطابورنا، وكم كان مظهره مرعبًا ومقلقًا للقلب. ناهيك عن شاربه الطويل الكثيف الذي دخلت أجزاءٌ منه في فمه، عيناهُ الكبيرتان البنيتان تجبران البريء حتى على الاعتراف بجريمةٍ لم يرتكبها. كرشه امتدت للأمام ليشتد قميصه العسكري حولها، عاقدًا يديه خلف ظهره. أوقفتْ (ديفِن) السيارة تمامًا عن الحركة حين أشار لها الشرطي، لتتسارع نبضاتُ قلبي ويجفَّ حلقي تمامًا... أرجوك يا إلهي أعمِ عينه عن الحقيبة!

فتحت النافذة ليتَّكِئ بيده عليها، مُمَحِّصًا وجوهنا ونظراتنا... آخذًا بعينه جولةً داخل السيارة بعدها.

"توقفا على جانب الطريق"

نطق بحزمٍ مشيرًا لمساحةٍ فارغةٍ أمام المركبة الأمنية.

ابتعد عن النافذة وأومأت (ديفِن) برأسِها، لتتحرَّكَ نحو البقعة التي أشار إليها بهدوء.

حسنًا إلهي، أعلمُ أني لا أصلي ولا أمارس الطقوس الدينية... لكني أرجوك أن تخرجنا من هذه الأزمة بمعجزة. نعم، المعجزات وحدها باستطاعتها أن تنقذنا الآن... فعندما يطلبُ منك رجل الأمن التوقف جانبًا فسيقلبُ المركبة رأسًا على عقب... بحثًا عن أي ممنوعات. أغمضتُ عينيَّ وقبضتاي مشدودتان، في محاولةٍ فاشلةٍ لتهدئة أعصابي وتقليل توتري.

"ترجلي من السيارة رجاءً"

أشار شرطي آخر، بدا أشرسَ وأعتى... بجسدٍ عضلي تناقضَ مع كبر سنه. خرجتْ (ديفِن) سريعًا وفتحتُ بابي وكدتُ أخرج، لكنه أشار لي بالبقاء! لِمَ تخرج هي وأبقى أنا؟!

جلس على مقعد السائق وبدأ بالبحث في الأدراج والمنافذ والفتحات، وقلبي ينبض بسرعةٍ وكأني أجري في سباق... لكني بقيتُ صامدةً بملامح شابها القليلُ من الخوف.

"ما اسمك؟"

"(دورا ريكسي)"

أجبتُ بالعةً ريقي، والأخيرُ ينظرُ لي بريبةٍ وتفحص... دارسًا ملامح وجهي وقت الجواب.

ألقيتُ نظرةً خاطفةً لأرى الشرطي السمين يحدثُ (ديفِن)، التي سطرت درسًا في الصلابة والثبات.

"هل لي أن أرى بطاقة الهوية؟"

أخرجتُ بطاقتي سريعًا من محفظتي لأناولها له، وبدأ يقلِّبها ويحوِّل نظراته لوجهي بين الفينة والأخرى. كانت قد اختفت نسمات الهواء لتتركنا تحت ضوء الشمس الحارق، وبدأت مسام العرق بالقيام بعملها على أكمل وجه... مُبلِّلةً أرجاء جسدي.

"أتابعتان أنتما لـ (ثعلب البحر)؟"

(ثعلب البحر)! هذا الاسم مألوفٌ جدًّا بالنسبة لي، لكن أين رأيتُهُ بالضبط؟!

"لا يا حضرة الضابط"

الجحود والنفي هما سلاحي الآن، وسأثبت عليه حتى المشنقة... وليحترق العالم بأكمله! بعد جوابي ذاك فقدتُ الشغف بالحياة للأمانة، ولم أعد أكترث بانكشاف أمري... إلى متى سأعيشُ جبانةً رعديدة؟! تذكرتُ بعدها أين رأيت (ثعلب البحر)، تكرر اسمهُ في القنوات الإخبارية طيلة مكوثي هنا... فقد كان أعتى وأخطر تاجر مخدرات تبحث حكومات العالم كلها عنه. لِمَ سأل عنه الضابط؟! هل يشك بحيازتنا للمخدرات؟ اللعنة!

حوَّلَ نظرَهُ للخلفِ بعد فترةٍ ليست بالوجيزة، لتقعَ عينُهُ على الحقيبةِ السوداء.

"ما الذي في الحقيبة؟"

أخذتُ نفسًا عميقًا واستجمعتُ قواي، لأُعطيَهُ إجابةً لم أعلم كيف خرجت من فمي:

"لا شيء، الحقيبة فارغة"

مسحتُ عرق جبيني بيدي حين خرج من مقعد السائق، ليفتحَ البابَ الخلفي حتى يتحقق من صحة كلامي.

حسنًا، قضيتُ واحدًا وثلاثين عامًا ممتعًا جميلًا في هذه الحياة... وحانت لحظة الوداع. نظرتُ للأمام متجنبةً التقاء

عيني بعينه إن رأى الحقيقة. سمعتُ صوت الحقيبة وهي تُفتَح، ونظري للأمام منتظرةً لحظة القبض علي.

"لا شيء هنا، كله سليم"

أغلقَ الباب خلفَهُ وعيناي مفتوحتان على مصاريعهما، نظرتُ للخلف مباشرةً لأرى الحقيبة فارغةً بحق! ما الذي يحدث بحق الجحيم هنا؟!

"أوووف، كان ذلك وشيكًا!"

دخلت (ديفِن) السيارة وتحرَّكت على الفور.

"هـ.. هـ.. هل نحن نعمل لمصلحة (ثعلب البحر) يا (ديفِن)؟!"

سألتُها بهدوءٍ دون النظر لها.

"حاولتُ إخباركِ مبكرًا لكني لم أجد الفرصة المناسبة يا (دورا)، كان هذا اختبارًا من عصابته لنا حتى يرى أننكسر أمام الشرطة ونخضع... أم نثبت ونقوى"

لم أكترث للرد عليها أو مجادلتها، فقد واجهتُ الكثيرَ اليوم... ولا طاقة لي للجدال معها.

وقعَ نظري على المرآة الوسطى ليستمر حفلُ الرعب والغموض، وأرى الطفلةَ ذاتَها المرعبة المغمورة بالدماء... جالسةً على المقعد الخلفي الأوسط متبسِّمةً لي بلا أسنان! شعرُها أشقرُ ناعمٌ وقصيرٌ هذه المرة، بعينيها الخضراوَين الداميتين. طفح الكيلُ وقتها بالنسبة لي رغم خوفي منها،

لربما وجود شخصٍ معي أعطاني الشجاعة والجرأة.

**"من أنتِ أيتها اللعينة؟! ماذا تريدين مني بالضبط؟! اتركيـ.."**

توقّفتُ عن الصراخ تمامًا حين اختفت الطفلة، بين غمضةِ عينٍ وانتباهتِها وكأنها تبخرت في الهواء وتلاشت!

# الفصل الحادي والستون

## المتحدثة: (آليكس)

خرير الماء... لا شيء يبعثُ الاسترخاء في النفس أفضل منه. وقعُهُ على الآذان مريحٌ جدًّا ومليءٌ بالطمأنينة، لا سيما مع رائحة الكلور الصادرة من المسبح. تمددتُ على كرسي الاسترخاء بملابس السباحة، تحت ضوء الشمس الساطعة... لتسمير البشرة -التي لم تحتج لذلك- والحصول على فيتامين (د). اختبأت عيناي خلف نظاراتٍ شمسية باهظة الثمن، وقد أُغلِقَت لأسبحَ في أفكاري بعيدًا عن هذا العالم الكئيب.

احتسيتُ (المارجريتا) في سلامٍ وهدوء، بعد أن أصبحتُ خبيرةً آنذاك في أنواع الخمور ومذاقاتها... من (البيرة) حتى (التيكيلا) أقوى نوعٍ بالنسبة لي. مُعاقِرةً للخمر متاجرةً بالمخدرات، أقولها بكل برودٍ دون خجل... فلم يعُد يهمني هذا العالم (الأسوأ) برمته. الاهتمام بمشاعر الآخرين والطيبة والصدق وكل الأخلاقيات، لن تجيك هُنا... نقطة على السطر.

استلقت بجواري (ديفِن) بملابسها الداخلية الزهرية، مغلقةً عينها وقد وصلت لأعلى مراحل الاسترخاء... عاقدةً يديها على بطنها وقد ازدانتا بالأظافر الصناعية الطويلة. ثلاثُ ليالٍ في ذاك الشاليه الفاخر، كانت مكافأةً لنا من العصابة على اجتيازنا الاختبار بنجاح... ولا أحدثكم عن

كمية الراحة التي وفرها ذاك المكان. إن عرضوا علي عيش حياتي كلها في حمام الشاليه فقط، فسأقبل دون تردد!

بالطبع كل أموالنا كانت من العصابة... حتى الملابس التي سترت عوراتنا... أو بالأصح كانت من مساحيق السعادة التي كنّا نوصلها لشتى الأماكن والزبائن. أحد الفساتين التي ابتعتُها سعره ثلاثة آلاف دينار ذهب، وصل البذخ عندي مبلغه وقتها... لصرفِ الأموالِ نشوةٌ لا يعرفُها إلا الأغنياء! إغراق العصابة لنا بتلك الثروات لم يُنقِص من مُلكِهِم وثرائهم شيئًا، فنحن نتحدث عن عصابة (ثعلب البحر)... إمبراطور الكوكايين الذي يشق رجال الأمن الأرض بحثًا عنه... في جميع أنحاء (الأسوأ). أطلقت الشرطة عليه هذا الاسم لمكرِه الشديد كالثعالب ودهائه، ولاستخدامه البحر غالبًا لتهريب الكوكايين.

"شابان وسيمان مفتولا عضلات، وتكتمل حفلتنا!"

نطقتْ (ديفِن) مرخيةً نظارتها الشمسية حتى وصلتْ لطرف أنفها، ناظرةً لي وهي تلعقُ شفتيها بشكلٍ مقزز.

ضحكتُ من قلبي حين قالت ذلك، صافعةً فخذها العاري وأنا أشعر باشمئزازٍ شديدٍ منها... قائلة:

"عليك اللعنة، أدخلي لسانك المقزز بفمك يا شهوانية"

"آخخخخ، أنتِ تتمنين لو باستطاعتك نيلُ هذا الجسد!"

مدت لسانَها الطويل المناسِقَ لطولِها الشاهق، لأسحبَهُ

بيدي بشدة مما أجبرها على تعديل جلستِها وتقديم ظهرِها. تركتُ لسانها حين صفعت يدي والضحك يكادُ يوقِفُ قلبي عن النبض، في حين رمقتني بنظرةٍ قاتلة.

عدتُ للاستلقاء على ظهري، لافظةً آخر ضحكاتي لأغوص في أعماق مخيلتي... وليتني لم أغُص. ذكرني كلامُها عن الوسامة بـ (جيب)، صاحب العينين الكهرمانيتين الساحرتين... اللعين الذي كان السبب في انجرافي لهذا الطريق النتن. تُرى، ما الذي يفعله بكل تلك الأموال مع أخته (ليندا) نادلة الحانة؟ هذا إن كانت (ليندا) أخته أصلًا! سرى ألمٌ في قلبي حين تذكرت كل ما حصل لي بسببه، من إهانةٍ وفقرٍ وقهرٍ وكسر... شددتُ قبضتي وفكي مفكرةً في الأرعن الذي لا نُبلَ له ولا نخوة ولا ذرة رجولة! رغم الثراء الذي عوضني عما سرقه (جيب)، إلا أن رغبةَ الانتقامِ ملأت قلبي وسيطرت على كياني... فـ (جيب) لم يسرق مالي فحسب... بل سرق كرامتي وعزتي وكبريائي.

***

استيقظتُ في منتصفِ الليلِ متثاقلةً لاستعمالِ الحمام، مفكرةً من شدة التعب لو كان بإمكاني التبول في السرير ثم تنظيفه عند الاستيقاظ! جمعتُ قواي وقمتُ من السرير، لأمشي ببطء نحو الحمام بعينين نصف مفتوحتين. سمعتُ صوتَ همسٍ قادمٍ من غرفة المعيشة، وأوقفني فضولي عند الباب لأتنصّتَ وأستمع... وكم أصبحتُ ممتنةً لفضولي بعد

تلك اللحظة.

"فلننتظر عملية التسليم الكبيرة الخميس القادم، لنتمكن من الإيقاع بأخي للأبد ونستريح منه. أريد عددًا كبيرًا جدًّا من الدوريات حول المكان... إن أفلتَ منا هذه المرة فسيفلتُ للأبد وسأختفي أنا عن الوجو..."

توقفت (ديفِن) عن الحديث وكأن المتصل قاطعها في الكلام، وقد نسيتُ تمامًا حاجتي للحمام وقلبي يخفِقُ بشدة.

"أعلم أعلم، لكن (ثعلب البحر) اسمٌ على مسمى، سيكون حذرًا للغاية ولهذا السبب لا مجال للخطأ. وأما بالنسبة لـ (دورا) فعلينا التحقيق في أمرها أيضًا، أشعرُ أن وراءها سرًّا خطيرًا"

توقفت عن الكلام بعدها وشعرتُ بخطواتها قادمةً نحوي، هرعتُ للسرير بخفة وارتميت تحت البطانية متظاهرةً بالنوم. خرج القليلُ من البول تحت الضغط الشديد والخوف والتوتر، ودقات قلبي تتسارع بعد أن سقط في قدمي. شعرتُ بها واقفةً على الباب قليلًا لتتحقق إن كنت نائمةً أم لا، ثم عادت أدراجها وسمعتُ خطوات أقدامها تبتعد... لأتنهدَ بعمقٍ بعد أن كادت تكشفني.

أهي جاسوسةٌ تعمل لدى المباحث، أم هي واشيةٌ استعملها الأمن لتوقِعَ بأخيها؟! من هو أخوها أصلًا؟ أ(ثعلب البحر) أخوها؟! والأدهى والأمر من ذلك كله،

أنها تريدُ الإيقاع بي أيضًا!!

تبًّا، ما العمل الآن؟! سقوطُ العصابة في أيدي رجال الأمن يعني سقوطي معهم، وحبل المشنقة سيلتف حول رقبتي في نهاية المطاف... حين يعلم الجميع أن (دورا ريكسي) ليست إلا (آليكساندرا فاولكين) الإرهابية المطلوبة حول العالم! عليَّ أن أنفذ بجلدي في أقرب فرصة، أو أن أفكر بحل قبل فوات الأوان... أرجوك يا عقلي لا تخيب أملي... هذه المرة فقط.

***

لم أنم تلك الليلة بطولها، وكل ما أفكر فيه هو (ديفِن) الخائنة الواشية! أتقلَّبُ يمنةً ويسرةً حتى بزوغ الفجر، وعقلي يعملُ بأقصى سرعة وقوة باحثًا عن حل للتخلص منها. عقدتُ زمام أمري بعد أن أرهقني الخوف، حان وقت المواجهة. هرعتُ قائمةً من سريري، مفارقةً اللحاف الأزرق المخملي... متجهةً للخارج بعد اعتلاء الشمس للسماء.

لا وجود لـ (آليكس) الطيبة الجبانة بعد اليوم، ماتت البارحة على فراش الشاليه... ولن تعود للحياة مرةً أخرى. الضعيفُ الطيب يُداس بالأقدام في (الأسوأ)، والقوي البطَّاش يُحتَرَم ولا تُهضَمُ حقوقُه... هذا هو عالمنا للأسف الشديد. لم أغير لباسي حتى، بقميص نومٍ حريري زهري خرجتُ للصالة بحذر... ماشيةً على أطراف أقدامي حتى لا

تسمع الشيطانة. تناولتُ مفاتيح سيارتنا الرياضيةِ الفارهة بكل ثقة، لم أقُد السيارة إلا مرةً واحدةً في حياتي... وكانت (ديفِن) بجواري ولم أخرج عن حدود حيِّنا أصلًا.

غادرتُ جناح الشاليه بحذاءِ الحمام، دون أدنى اكتراث بالذوق العام... فليحترق بعد أن أصبحت المسألة حياةً أو موتًا! نظرتُ لانعكاسِ وجهي في المرآة بعد ركوب السيارة، لأرى بشاعةً لا نظيرَ لها في الكون... بشعرٍ بني فوضوي ووجهٍ غيرِ مغسول. مرةً أخرى... لا وقت للتجميل والتزيين وهذا الهراء.

فتحتُ برنامج الملاحة آملةً أن يكون سهلَ الاستخدام، بعد أن عزمتُ على وجهتي وما سأفعل... فقد كان الحل الطبيعي الوحيد رغم جنونيته.

"الأماكن المفضلة"، "المستودع"، "بدء القيادة" ما أروح وأجمل السيارات الفارهة الحديثة... سهلةٌ في كل شيء.

التزمتُ قدرَ الإمكان بتعليمات القيادة التي تلقيتُها من (ديفِن)، وبقلبي قليلُ خوفٍ من علمها بخروجي.

لم يكن المستودع قريبًا، ومع قيادتي الحذرة البطيئة تأخرتُ جدًّا في الوصول... مع الإشارات المرورية والشوارع المزدحمة بالأشخاص الذاهبين لدواماتهم وأعمالهم. تارةً أدخلُ فجأةً على مسارِ أحدهم ليُصِمَّ أذني ببوق سيارته اللعين، وتارةً أكاد أصطدمُ بآخر من الخلف لولا قدمي الشديدة على المكابح. كانوا ينظرون لي بغرابة وحُقَّ

لهم، فأي شخصٍ سيخرجُ بهذا الشكل إلا مجنون أو ثمل؟!

وصلتُ أخيرًا للمستودع وحدقتُ به للحظات، فقد يكونُ آخرَ ما أراه قبل العنابر والقضبان وحبل المشنقة أخيرًا.

آسفةٌ يا توءمي الجميل (آفا)، فقد أجبرتني الظروف على ما سأفعل.

آسفةٌ يا صاحبة العقل النير (آنجي)، فما اخترتُ أنا سلوك هذا الطريق الوعر.

آسفةٌ يا صاحبة القلب الكبير (نوفا)، فأنتِ أعلمُ بـ (الأسوأ) وما ارتكبه في حقك من جرم لا يُغتفر... وقد ألحقُ بك الآن لأرى إن كانت تلك الحياة الأخروية حقًّا.

أسفةٌ يا حياة (الفاولكين) وروحهم (جيني)، لا يدَ لي فيما سيحصل وقلبي على ذلك شهيد.

أما (ستيف) فلا اعتذار لها ولا كلام لي معها، مع من تخلت عن أخواتها لأي سببٍ كان!

تنهدتُ بعمقٍ وتوجهتُ نحو المستودع بسرعة، مرتديةً قميصَ نومي الزهري... بوجهي العفِن وشعري المثير للاشمئزاز. لم أكترث لإغلاق باب السيارة خلفي حتى، فلا شيء لدي لأخسره. دائمًا ما أشعرني المستودع من الداخل والخارج بالاكتئاب، رغم حداثة بنايته وكبر مساحته.

استقبلني شخصٌ غيرُ مألوفٍ بالنسبة لي، مفتول العضلات

طويل القامة أصلع... تعجبتُ من بياضِهِ الشاحب في دولةٍ امتلأت بالسمر.

"أحتاجُ لمقابلته"

قلتُ بصرامةٍ لم أنطق بها من قبل في حياتي كلها، شعرتُ بغرابةٍ شديدةٍ حين استخدامها... لا سيما مع نظراتي الباردة التي لم تعلُ وجهي من قبل.

ضحك بتهكم هازًّا رأسَهُ، وذراعاه العضليتان معقودتان... ناظِرًا لي بازدراء.

"اسمع يا رجل، ما أحمله من معلومات خطيرٌ للغاية... وإن لم تسمح لي بمقابلته فستندم حين لا ينفعُ الندم!"

أسلوبه في التجاهل كان ليوقف (آليكس) القديمة الميتة، أما الجديدة فلا تتحملُ الهراء والاستنقاص.

"لا طلبات حتى الآن، عودي للجناح يا (دورا)"

أجاب ببرود، ناظرًا للأمام بصلعته اللامعة البيضاء.

"همممم، لنتخيل لو كان بإمكاني إيقافُ مداهمةٍ على إحدى العمليات قد تعرض حياة الجميع للخطر... حتى حياته هو... لكن أحدَ موظفيهِ منعني من مقابلته بلا سبب. أتساءل كيف ستكون ردة فعله تجاهه! لدي معلومات حساسة للغاية تخص أختَه، فلا تضيع وقتًا أكثر وخذني إليه"

تغيرت ملامحه حين قلت "أخته" وأصيب بالتوتر

كالكلب المذعور، لأومئ له بعدها بصرامةٍ وجِد. استغرابه الشديد حين ذكرتُ الأخت دلَّ على أمرين مهمين، أولهُما عِلمُ العصابة بأن (ديفِن) لم تخبرني بعلاقتها معه... وثانيهِما أن (ديفِن) فعلًا أخت (ثعلب البحر)! أثار سريان المعلومات في ذهني رعشةً في جسدي، كل هذا الوقت ولم أعلم أن (ديفِن) أخت رئيس العصابة الأكبر في العالم!

أخذ الرجل بيدي وقادني لسيارة دفعٍ رباعي سوداء، لم يظهر ما بداخلها من تظليل زجاجها الشديد. أدخلني واتجه لمقعد السائق على الفور، وتحرك بسرعةٍ أسقطت قلبي من مكانه. لم يكن خوفي من السرعة فقط، بل مما سيحدث من مجهولاتٍ مع (ثعلب البحر)... إن كان هو فعلًا من نحن ذاهبان لمقابلته.

لم يكترث المجنون بقطع عدد كبيرٍ من الإشارات، كاد يتسبب بمقتلنا ومقتل من سنرتطم بهم لا محالة... خوفه لم يكن مستَغربًا من أخطرِ رجلٍ في العالم كما صنفه المحللون الاجتماعيون. توقف أخيرًا أمام منزل بسيط جدًّا، ليخرجَ والعرقُ يتصببُ من جبينه... ويفتح لي الباب ويجذبني بعنف.

"ويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ لكِ إن كنتِ تمزحين أو تحملين معلوماتٍ خاطئة، سيفصل رأسكِ عن جسدكِ بيده"

نطقَ وهو يرفعني من ياقة قميصي للأعلى حتى كادت

تمزق، لولا جودة الخامة وغلاؤها. أومأتُ له برأسي فاتحةً عيني على مصاريعهما، لينزلني على الأرضِ ويدفعني للباب الأمامي للمنزل.

"امضغي علكةً في المرة المقبلة قبل مقابلته، رائحة فمك نتنة. اضغطي الجرس واستخدمي الرمز (MMA)"

كان معه حق بصراحة، فقد تضايقتُ أنا من رائحة فمي... لكن كما ذكرتُ سابقًا لا وقت لهذا الهراء! كبستُ على زر الجرس وقلبي يخفق بشدة، أهذا بيت (ثعلب البحر)؟! لا أعتقد، كيف يسكن رجلٌ بذاك الثراء الفاحش في بيتٍ عادي كهذا... مُشابهٍ للبيت الذي نسكن فيه؟

ظهر صوتُ دلَّ على فتح أحدهم لسماعة الجرس، دون أن يتحدث. انتظرتُ قليلًا قبل أن أقول بصوتٍ مبحوح:

"(MMA)"

فُتحَ لي الباب لأرى الفناء الأمامي للمنزل، والذي لم يحوِ إلا تبليطًا بسيطًا وعدة نباتات... دخلت وأغلقت الباب بقوة. على باب المنزل الداخلي وقف حارسان بأسلحتهما الضخمة، أحدهما يحملُ رشَّاشًا على أتم الاستعداد لرشِّ من يشك بأمره... والآخر حملَ بندقيةً قد تنسف رأسَ من يحاولُ اللعب بذيله حول الرجل الأخطر.

لم أكن لأتوقفَ آنذاك بعد كل العناء، شددتُ قبضتيَّ وتقدمتُ بحزمٍ خالف ما شعرت به أجزاء جسدي،

فالارتجاف سيطر علي بالكلية مع العينين الممتلئتين بالرعب والهلع... كأي شخصٍ طبيعي تحت تصويب السلاح. لم يرفع أيهما نظره عني حتى دخلتُ المنزل من بينهما، شاعرةً بأجسادهما العضلية على جسدي بخوفٍ من اختراق الرصاصات لجسدي.

رأيتُ ست فتياتٍ بملابسهن الداخلية يتضاحكن في غرفة المعيشة، ناظراتٍ لي باستهزاءٍ بحكم المنظر الذي دخلتُ به عليهن... وقد اجتمعن حول أريكةٍ مواجهةٍ للتلفاز. كنّ من مختلف الأحجام والأشكال والألوان والأعراق، وكأنهن في مسابقة جمالٍ عالمية من مختلف البلدان. قفا الأريكة السوداء كان مواجهًا لي ومقدمتها كانت مواجهةً للتلفاز الكبير، نظرتُ حولي لأبحث عمن أتيت من أجله... لا وقت لدي لإضاعته مع أولئك الفتيات اللواتي لم أعلم ما صلتهن برئيس العصابة.

"قاطعتِ صباحًا مريحًا سعيدًا، من الأفضل أن يكون ما تحملينه مهمًّا للغاية"

لم أعلم صاحب الصوتِ الرجولي الذي نطق وقتها، لكنه كان قادمًا من ناحية الأريكة... بلكنةٍ إسبانية جليَّة. ركزتُ النظر في الأريكة ثم حولي دون جدوى... من أين كان يتحدث؟

لمحتُ يدًا ترتفع من ظهر الأريكة ثم تلوِّحُ وتشيرُ لي بالقدوم، وكم كانت صغيرةً وقصيرة! مشيتُ بحذرٍ للأريكة

والفتياتُ الست ينظرنَ لي بدونيَّةٍ وازدراء، مجتمعاتٍ حول الرجل الغامض على الأريكة.

لم أصدق عيني حين رأيته واعتقدتُ أنه فردٌ من أفرادِ العصابة، لاقترابه الشديد من الأرض. أهذا القزم الحنطي هو الرجل الأخطر في العالم، والذي هزَّ أمن الحكومات واستقرارهم بإمبراطورية الكوكايين؟! لولا لحيتُهُ الطويلةُ وشاربه لظننتُهُ ابن (ثعلب البحر)، مع خشونةِ صوته وضخامته... كيف بحق الجحيم أصبح هذا القصير مهيبًا يخافه الجميع؟!

لم أستطِـع إخفاءَ تعجبي وفتحتُ عينيَّ على مصاريعهما، لكنه نظرَ لي رافعًا حاجبَيه نظرةً قاتلة... جعلتْ نظرتي ترتخي للأرض. سرعان ما تداركتُ الوضع متظاهرةً بأن الموضوع طبيعي جدًّا، وكم كان غريبًا... (ثعلب البحر) فعلًا شابَهَ الثعلبَ في مكره وصغر حجمه!

"أبكماءُ هي؟"

قالت إحدى الفتيات بضحكةٍ متغنِّجة، أثارت حنقي وكم وددتُ لكمَها في عنقها... مَن هي أصلًا ومن اللاتي معها؟!

أمسكَ (ثعلب البحر) شعرَها الأشقرَ المجعد وسحبَهُ بشدةٍ للأسفل، شادًّا فكَّيه وهو ينظرُ لها بغضب... ثم قال:

"حين يتحدثُ الأحرار والأسياد يصمتُ الجواري والعبيد والخدم... مفهوم؟"

قال بلكنته الإسبانية موبِّخًا، وشعرُها مسحوبُ للأسفلِ بيده.

"مـ... مـ... مفهوم سيدي"

أومأت الرعديدة وصفعَها بشدةٍ لتغادرَ الغرفة سريعًا، ولحقها باقي الفتيات بملابسهن الداخلية... ليتضحَ لي ماهيتهن بعد ذلك... مجرد عاهراتٍ يتسلى بهن. استحقتْ ما نالتهُ بصراحة هي وزميلاتها، بعد نظراتهن الازدرائية لي وفوقيّتهن.

خلا لي الجو وصفا بعد ذلك، لأحاول ترتيب الكلام قبل أن أرمي به على المسامع... فلستُ أتحدث مع (جيني) أو (آفا) أو أي شخصٍ عادي... بل مع من حياتي بيده!

"سمعتُ أختك (ديفِن) تتحدث على الهاتف البارحة، بهمسٍ وصوتٍ خافتٍ حتى لا يسمعها أحد. ما فهمته من المكالمة أنها واشيةٌ استعملتها المباحث الجنائية للوصول إليك، أو أنها تعمل معهم أصلًا منذ زمن... وها أنا ذي ماثلةٌ أمامك الآن. ذكرتْ في المكالمة شيئًا عن عمليةٍ ستحدث يوم الخميس القادم، ستوقع بك وتنهيك للأبد"

رميتُ بذاك الكم الهائل من المعلومات إليه بقلقٍ وقليل لعثمة، ناظرةً له بتوترٍ واضحٍ دون الجرأة على التحديق به لفترةٍ طويلة... كان شكله مسخًا للأمانة وناقضَ مكانتَهُ وصوتَهُ وكل شيءٍ فيه!

صمتَ لبرهةٍ مُقلّبًا لسانَهُ داخلَ فمه المغلق، ونظراتُهُ لي توحي بالشك مع شيءٍ من التصديق... لم يكن ليعلم أي أحد ما يدور في ذهنه الغريب هذا. قفز فجأةً عن الأريكة كالأطفال تمامًا، ليتمشى في أرجاء غرفة المعيشة عاقدًا يديه خلف ظهره... صانعًا جوًّا من الرعب والتوتر. وقفتُ في مكاني بانتظار ردة فعلٍ منه والخوف يغمرني، هل صدقني؟ وإن فعل فماذا سيحدث لـ (ديفِن)؟ أرى في الأفلام والمسلسلات ما تفعله العصابات للواشين والخونة، لا مناص من القتل! ماذا إن لم يصدقني إذًا؟! سيقتلني اللعين لا محالة... فلا رحمة في قلوب أولئك البشر!

أخرجَ هاتفه المحمول من جيبه واتصل بأحدهم، وأعصابي تكاد تتقطع من شدة التوتر والقلق... جاهلةً تمامًا مصيري في اللحظات القادمة.

"كما ظننا، أنهِ أمرها"

قال بصوته الضخم، ثم أرجع هاتفه إلى جيبه وتقدم نحوي.

سقطتْ دمعةٌ من عيني رغمًا عني، فـ (ديفِن) مهما حصل ومهما بدر منها تبقى صديقتي الوحيدة في هذا العالم البائس. مرَّ شريطُ حياتِنا أمامي، كل الذكريات الجيدة والضحكات سواءً في المرقص أو في هذه العصابة التعيسة... لتنهمر الدموع بعدها حزنًا عليها. لِمَ يا (ديفِن)؟! ما الذي فعلته لكِ لتنوي تسليمي للشرطة؟!

"الخونة لا يستحقون ذرف الدموع عليهم"

قال وهو يجلس على أريكته ببرود، مسنِدًا رأسَهُ على يده.

"أوليست أختك؟! كيف تأمر بقتلها هكذا بكل برود؟!"

أشهد لنفسي آنذاك فعلًا بالشجاعة القوية لأخاطبه بتلك الطريقة، لا سيما وأني لم أعلم أقاتِلي هو مع (ديفِن) أم لا.

"الواشي سيبقى واشيًا طيلة حياته، ومن سمحت له نفسه بخيانتك مرة... فما الذي سيمنعه من خيانتك مجددًا؟ أعطيتُ (ديفِن) الكثيرَ من الفرص وما انفكَّت عن خيانتنا مرارًا وتكرارًا، وإلا فما الذي جعلها تتركنا فترةً طويلةً لتعمل في المرقص بعد عملها معنا؟"

لم يكذب في حرفٍ قاله، وفوجئتُ بحِلمِه في الرد علي... لم يصفعني كعاهرته تلك. مما أعطاني أملًا في إبقائه على حياتي... اللعنة على (ديفِن) فعلًا إن كانت حياتي تتطلبُ موتها بعد أن ضحَّت بي ببرود. مسحتُ دموعي وتحجَّرَ قلبي على الصديقة المزيفة، علاقتنا لم تكمل الشهر حتى!

"أخبرني الآن، ما الذي يمنعني من قتلك أو تسليمك يا (آليكس)؟"

فتحتُ فمي وعيني على مصاريعهما، تسارعتْ دقاتُ قلبي حتى كاد ينفجر، وعقلي لم يعد قادرًا على الاستيعاب أكثرَ من ذلك. من شدة الصدمة جلستُ القرفصاء على

الأرض، ممسكةً رأسي بكلتا يدي... أكان يعلم منذ البداية؟ أكانت كل العصابة تعلم منذ انضمامي؟! لا لا، غير معقول... لِمَ لم يسلموني للسلطات؟ ناهيك عن أن (ديفِن) قالت في المكالمة (دورا) ولم تقل (آليكس).

كيف علموا؟ رسمتي المنشورة سيئة للغاية!

"شككنا كلنا بأمرك منذ البداية والعصابة بأسرها نفوا كونك المطلوبة (آليكس) لعدم شبهك بالرسمة، عداي أنا بقيت مؤمنًا أنك (آليكساندرا فاولكين)... وأنتِ الآن أعطيتني الجواب فشكرًا لكِ"

قال متبسمًا، مما جعله يبدو مسخًا أكثر من ذي قبل.

اتضح لي الكثير من الحقائق وقتها، أهمها -والتي أراحت قلبي وعقلي كثيرًا- هي أن هذه عصابة في نهاية المطاف... فليس من المعقول أن يسلموني للسلطات خصوصًا بعد أن علمتُ الكثير عن أنشطتهم. أكبر عصابة مخدرات في العالم وأخطرها، عليها وحولها ما يكفي من الضوضاء والأضواء... فلن يضحوا بتسليم فردٍ منهم للأمن لتزيد الأضواء عليهم!

لم ألبث أن يرتاح عقلي وقلبي حتى عاد القلق، فبإمكانهم قتلي والتخلص من ذلك كله... دون إقحام السلطات في الأمر! الراحة الراحة، أين الراحة في (الأسوأ) يا بشر؟

"لا سبب لإبقائي للأمانة، لكن كما عاقبت الخائن بالموت... فما جزاء المخلص الموالي لك؟ القتل أيضًا؟"

أمطرتهُ بحِكَمٍ لم أعلم كيف خرجت ومن أين... حتى عقلي وفي استغربا من خروجها.

"هممم، نقطةُ جيدة... لكن ما الذي يضمن ولاءك لنا؟"

"لا أعتقد أن الإرهابية المطلوبة من العالم أجمع، ستقتربُ حتى أو تمشي بجوارِ مخفرٍ للشرطة"

على الرغم من كمية الألم التي حملتها الجملة، إلا أني شعرتُ بفخرٍ وكبرياء شديد... بعد أن بدأتُ التفاوض مع أخطر رجلٍ في العالم. في الحقيقة، لم أعلم أهو أخطر أم أنا وأخواتي -في نظر الحكومات- لكن العامل المشترك هو بحث العالم بأسره عنا!

"وماذا ستُضيف (آليكس) لنا؟ لأني لا أعتقد أن تفجير الأطفال سيزيد مدخلاتِنا أو يفيدنا"

سأل واضعًا رجلًا على رجل، وقصره يثيرُ استغرابي في كل مرةٍ يتحرك فيها... مقهقهًا بعد جملته تلك وكأن تفجير الأبرياء أمرٌ مضحك! هل يعتقد أنا إرهابياتٌ فعلًا؟ لم أهتم للتبرير له والشرح، فليعتقد أني إرهابية إن أراد.

"أنت أخبرني... هل تدر القِوادة (6) أموالًا طائلة؟"

سألتُ سؤالًا بلاغيًا -فجميعنا نعلم الإجابة- مبتسمةً نصف ابتسامة، بعد موت ضميري وحيائي... أصبحتُ أطلق النكات على الجرائم بكل برود. لا أملك أدنى خبرةٍ

حتى في القوادة والاتجار بالجنس، لن يكون الأمر بتلك الصعوبة... أعرف عددًا كافيًا من الراقصات المستعدات لأي عملٍ مقابل المال.

بادلني بابتسامةِ انتصارٍ وإعجاب، وكأنه فخورٌ بأصغر بناته.

"تبقى فقط شيءٌ واحد لأفعله، حتى أترك حياتي الماضية خلفي"

قلتُ عاقدةً ذراعيَّ ناظرةً له بجدية.

"ماذا؟"

سأل باهتمام.

"تصفية حسابات مع حارس أمن فندق"

# مدينة (أليو)، دولة (سويفين)

## فبراير، 2019

# الفصل الثاني والستون

## المتحدثة: (آنجيلا)

"مرحبًا يا حسناء، ما الذي سنفعله اليوم لشعرك الأسود الساحر؟"

قلتُ متبسمةً بوجه المراهقة التي جلست على كرسي الحلاقة والقص، لتكون أول زبونةٍ لي أستفتح بها يومي ذاك الصباح.

"أووو شكرًا للطفك! همممم، محتارةٌ بين القص فقط أو القص مع قليلٍ من الحلاقة"

قالت بنبرةٍ مبحوحةٍ امتلأت لطفًا، ناظرةً لي بعينيها الزرقاوَين.

"هل جربتِ الحلاقة من قبل؟ أو القص حتى؟"

سألتُها وأنا أضعُ على ملابسها غطاء الحلاقة، لحمايتها من الشعيرات المتساقطة.

"قصصتُ شعري من قبل قصًّا بسيطًا، لكن هذه المرة أود تجربة القصات القصيرة الجريئة"

"حسنًا، ماذا عن تجربة (البيكسي) هذه المرة دون حلق، وإن شعرتِ أنها ناسبتك تتخذين خطوة الحلاقة حينها؟"

"رأي سديد، شعري أمانةٌ عندك يا فتاة!"

قالت ضاحكةً، ممسكةً ذراعي بلطفٍ من تحت الغطاء.

بادلتُها الضحك والسعادةُ تغمرني، مبللةً شعرها بالبخاخ... والمقص والمشط بيدي الأخرى.

"لا تقلقي سيدتي، شعرك في أيدٍ أمينة"

أعشقُ الحديث مع الزبونات والدردشة معهن، فقط إن كانت أحاديثهن مضحكةً وغير مملة. لا تجعلوني أحدثكم عن الزبونات المملات اللاتي يطرحن موضوعات سخيفة للغاية، عن اقتصادٍ أو سياسةٍ أو عقاراتٍ أو ما شابه!

انضمامي لهذه الوظيفة كان بمثابةِ إنعاشٍ لي ولقلبي، فالملل والروتين كادا يقتلانني أنا و(جيني) على حد سواء. آخذها معي كل صباحٍ للصالون لتجلِس مع هاتفها المحمول، وتنشغل باللعب أو مشاهدة مقاطع الفيديو على مواقع التواصل... بينما أمارس أنا قص الشعور وصبغها وتدليكها وتصفيفها.

مددنا إقامتنا في الفندق لشهر، وأموالنا تتناقصُ شيئًا فشيئًا... لحسن الحظ أتت الوظيفة في الوقت المناسب.

"اخترتكِ أنتِ من بينهن لجمالِ شعركِ الأشقر القصير، كيف تعتنين به؟ أعاني من هذا الموضوع بصراحة... فشعري بدأ بالتساقط والتقصّف لسببٍ ما"

كلماتُ بعض الزبونات إن وُضِعَت على الجرح أطابته.

"لا تحرجيني فأفسد شعرك من الخجل والحياء"

ضحكتُ وأنا منغمسةٌ في قص شعرِها الأسود، ناظرةً لها في المرآة بين الحين والآخر.

لم يحوِ الصالون الكثير من الزبونات بحكم انتصاف الأسبوع، على عكس نهاية الأسبوع التي تهلكنا من كثرة الزائرات. أثار هذا استغرابي قليلًا من وجودها، أليس من المفترض أن تكون في المدرسة في هذا الوقت؟! أوحى شكلها بأنها لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها.

"بالنسبة لتساقط الشعر وتقصفه، فيعود هذا كله للصبغات الرديئة أولًا... والشامبوهات ومستحضرات الشعر ثانيًا... أي نوعٍ من الشامبو تستخدمين؟"

لا شأن لي بحياة الزبونات ولست أمها، فلم أسألها عن المدرسة.

"لم أصبغ شعري في حياتي، وأستعمل شامبو (نيبتون) وكل مستحضرات تلك الشركة"

"منتجاتهم رخيصة لكنها رديئةٌ جدًّا، أنصحك باستخدام مستحضرات شركة (دورز)... فأنا أستعملها دائمًا و..."

"(آنجي) انظري، هل بإمكاني التسجيل؟"

قاطعتْ (جيني) حديثنا رافعةً الجوال في وجهي، ناظرةً لي بعينيها العسليتين اللطيفتين... وشعرُها المجعد استعاد لونه البني بالكامل. ظهر في الجوال إعلانٌ لنادي شطرنجٍ في (أليو)، يستقطبون فيه اللاعبين من جميع الأعمار.

"كم مرةً أقول لك لا تقاطعيني وقت العمل"

همستُ في أذنها ويداي منغمستان بالقص والتمشيط، ناظرةً لها بحزم.

"لا مانع يا صديقتي، خذي وقتك... لا مشكلة"

قالت الزبونة بتبسُّم، وقد حنَّ قلبها على (جيني) التي كادت تعود لمكانها مكسورةً.

يا للطفها! عادةً ما تريد الزبونات الانتهاء بسرعة، ويسخطن ويغضبن حين نتأخر.

"حسنًا لا مانع، بشرط ألّا يتعارض وقت النادي مع وقت عملي... حتى أتمكن من الذهاب معك"

حجم السعادة الذي شعرت به (جيني) آنذاك تعجزُ الكلمات عن وصفه! غمرت الفرحة جسدها كله حتى ظهرتْ على محياها... وعادت لمكانها متراقصةً بفرحٍ اشتقتُ لرؤيته... منذ حدثت المصائب كلها لنا في (الأسوأ). كم فرحت حين رأيت السعادة في وجهها، لو علمتُ أن إسعادَها يتطلب الشطرنج فقط لسجلتها في آلاف النوادي والبطولات.

"كم هي لطيفة! أختك؟"

سألتني الفتاة، ناظرةً للمرآة بنصف ابتسامة.

"نعم، هذه (جولي) أختي الصغرى. المهم كما ذكرتُ لك، أنصحك بشدة بمنتجات..."

لم أستطع إكمال الجملة أيضًا، فقد قاطعني خبرٌ عاجلٌ ظهر على التلفاز المعلق للزبائن... شد انتباه كل من في الصالون... من عاملات وزبونات.

"بعد الهجمة الإرهابية الأخيرة البشعة على مدينة (سبيوم) بـ (ديستينيجا)، والتي نتج عنها مقتل عشرين طفلًا... وإصابة عشرةٍ آخرين بجروحٍ خطيرة"

تحدثت المذيعة مع ظهور جثثِ الأطفال المتقطعة، وأعضائهم المنفصلة أمام مبنى مدرستهم... ليقشعرَّ جسدي بأكمله من بشاعة المنظر. تذكرتُ والدي الذي قُتِل بالطريقة الوحشية ذاتها، لا يُعقَل أن يتهمونا نحن بهذه الأعمال البشعة... كيف نكون نحن الإرهابيات ويموت أبونا في الحوادث ذاتِها التي اتهمنا بها... أيُعقَل أن نقتل أبانا بيدنا؟!

"وبعد أن استنفد (الأسمى) الحلول كلها لإيجاد فتيات (الفاولكين)، فقد قرروا أخيرًا تعيين (الصيادين) لهذه المهمة"

"اللعنة!"

نطقت المراهقة وهي تعدلُ جلستها على الكرسي، وعيناها مفتوحتان على مصاريعهما. كان الجميع قد تركن أعمالهن وركزن بالتلفاز.. فما عرض فيه لم يكن خبرًا عاديًّا.

"إن كان لديك معلوماتٌ تساعدنا لإيجاد أي من هؤلاء الفتيات، أرجوك لا تتردد في الاتصال برقم الطوارئ

والإبلاغ"

ظهرتْ بعد ذلك رسماتنا الرديئة، لأحول نظري للأرض وعقلي غارقٌ في التفكير.. من هم (الصيادون)!؟

"سحقًا لهؤلاء الأوغاد، كيف تسمح لهم قلوبهم بارتكابِ أعمالٍ إجرامية كهذه؟!"

سخطت الفتاة هازّةً رأسَها بأسى، والحقد بادٍ على وجهها.

آهٍ لو تعلم أن مصففة شعرها أحدهم، وهي تجلس الآن بجوارها!

"لا قلوب لهؤلاء أصلًا!"

تحتّم عليَّ النفاق والكذب، فكل من في الصالون يعتقد أن (آنجيلا) وأخواتها إرهابيات يستمتعن بتفجير الأطفال!

"أبلى (الأسمى) بلاءً حسنًا حين عينوا (الصيادين)، أتعلمين أنهم لم يفشلوا في أي مهمةٍ عينهم فيها (الأسمى)؟"

أكملت الفتاة بثقةٍ ونخر، تناقضا تمامًا مع عمرها الذي توقعته... يبدو أن عقلها أكبر من عمرها.

"حقًا؟ لم أسمع بهذه المعلومة من قبل"

"نعم، منذ أن درَّبَ (الأسمى) (الصيادين) الستة، لم يفشلوا في أي مهمة... ويُقال إنهم لم يرهم أحدٌ حتى (الأسمى) الحاليون لا يرونهم... لم يرهم إلا (الأسمى) القدامى الذين دربوهم! وإذا أراد منهم (الأسمى) مهمةً

فيتواصلون معهم"

جيد جيد، عليَّ أن أستدرجها بالكلام حتى أعرف عنهم معلومات أكثر.

"عجيب، يبدو أنهم يفوقون البشر في الدهاء والذكاء!"

"يُقال أيضًا إن (الأسمى) دربوهم منذ الصغر، من بطون أمهاتهم إلى معسكر التدريب مباشرةً! أعطِيهم أسبوعًا على الأكثر، وسيأتون برؤوس (الفاولكين) للعدالة"

أثارت تلك المعلومة الفزع في قلبي، وهزَّت كياني وخلطت مشاعري... من هؤلاء (الصيادون) الذين يفوقون (الأسمى) حتى على ما يبدو في الذكاء والحنكة.

"واو، الحمد لله على وجودهم"

ناقضتْ جملتي عقلي وقلبي.

"إذًا لم يرهم أحد ولا أحد يعرف عنهم إلا هذه المعلومات؟"

سألتُها محاولةً إخفاء خوفي، عائدةً لقص شعرِها.

"نعرف أسماءهم الحركية فقط، (وولف)، (كوجار)، (كويوتي)، (فوكس)، (جاكال)، (كانيس)... وأن (كوجار) هي الوحيدة الأنثى بينهم. وهذا فقط ما نعرفه نحن، لا نعرف أين هم وكيف أشكالهم وكيف يتم التواصل معهم حتى"

وا مصيبتاه! ألقيتُ نظرةً على (جيني) التي بادلتني نظرة الخوف ذاتها، كنّا قد شعرنا بالأمان والاستقرار للتو... ويبدو أن هذا كله سيتغير قريبًا. الهجمة الإرهابية الحديثة هذه خطيرةٌ للغاية، بعيدًا عن أرواح الأطفال التي خسرناها... فقد ثبتت التهمة علينا للأبد... ولا مجال لإثبات براءتنا بعد الآن.

العاصمة (بوسكينو)، دولة (بوسكي)

فبراير، 2019

# الفصل الثالث والستون

نزل الملك (لوجان) سلالم القبو والشرر يتطاير من عينيه الخضراوَين، خالعًا جاكيت بدلة (التوكسيدو) السوداء ليرميه على الجندي الذي مشى خلفه. شمَّرَ عن أكمامه والعرق يتصببُ من صلعته ولحيته وكامل جسده، وقد احمرَّ وجهه الأبيض بعروقه البارزة. لم تبشر ملامحه بالخير على الإطلاق... بدا وكأنه مُقدِمٌ على قتل أحدهم. فتح الباب بعنفٍ مقتحمًا القبو، واتجه مباشرةً للمرأة السمراء العارية المربوطة على كرسي... والدماء تناثرت حولها وعليها.

اختلطت الدماء الجافة على الأرض مع أخرى ما زالت تسيلُ من قدمِ المرأة، بعد أن قُطِعَ إصبعٌ من رجلها اليسرى.

بعيدًا عن الكدمات والجروح والضربات التي غطت جسدها بالكامل -من وجهها حتى قدميها- وعن الدماء التي سالت وجفَّ بعضها من جميع أرجاء جسمها، كل ذلك كان هيِّنًا حتى إصبعها الذي قُطِع... مقارنةً ببشاعة ما حدث مع عينها. انتُزعت عينها اليسرى بلا رحمة، لتصبح عوراء بعين واحدة... في منظرٍ فاق كل المناظر بشاعةً ورعبًا! جفت الدماء السائلة من عينها المقلوعة على وجنتَيها، وعينها الأخرى محمَرَّةٌ بالكامل ومفتوحةٌ بشق الأنفس.

خلفها تمامًا وقفَ رجلٌ مقنّعٌ عاري الصدر، عاقدًا ذراعيه ببرود ممسكًا كمّاشةً معدنية تغطت بالدماء... ناظرًا للأمام بلا مشاعر. استقرَّ تحته على الأرض عددٌ كبيرٌ من الآلات الحادة والشفرات والمعدات المعدنية، نالت نصيبَها من نشر الألم والمعاناة في جسد المرأة.

**"أنقتلعُ عينكِ الأخرى وأصابعكِ وكامل أطرافكِ حتى تتكلمي؟!"**

صرخ (لوجان) غاضِبًا، خانقًا المرأة بيده وعيونه تنظرُ لعينها العسلية الوحيدة بحنقٍ شديد.

لم ترتعد تلك الشجاعة المقدام للحظة، وما كان ليخيفها جبروت وطغيان الملك. أجابت عن نظرات الغضب بنظراتٍ باردةٍ للغاية، زادت من غضبه واشتد خنقه لها لتبدأ يداها بالارتجاف... ليس خوفًا منه أبدًا بل بسبب ردة فعل الجسد الطبيعية مع الاختناق. أغمضتْ عينها استسلامًا واستعدادًا لمقابلة الموت، شاعرةً بروحها تغادر جسمها ببطء.

"سيدي سيدي، لن نستفيد منها إن قتلناها!"

قال الجندي المرافق للملك، محاولًا تهدئته وسحبَه للخلف حتى لا يقتلها... والمقنّعُ العضلي واقفٌ مكانه ينظرُ بجمودٍ تام.

تركها (لوجان) وهو يتنفس بشدة، ناظرًا حوله وكأنه كان فاقدًا للوعي... لتلتقط المرأة أنفاسها عائدةً للحياة.

بدأت تسعل بقوةٍ مخرجةً كمية كبيرة من الدماء، لتتساقط أجزاءٌ منها على لباس (لوجان) والجندي.

"يا لحمقك يا (سارة)، جميعهم تخلوا عنكِ حتى (بليد)... أين هو حتى ينقذك منا؟ لم يُتعِبْ نفسه بالبحث عنكِ لا هو ولا حتى الفتيات، وأنتِ ترفضين إخبارنا بأماكنهم!"

قال بسخط، ناظرًا لـ (سارة) العارية المضرجة بالدماء بازدراء.

لم ترد عليه ولم تستطع أصلًا، فالسعال ما زال متمكنًا من رئتها وجسدها... ناثرًا دماءها في كل مكان. بدت وكأن الدماء ستنفد من جسدها، لسيلانها وجريانها من شتى بقاعه!

خفَّ سعالها أخيرًا ليُمكِّنَها من التحدث على الأقل، فتحتْ عينها الوحيدة وابتسمتْ قائلة بصوتٍ مبحوح ضعيف:

"أنا حمقاء فعلًا إن أخبرتك، فتقتلنا جميعًا وقتها! انتزع ما شئت من الأعضاء أنتَ وعبدك المقنع، حتى قلبي إن أردت... فلن تحصُلَ على شيءٍ غيرها هي والدماء"

ضحكتْ بهستيريا ليزيد حقد الملك وغضبه، بعد أن عجز تمامًا عن إخراج المعلومات منها.

رنَّ جوال (لوجان) فجأةً وأخرَجَهُ ليرى المتصل. ناوله الجندي ليرد على الاتصال، فلم يكن في مزاجٍ

يسمح بالحديث مع أحد. أجاب الجندي على الاتصال و(لوجان) يرمقُ (سارة) بنظراتٍ قاتلة، لتَرُدَّ عليه الأخيرة ببرودٍ قتلَهُ من الداخل... رافضةً إعطاءه حتى الخوف والرعب منه. تغيرَ وجهُ الجندي وهو يستمع للمتصل، موافقًا على الأوامر القادمة دون تردد. أنهى الاتصال ناظرًا للأرض، ونظراتُ الصدمة المختلطة بالخوف باديةٌ على وجهه.

"انطق! ما الذي أراده الوزير (ألفونسو)؟!"

لم يكن صراخ الملك عبثًا، فقد أثار الجندي فضول كل من في القبو... حتى المقنَّع.

"ا.. ا.. (الصيادون) علموا بأن (سارة) لدينا. أخبروا (الأسمى) واتصلوا بنا لنحضر لهم (سارة) هم..."

**"اللعنة عليهم! كيف علموا بحق الجحيم؟! وبهذه السرعة! يبدو أنني مُحاطٌ بالخونة هنا"**

كاد يبول الجندي في بنطاله من الخوف، ناظرًا للأرض بعينين مرتعدتين... رافعًا كتفيه للأعلى دون علم. وضع يديه على رأسه محاولًا تمالك أعصابه، مستديرًا للخروج من القبو.

"فليأخذوها فلا فائدة منها أصلًا، وسنجد حلًّا آخر للإمساك بهم قبل (الصيادين)... حتى لو حال الموتُ بيني وبين الإمساك بالشرذمة (الفاولكين) وإبادتهم!"

مدينة (كولومبا)، دولة (كوتشينو)

فبراير، 2019

# الفصل الرابع والستون

## المتحدثة: (آفا)

"أن تكوني لغيري خيرٌ من ألّا تكوني في الوجود أصلًا!"

قال الرجل مقتربًا من عشيقته ببطء، وهي تقف على حافة البرج.

"لا أطيق الحياة من دونك! لا طعم لها ولا تُسمَّى حياةً حتى!"

أجابته وهي تستدير لتتأهَّبَ للقفز من أعلى البرج، بفستان زفافها الأبيض.

أسرع الرجل لينقذها غصبًا، فلا جدوى من النصيحة والاستعطاف. رمتْ بنفسها من الأعلى ليُمسِكَ يدها في الوقت المناسب، وهي تحاول الإفلات منه ودموعُها تتساقط.

فتحتُ عيني ببطءٍ لأرى التلفاز مفتوحًا أمامي، وقد تداخل الفلم في أحلامي وأنا بين اليقظة والنوم. مسحتُ لعابي السائل حول فمي، آخذةً جهاز التحكم بالتلفاز لأغلقه وأرتاح من إزعاجه. أسندتُ ظهري على الأريكة حتى أستوعب ما حولي، لِمَ أنا نائمةٌ على الأريكة أساسًا؟ آهه، عدتُ بعد ليلةٍ حافلةٍ مع (آليس) ولم أستطع حتى الوصول لسريري من شدة التعب. فرقعتُ أصابعي وظهري وكل عظمةٍ قابلةٍ للفرقعة في جسدي، ونشاطي يعودُ لي

بالتدريج.

نهضتُ أخيرًا من مكاني واتجهتُ للحمام، بجينزي القصير وقيصي الأحمر العاري البطن... وقرط سرتي الفضي يتدلى منها. غسلتُ وجهي سريعًا وذكريات ليلة البارحة تعود لي شيئًا فشيئًا، كانت من أجمل الليالي التي قضيتها في حياتي. شاهدنا مسرحيةً دراميةً رائعةً للغاية، برع فيها ممثلوها أيما براعة... عاشوا الأدوار الموكلة لهم بشكلٍ خيالي. ثم قضينا بقية الليلة في حفلٍ لأحد المغنين المشاهير بـ (كوتشينو)، على الشاطئ بحضور الآلاف وسط الأجواء الجميلة... ليلةٌ تفوق الوصف في جمالها وروعتها!

خرجتُ لغرفة المعيشة وشعورٌ غريبٌ ينتابني، لم أعلم ما هو بالضبط. هناك شيءٌ ناقص اليوم... ما هو يا تُرى؟! دخلتُ المطبخَ وعبأتُ غلاية الماء من الصنبور، وذهني منشغلٌ بهذا الشعور العجيب... كلما اقتربتُ من وضع يدي على الشعور أفلتَ من يدي مباشرةً وتملص! وقعتْ عيني على ورقةٍ مُلقاةٍ على الأرض بالقرب من باب غرفة الفندق، أغلقتُ الصنبور ووضعتُ الغلاية جانبًا... ثم هرعتُ للورقة بفضولٍ وقلق.

"عزيزتي (هيزيل)، أتمنى لك مساءً سعيدًا.

أتاني ظرفٌ طارئٌ حتَّمَ عليَّ مغادرة البلاد والسفر إلى (فويجو)، لم أملك الوقتَ حتى لتوديعك ولم أُرِد إيقاظكِ من النوم... فاقبلي مني هذه الرسالة واعذريني على توديعي

لك وإخبارك بهذه الطريقة. لن أُطيلَ المكوث هناك، أسبوعان أو ثلاثة على الأكثر وسأعود.

كوني بخير، صديقتك (آليس)"

ها هو ذا سببُ شعوري بالغرابة، كانت مكالمات (آليس) هي التي توقظني دائمًا... أما ذاك اليوم فقد أيقظني التلفاز بذاك الفلم الروماني السخيف. شعرتُ بضيقةٍ شديدةٍ وتساقطت دموعي، لا أحدَ يخبر صديقه برحيله بهذه الطريقة السيئة. وفوق هذا لم تذكر لي حتى سببَ سفرها لـ (فويجو)، مما آلمني كثيرًا فقد اعتقدتُ أني صديقتها المقربة والمفضلة! مزقتُ الورقة ورميتُها خلفي، ماشيةً لغرفتي ودموعي تخرج رغمًا عني. أغلقتُ الباب بعنفٍ وارتميتُ على السرير، لتبدأ الهموم بالتكالب علي من كل صوب!

نفقد أمنا وعائلتنا بالكامل، ثم نفقد أختنا الأشجع والأصلب... كانت بمثابة الصخرة لنا أمام كل الهجمات! ثم نصبح مطلوباتٍ من العالم أجمع، ونُتهم بجرائم لم نتعلم أسماءها بعد حتى. لتكتمل حفلة المصائب بتفرقنا في أنحاء (الأسوأ) ومن ثم قطع علاقتنا بعضنا ببعض، وشكوكنا عن كوننا فعلًا شقيقات... وكون أمنا (فيوليت)... هذا كثيرٌ علينا يا دُنيا... كثير!

امتدت يدي للدرج بجانب السرير، لأحدق بالكمبيوتر المحمول ببرود... اجتمعَ الغبار عليه بشكلٍ محزن. يا لي من

حمقاء، تركتُ أخواتي من أجل (آليس)... باحثةً عن الوفاء والمحبة والحضن الدافئ بعيدًا عن العائلة.

رفعته ومسحتُ عنه الغبار، لأفتحه بشوقٍ وندم.

(قم بتوصيل الجهاز بقابس الشحن)

بدت العبارة تلك وكأنها توبخني على تركي لأخواتي فترةً طويلة، فقد كنت أشحن الجهاز دائمًا قبل الخلود للنوم... كيف سمح لي قلبي بتركهن؟! وصلتهُ بالشاحن وشغّلتُه، وانتظرتهُ حتى ظهرتْ شاشة البدء. دخلتُ برنامج اتصالنا مباشرةً وكلي حماسٌ أن تكون إحدَاهُن متصلَةً على الأقل. وكما توقعت، دوائرهن كلها رمادية.

رميتُ المحمول جانبًا وخيبة أملي كبيرة، كم اشتقت لهن ولرؤيتهن... بمن فيهن (ستيف) التي تخلت عنا تخلي الكلاب.

خطرت ببالي فكرةٌ جنونية وقتَها، سرت بسببها رعشة الحماسة والقلق معًا. لِمَ لا أزورُ (جيني) و(آنجي) زيارةً مفاجئةً في فندقهما، فحسب ما أتذكر أنهما لا تزالان في فندقهما ولن تغادراه -إلى آخر مكالمةٍ بيننا- فما الذي سيحدث لو زرتهما؟! مضى الكثيرُ من الوقت ولا خبر أو أثر لـ (بليد) و(سارة)، ومضى أكثر من أسبوعين أصلًا. أرحتُ ظهري على السرير مفكرةً في أفضل طريقةٍ لزيارتهما، وعلى سبيل التمني البقاء معهما هناك من الآن وصاعدًا... والخوفُ يعتريني مع الحماس والشوق.

مدينة (أليو)، دولة (سويفين)

فبراير، 2019

# الفصل الخامس والستون

## المتحدثة: (آفا)

غادرتُ المطارَ حاملةً حقائبي الثلاث، حوت أموالي وملابسي ومكياجي وجميع حاجياتي... مترنِّحةً في المشي من ثقل ما حملته وما لبسته. لم أندم على الفستان البنفسجي الذي لبسته، بأكمّافه البارزة الثقيلة... ففخامته وجماله استحقّا العناء.

أرعدت السماء وأبرقت مغطاةً بالسحب، والساعة قاربت الخامسة عصرًا... مما جعلني أحثُّ الخطا لفندق (سباينل) الذي أتمنى ألّا تزال (جيني) و(آنجي) تسكنان فيه. لم أعلم إن كنت سأجدهما هناك أو لا، لم أعلم إن كانتا نائمتين أو مستيقظتين... بل لم أعلم حتى إن كانتا في المدينة نفسها! كل ما أعرفه أن اسم الفندق (سباينل) بجوار مطار (أليو) الدولي، في غرفة (127) في الدور الأول... هذا فقط ما علمته على وجه اليقين. دخلتُ الفندق ووضعتُ الحقائب على الأرض لأرتاح قليلًا، بعد أن أهلكني حملها وحدي دون مساعدة.

"دعيني أحمل عنكِ هذه الحقائب، سيدتي"

هووووف، مضى وقتٌ طويلٌ منذ سمعتُ أحدًا يتحدثُ الإنجليزية بطلاقة... دون اللكنة اللاتينية التي اعتدتُ عليها في (كوتشينو)... ناهيك عمّن لا ينطق بالإنجليزية أصلًا.

"شكرًا لك، لغرفة (127) الطابق الأول"

قلتُ متبسِّمةً وأنا أمشي للمصعد، وسط البهو الممتلئ بالنزلاء من مختلف الأعمار والأجناس.

كنتُ حرفيًّا الوحيدة السمراء هناك، جميعهم إما بيضٌ أو حنطيون... كم هي عجيبةٌ تلك الحرب التي قسمت الدول حسب الألوان! حين درستُها مع (جريس)، لم أتوقع أنها ستكون بذلك الوضوح... لكن الحمقى فعلًا قسموهم كعلبة ألوان.

فُتِحَ المصعد أمامي بمجرد وصولي له، دون أن ينظر أحدٌ لي بغرابة رغم اختلاف لوني... مما أراحني كثيرًا. خرج فوجٌ كبيرٌ من المصعد ودخلتُ مع الخادم، حاملًا الحقائب بعربيته المتحركة... لأضغط زر الدور العلوي الأول.

ماذا أفعل إن لم تكونا موجودتين؟ يبدو أني سأحجز غرفةً في الفندق وقتها حتى أفكر في خطوتي القادمة، إن لم أجدهما.

وصلنا للطابق ومشيتُ خلفَه، ليُفتَحَ أحدُ الأبواب وتخرج منه فتاةٌ اشتقتُ لرؤيتها واحتضانها وتقبيلها... ببنطالٍ رياضي وتيشيرتٍ عادي. كل شيءٍ فيها هزَّ الذكريات في عقلي، من عينيها العسليتين حتى شعرها البني المجعد... وبشرتها البيضاء الشاحبة. قطَّبتْ حاجبَيها عند رؤيتي وتسمَّرت مكانَها مصدومةً، لتلاحظَني رفيقتُها الشقراءُ

الكبيرة بنظارةٍ زرقاء جديدة.

لوحتُ لهما متبسِّمةً والشوقُ يغمرني، وقد اختلطت مشاعرهما بين الصدمة والشوق والخوف... واقفتَين مكانهما دون حركة. أخذتُ حقائبي من الخادم وشكرتُهُ ليستديرَ عائدًا للمصعد، بينما أنا أجري لغرفتهما وقد سقطت دمعةٌ على خدي.

"حتى إن كان هذا حلمًا فلا أريد أن أصحو منه!"

نطقتْ (آنجي) وأنا أقتربُ منهما، بينما فتحت (جيني) ذراعيها منتظرةً حضنًا طويلًا.

وضعتُ الحقائب على الأرض بعد أن نسيتُ الحياة بأسرها، لأحتضن أختي الصغرى -رغم عدم يقيني من أخوّتنا الدموية- حتى كادت ضلوعها الصغيرة تتكسر.

"كم افتقدتك يا روحي"

قلتُ ودموعي تتساقط، مطبطبةً على ظهرِها برقة.

"وأنا أيضًا"

اشتقتُ لصوتِها الرقيق الطفولي، أشعرني بالحنان والنعومة بمجرد ملامسته لأذني.

لم أُرِد إنهاء ذاك العناق الطويل، لولا اشتياقي لأختي الأخرى على الرغم مما حدث بيننا من شجار. فتحتُ ذراعي لها لتسحبَني بحرارة ولهفة، محيطةً جسدي بذراعيها الكبيرتين.

"فلننقُل هذا اللقاء الحميمي للغرفة، تفضلي فلدينا الكثيير لنتحدث عنه!"

قالت (آنجي) حاملةً حقيبتين وحملتُ أنا الثالثة، داخلات الغرفة.

"كيف علمتِ أنا لا نزال نسكن في الفندق؟"

سألت (آنجي)، داخلةً المطبخ الصغير المطل على غرفة المعيشة.

"توقعتُ فقط، ولم تخب توقعاتي. أخبراني أنتما ما جديدكما؟"

قلتُ متبسِّمةً ماسحةً دموعي، وأنا أرتمي على الأريكة.

"(آنجي) تعملُ في صالون شعر، وانضممتُ حديثًا لنادي شطرنج"

قالت (جيني) جالسةً بجانبي، وقد عاد شعرُها لطبيعته البنية... وبدتْ حالتها النفسية أفضل من ذي قبل.

"أووووو، ملكة الشطرنج تعودُ بقوة بعد الاعتزال!"

احمرَّت وجنتا (جيني) خجلًا وتظاهرتْ بالنظر لـ (آنجي) في المطبخ.

"في الحقيقة، كنا متجهتين للنادي للتو. أخبرينا أنتِ عمّا فعلتِهِ وما جدَّ معكِ"

قالت (آنجي)، واضعةً قراطيس الشاي في الأكواب.

"بصراحة، لم أعثر على وظيفة وقضيت كل وقتي مع (آليس)... حاولت إقناعي بالانضمام لفريق المسرح التمثيلي لكني رفضت"

سكتُّ قليلًا ناظرةً للأمام، متذكرةً أيامي معها ولطفها وطيبتها وحنيتها وكل شيء فيها.

"لا ألومك بصراحة، فلم نتوقع بقاءنا لأكثر من أسبوعين... ولن يظهر (بليد) و(سارة) بعد كل هذا الوقت"

نطقتْ (آنجي) وهي تسكبُ الماء المغلي على أكواب الشاي الثلاثة.

صمتنا جميعًا فلم نعلم ما نقول، وقد مللنا من التشكِّي والتأسي على أوضاعنا... تقدمت (آنجي) حاملةً أكواب الشاي بهدوء. وضعتها على الطاولة أمام الأريكة، وجلبت كرسيًّا لتجلس عليه بجانبنا.

"هل سنجلس هنا ونتجاهلُ الجماعة الموكلة بالإمساكِ بنا المدعوة بـ (الصيادين)؟!"

نظرتْ إلينا (جيني) بجدية فاقت عمرها بكثير، كل تصرفاتها أصبحت تفوق عمرها بعد المصائب التي لاقتها.

"لم أعلم بوجود جماعةٍ كهذه بصراحة، حتى أُعلِن عن توكيلهم لإيجادنا. (الأسمى) مستميتون في القبض علينا بأي طريقة، ولم ينجحوا حتى هذه اللحظة"

احتسيتُ كوب الشاي وأنا أتحدث، لم نعد نهتم بسماع (جيني) لأي شيء... مما أراحنا كثيرًا.

"ولن ينجحوا... أحماضنا النووية لن تُظهِرَ أي ارتباطٍ بجثة أمي. دعيهم يبحثوا حتى يجن جنونهم ويسأموا!"

ضحكت (آنجي) وهي تمسك بكوبها، وضحكنا معها وكأنها ألقت نكتة... بعد أن اعتدنا على كوننا ملاحقاتٍ من كل العالم.

"لكن (آفا)، ما الذي جعلكِ تقررين زيارتنا الآن بالذات؟"

سألت (آنجي)، آخذةً رشفةً من كوبها.

"لا أعلم ما أقول لكِ بصراحة، فقد رحلت (آليس) بلا وداعٍ لائق... رغم صداقتنا الوثيقة! قالت إن عليها السفر لـ (فويجو) لظرفٍ طارئ وستعود بعد أسبوعين، لم تقُل حتى... بل كتبت هذا الكلام على ورقة ورمتها تحت باب الغرفة"

"لم يطمئن قلبي لها بصراحة منذ البداية"

كلنا علمنا شعور (آنجي) تجاهها، فقد قالت بصريح العبارة مرارًا وتكرارًا ولم أستمع لها.

"تبدوان مرهقتين، أستطيع أن أؤجل ذهابي للنادي"

قالت (جيني)، واضعةً كوبها على الطاولة... محولةً نظراتها بيننا.

"لااااا، أرجوكِ! نمتُ الوقت كله في الطائرة حتى تعبتُ من النوم! وأنتِ يا (آنجي) لو كنتِ متعبةً فسأصحبُ (جيني) للنادي ونقضي وقتًا ممتعًا"

صفعتُ نخذها بلطف ضاحكةً.

"كان لدينا الكثير من الزبونات اليوم وانضغطنا في العمل، لكن هل تعرفان الطرقات وما..."

"عشتُ في دولةٍ لاتينية لا تتحدث الإنجليزية، وأحاط بي الذئاب يومًا في غابة... أعتقد أني أستطيع مخارجة نفسي في هذا البلد الإنجليزي!"

قاطعتُ (آنجي) بابتسامة كبرياء ونخر، وعيونهما تُفتَحُ على مصاريعها من هول ما سمعتا... بينما جلستُ هناك بثقة وبرود.

"هذه قصةٌ لوقتٍ آخر، لا نريد تأخير (جيني) عن مباريات الشطرنج الحماسية!"

قلتُ محتسيةً رشفةً من كوبي، لأضعه على الطاولة وأقوم من مكاني.

"نادي (أليو) للشطرنج بحي (سبينيوس)، لا تحدثا مع الغرباء وإن سألوكما فقولا أصدقاء و..."

"(آنجي) المعتادة وحرصها الزائد على اللزوم، من المفترض أن أكون أنا من يعطيكِ التعليمات.. احترمي أختك الكبيرة!"

قلتُ صافعةً كتفها، متجهةً نحو باب الغرفة.

"العمر مجرد رقم، والاحتياط واجب"

قالت وهي تعطي (جيني) بعض الدنانير الفضية.

"حسنًا"

إن بدأت (آنجي) نقاشًا فلن تنهيه حتى اليومِ التالي، فوافقتها على ما قالته. غادرنا الغرفة ومظهرنا غريبٌ للغاية، سمراء ثلاثينية بكامل زينتها مع مراهقةٍ بيضاء بلباسٍ عادي جدًا. نزلنا لبهو الفندق وكلي حماسٌ للخروج، لا أحب الجلوس في المنزل أبدًا وأدمنتُ التنزه حتى أوقاتٍ متأخرة من الليل.

"هل ستتبعين خطتك نفسها المعتادة في اللعب؟"

سألتُها ونحن نغادرُ الفندق، لتتوقف أمامنا عدة سيارات أجرة جاهزة للتوصيل. تفرَّقت السحب ليعود الجو صحوًا، وتوقفت السماء عن إرسال بروقها ورعودها... لتعود الشمسُ مرسلةً أشعتها الخفيفة مع القليل من الرياح.

"سأجربها ونرى"

قالت ونحن نركب السيارة، بابتسامةٍ تبعث السعادة في النفس.

"نادي (أليو) للشطرنج بحي (سبينيوس) من فضلك"

قلتُ لسائق الأجرة المسن، مغلقةً بابي.

"حاضر"

بدأنا بالتحرك في شوارع (أليو) العادية، والتي اختلفت نسبيًّا عن تلك التي في (كولومبا)... بغض النظر عن بياض السكان وسوادهم.

"ألم تستأجرا سيارةً حتى الآن؟"

"لم نتعلم القيادة أصلًا"

قالت هامسةً في أذني، لتضحكَ بعدها بلطف.

"تعلمتُ القيادة، وسنستأجر سيارةً بعد الانتهاء من النادي"

همستُ لها رافعةً حاجبي، لتفغرَ فمها من الدهشة... رافعةً إبهامها لأعلى.

انشغلنا بالنظر للطريق بعدها والغوص في أفكارنا، نظرًا لعدم قدرتنا على الكلام بشفافية مع وجود غريبٍ معنا. اهتدى السائق بجهاز الملاحة وهذا طبيعي، فكيف لُمِسن أن يعرف مكان نادي شطرنجٍ محلي... إن كان يعرف ما هو الشطرنج أصلًا! توقفَ عند مبنًى صغيرٍ لم توضع عليه لوحةٌ حتى، ونطق برنامج الملاحة معلنًا وصولنا.

"عشرة دنانير فضة"

أخرجت (جيني) النقود وأعطتني إياها، لأسلمه منها عشرة وخرجنا من السيارة.

وضعتُ الباقي في جيبي ودخلنا المبنى، لنرى الطاولات قد وُضِعَت في الفناء الخارجي... جلس إليها العديد من اللاعبين من مختلف الأعمار... منهمكين في مبارياتهم الشيقة.

"أهلًا وسهلًا بكما، هل ترغبان بالانضمام للنادي؟"

استقبلنا شاب عشريني غايةً في الوسامة، تلاعبت الرياح بشعره الناعمِ الأشقرِ المُسَرَّح لليمين... وعيناه البنيتان لمعتا تحت ضوء الشمس الخفيف.

"اسمي (جولي مورجان)، أبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا... وأود الانضمام للنادي"

قالت (جيني) بتبسُّم، ناظرةً للشاب الذي انعقد لساني حين رأيته.

"مرحبًا بكِ بيننا يا (جولي)، ماذا عنكِ؟"

أشار إلي وأنا أتجنبُ التقاء أعيننا من الخجل.

"لا، شكرًا، فقط هنا لأشجع صديقتي"

أجبتُهُ متظاهرةً بالنظر لطاولات الشطرنج أمامي، والتي توزعت في الفناء تحت الأجواء الرهيبة.

"حسنًا، املئي هذه الورقة ريثما آتي"

ناول (جيني) ورقةً وقلمًا من الطاولة بجانبه ومشى لفتاة وقفت بين الطاولات، مما أوحى لي بأنها منظمةٌ معه أو ما

شابه.

الاسم، العمر، رقم الجوال، المستوى، منذ متى تلعب الشطرنج، كيف عرفت نادينا... بدأت (جيني) بتعبئة البيانات بحماس بينما وقفتُ هناك أتأمل اللاعبين ورُقَع الشطرنج... وكيف حركوا القطع عليها بدهاءٍ وحكمة.

"لاااا، لِمَ اخترتِ المستوى المبتدئ؟ وجب عليك وضع محترف!"

وكزتُها بتشجيع، فـ (جيني) كانت الأفضل في الشطرنج في (الجزيرة المجهولة) بعد (نوفا) بالطبع... وعن نفسي فلا أحب لعبها البتة... ونسيتُ طريقة لعبها حتى.

"سيكونون محترفين وخبراء للغاية"

أجابتْ وهي منهمكةً في الكتابة، متبسِّمةً دون أن تنظر لي.

عبّأت الورقة وتحركنا للمشرف الوسيم، واستلمها مشيرًا لطاولةٍ جلسَ أمامها فتًى مقاربٌ لعمر (جيني)... لكن علامات الغباء باديةٌ عليه.

"فلنرَ ما لديكِ (جولي)"

قال المشرف مربِّتًا على كتفها، وقد انغمستُ في جمال شعرِهِ الأشقر الساحر... وهو يحركه بيده باستمرار.

ذهبنا للطاولة وجلست (جيني) مصافحةً الولد، ووقفتُ بعيدًا عنهما قليلًا حتى لا أوترهما. افتتحتْ (جيني) اللعبة

مباشرةً بخطوةٍ واثقة، لأسرحَ بتفكيري بعيدًا عن الشطرنج الممل.

"تفضلي استريحي"

قال الشاب واضعًا لي كرسيًّا، وقلبي يخفقُ كل مرةٍ أراه فيها.

"شكرًا لك"

جلستُ بحياءٍ ووجنتين محمرتين رغم سماري، وتظاهرتُ بتركيزي بالمباراة... وعقلي يجول في عينيه البنيتين.

"لم أرَ أحدًا يلعبُ بهذه الطريقة في حياتي كلها!"

قال المشرف متعجبًا، صابًّا جام تركيزه بالمباراة.

لم يطُل تركيزه فلم تلبث (جيني) أن غلبتْ ذاك الولد... في أقل من خمس دقائق!

"(لوسي) تعالي اشهدي أسرع مباراةٍ في التاريخ!"

نادى المشرفة الأخرى وهرعت لنا، ليجتمع حول الطاولة بقية اللاعبين... وكأنهم يشهدون معجزةً من نوعٍ ما. أبديتُ اهتمامي ووقفتُ خلف (جيني) حمايةً لها، بينما أبدى الجميع انبهارهم بقدراتها.

"أعتقد أن لدينا أسطورة لن تتكرر، أعيدي ترتيب القطع"

قال المشرف مُقيمًا الصبي من مكانه، ليجلس هو

و(جيني) ترتب قطعها.

أعادتِ افتتاحيتها المعتادة مثيرةً استغراب الجميع، وأنا واقفةٌ بينهم كالأطرش في الزفة! أحاطتْ هالةٌ من التوتر والقلق بتلك المباراة، واضحةٌ جليةٌ حتى لمن لا يفهم اللعبة... من ملامح (جيني) والمشرف الوسيم وتحريكهما للقطع. طالت تلك المباراة والجميع محيطُون بالطاولة، وكأنها مباراةٌ نهائيةٌ بين أبطال العالم للشطرنج... وأنا أربت على كتف أختي بين الفينة والأخرى حتى يخفَّ توترها.

مد المشرف يدهُ بحرارةٍ قائمًا من مكانه، فاتحًا عينيه على مصاريعهما وهو يقول:

"أقر أنا (لويس موديني) أني أرى أمامي بطلة العالم للشطرنج، صديقتك أفضل لاعبةٍ في هذا النادي بأسره... وتحريكاتها للقطع لا مثيل لها في كل المباريات التي دونتها الدواوين!"

كان الأمر أشبه بالخيال! لم أصدق الموضوع في البداية لكن شيئًا مهمًّا خطر في بالي وقتها، (جيني) و(نوفا) لم تلعبا مع أحدٍ خارج (الجزيرة المجهولة)... فهل من المعقول أن أسطورتين من أساطير الشطرنج كانتا بين أيدينا كل هذا الوقت دون أن نلاحظ؟!

مدينة (7)، دولة (فويجو)

فبراير، 2019

# الفصل السادس والستون

جلس الستة حول طاولة الاجتماعات بصمتٍ معتاد، دون أن ينظر أحدٌ منهم للآخر... ووجوههم قد تغطت بأقنعةٍ غريبةٍ بشعة. كل منهم ارتدى قناعًا لأحد الحيوانات المفترسة، الوولف (7) والكوجار (8) والجاكال (9) والفوكس (10) والكانيس (11) والكويوتي (12) ... أما ملابسهم فقد كانت عادية كسائر البشر. ابيضّت بشراتهم جميعًا، عدا (كوجار) و(وولف) الأسمرين... كما أوضحت أذرعتهما وأيديهما.

"كما لا يخفى عليكم من الأحداث الجنونية الحاصلة مؤخرًا، فلن نضيع وقتنا هنا. لا فائدة مرجوة من (سارة) فلن نضيع وقتنا معها أيضًا، كل ما نستطيعُ فعله هو استشفاف ما لا نعلمه من (نائين)... بالترهيب فقط. لا وقت للأسئلة المكررة التي سبق وأجاب عنها في التحقيقات وعلمناها من (الأسمى)"

تحدثَ (وولف) بصوتٍ مكتومٍ جراء قناع الذئب المغطي لفمه، مشيرًا لغرفةٍ خلفهم وسمرة بشرته وترهله واضحَان من يده.

لم يزد أحدٌ على كلامه شيئًا، وقام (فوكس) القصير الأبيضُ اليدين للغرفة ليفتحَ بابها... لتظهرَ (سارة) مربوطةً بكرسيها بعينها المفقوءة. في زاوية الغرفة وقفَ (نائين) مرتعدًا ونظرهُ للحائط، من هول ما رأى على المرأة التي

ربته مع أمه... بجروحها وكدماتها وأطرافها المقطوعة. التفتَ ليظهرَ بللُ بنطاله الجينز، من المنطقة الحساسة حتى قدمه... ورائحة البول عمَّت الغرفة. أشار له (فوكس) ليتبعه، وما انتظرَ ثانيةً واحدة... غادرها سريعًا والارتباك والخوف مهيمنَان على ملامحه وتحركاته.

أجلسَه (فوكس) على أحد الكراسي البعيدة عن البقية، وهو يجولُ بعينيه المرعوبتين حول الغرفة... وقلبُهُ ينبض بسرعةٍ عاليةٍ كلما حول نظره للمقنَّع التالي.

"الكذب أو التحايل سيجعل مصيرك كـ (سارة)، أخبرني عن اهتمامات الفتيات بالتفصيل"

قالت (كوجار)، صوتُها وجسدها أثبتا أنوثتَها... و(نائين) يتلفَّت دون أن يعرف صاحب الصوت من المقنَّعين الستة حوله. استسلم وعدل جلسته ليبدأ بالحديث، بعد يقينه التام بصدق وعيدهم... فقد رأى ما فُعِلَ بسارة:

"بـ.. بالنسبة للبنات فقد.. فقد كانت (جيني) و(نوفا) تحبان الشطرنج حبًّا شديدًا، و(آلـ..) و(آليكس) و(آفا) التوءمتان أحبتا التمثيل وكان شغفهما وشغلهما الشاغل في الجزيرة، (آنجي) تحب تصفيف الشعر وصبغه وقصه وكل شيءٍ له علاقةٌ بالشعر.. و(ستيف) لم يكن لديها شغفٌ بصراحة... إلا أنها عشقت الخمر كثيرًا والسجائر"

أجابَ متلعثمًا تحت الضغط الشديد منهم، بنظراتهم المتوحشة التي سلطوها عليه من خلف الأقنعة... وكأنهم

فعلًا حيواناتٌ مفترسةٌ على وشك الانقضاض عليه! ما تجرأ البتة على التحديق بأحد، اكتفى بالنظر إما لبنطاله المبلل أو الطاولة والأرض. لم يحمل أي منهم سلاحًا من أي نوع، ولا حتى شفرةً... كانت نظراتهم وأقنعتهم وأصواتهم مرعبةً كفاية.

"حذرناك يا فتى من محاولة الكذب"

نطقَ (جاكال) لأول مرة، مشيرًا بأصبعه الأبيض الممتلئ بالشعر.

أومأ (نائين) مبتلعًا ريقه بصعوبة، حتى كاد يعلق في وسط حلقه من شدة الجفاف.

"ماذا عن (بليد)؟"

سأل (كويوتي) عاقدًا ذراعيه، وكأن (الصيادين) قد خططوا لمحادثتهم مع (نائين) بالكامل وتدربوا عليها قبل دخوله.

"(ب...) (بليد) أحبَّ التقنية كثيرًا، كان دائمًا ما يصلح أي أعطالٍ تقنية نواجهها هناك... خبيرٌ ومحترفٌ في الاختراقات على وجه التحديد"

أدلى (نائين) بدلوه دون تردد، بعد أن واجه الكثير من الضغط والمعاناة من (دريكسِل) و(لوجان) و(الأسمى) ... وأخيرًا (الصيادين) الذين لم يشكك بوعيدهم وما هم قادرون على فعله له.

عادَ الصمتُ المطبِقُ للغرفة بعد فراغهم من الأسئلة، دون أن يشارك (فوكس) أو (كانيس) بحرف. أنتنَ بولُ (ناثين) الأرجاء والأجواء برائحته التي لا تطاق، حتى فاقد الشم ستُعيدُ له الرائحة حاسته من شدة قذارتها!

أشارَ (وولف) لـ (فوكس) بأن يعيد (ناثين) لغرفته، بعد أن صرعهم برائحة بوله النتنة. فهِمَ (ناثين) المراد وقام من تلقاء نفسه، ليعودَ للغرفة مطأطئ الرأس برفقة (فوكس)... بعد أن وشى بأصدقائه الوحيدين الأحياء في هذا العالم مرغَمًا. أُغلِقَ عليه الباب وهو مستسلمٌ تمامًا، لم يفكر حتى بالهرب... هو عالمٌ في قرارة نفسه أن لا مهرب من هؤلاء الوحوش الطغاة.

"(كوجار) موكلةٌ بإحضار (آفا) لي بأي طريقة وبأسرع وقت، ابحثي عنها في الدول السوداء... وركزي في البحث على المسارح صغيرها وكبيرها"

أشار (وولف) لـ (كوجار) والتي أومأت مباشرةً دون تفكير.

"(جاكال) موكلٌ بإحضار توءمتها (آليكس)، ابحث عنها في دول السود أيضًا وفي المسارح خصوصًا"

أومأ (جاكال) ضاربًا الطاولة بقبضته المشدودة، واعدًا رئيسه بإتيانه بالفريسة بأسرع وقت.

"و(كويوتي)، أمر (ستيفاني) عندك... أحضرها بطريقتك من الدول البيضاء... حتى لو اضطررت لدخول

جميع الحانات"

ما كان أحدٌ منهم ليتردد أو يرفض، وبدوا واثقين في قدراتهم ثقةً عمياء!

"(آنجيلا) ستكون لك (كانيس)، و(جينيفر) سيتولى (فوكس) البحثَ عنها. اتركوا لي (بليد) فسأتعامل معه وأجده بطريقتي الخاصة، نحتاج واحدةً منهن فقط وستدلنا على البقية... لذا بمجرد أن تجدوا أيهن أبلغونا"

أعطى (وولف) تعليماته قائمًا عن كرسيه، وبقية (الصيادين) يوافقونه... بأقنعتهم الحيوانية.

"لا أهتم كيف ستحضرونهن لي، أريدهن أمامي بأي طريقةٍ كانت"

ألقى كلماته الأخيرة منصرفًا، ليتَبَعَهُ البقية كحيواناتٍ مفترسةٍ خرجت من أقفاصها للتو... ولم تأكل منذ مدة.

العاصمة (فريك)، دولة (أوبيا)

فبراير، 2019

# الفصل السابع والستون

## المتحدثة: (ستيفاني)

"لا ترفعي سقفَ آمالك كثيرًا، ما هذه الفكرة الخيالية التي ستُحدِثُ ذاك التغيير الكبير؟!"

حبَّطَتْني (يولندا)، متلاعبةً بشعرها الأحمر المفرود... جالسةً على سريرها المخملي الطاغي الأنوثة.

"أنتِ فقط غيورٌ لأني قد أترقى بهذه الفكرة!"

امتد لساني للخارج رافعةً حاجبي، ناظرةً لانعكاسها في المرآة فظهري كان موجهًا لها.

اكتفت بتدوير عينيها مرتميةً على سريرها، غارقةً في أفكارها. رفعتُ شعري البني على هيئة كعكة سريعًا، والشكوك تراودني حول تلك الفكرة. ماذا لو كانت الفكرة غبية كما تعتقد (يولندا)، رغم عدم علمها بها إلا أنها أثارت التساؤلات في رأسي. لم يكن يعلمها أحدٌ غيري أصلًا، جرأتها وغرابتها منعتاني من إخبارها أحدًا سوى الملكة بنفسها.

أخذتُ نفسًا عميقًا وتناولتُ شنطتي، ثم توجهتُ للخارج بثقة.

"حظًّا موفقًا!"

تهكمت الحمقاء، ضاحكةً ضحكتها المعتادة المستفزة... مما

أرغمني على رفع الإصبع الأوسط لها في طريق خروجي.

انتقل مقر سكني مع بقية المجندات إلى العاصمة (فريك)، لم يكن بيتًا عاديًا، ولا فيلا فاخرة... بل القصر الملكي بحد ذاته! نعم، مع الملكة (آجنيس) نسكن كلنا... من (A) -أنا- وحتى (Z) -وهي (زهير)- واعتبرتنا كأخواتها تمامًا. بصراحة، لم أندم بعدها على أي مهمة قمتُ بها لأجلها... فمعاملتها لنا فاقت الوصف من جمالها ولطافتها. وهذا الذي أعطاني الشجاعة لأبوح بفكرتي لها أخيرًا، مع قليل خوفٍ من ردة فعلِها... فهي لا تزال تلك الملكة التي يرتعب أعتى الرجال عند مقابلتها!

مشيتُ في الرواق الملكي بأضوائه الفاخرة وديكوراته الغالية، لأمرَّ على حجرات الفتيات كلهن المغلقة أبوابها... وقد حفظت كل منا غرفتها وأثثتْها على طريقتها.

جميعهن رحبنَ بي أيما ترحيب وكُنَّ غايةً في اللطافة، حتى الجادات منهن عاملنني بلطف... إلا (زهير) التي بقيتْ تعاملني بجفاءٍ وعنف! المزعج في الأمر أنها تعامل بقية الفتيات بلطفٍ ومزاحٍ وضحكٍ أحيانًا، هل لأني الوحيدة التي لقيتُ منها التعذيب القاتل ذاك؟! لا أعلم ولم أفهم سبب كرهها لي، على الرغم من أني أنا من يحق لها الغضب والكراهية... بعد جلدها لي!

صعدتُ السلالم بسرعةٍ وكلي لهفةٌ لعرض فكرتي على (آجنيس)، علِّي أترقَّى وأقوم بمهماتٍ أصعب من القتل

فقط... فقد مللتُ هذا النوع من المهمات وسئمتُ منه. وصلتُ للدور العلوي لأقف أمام الكاميرا، منتظرةً سماح (آجنيس) لي بالدخول... مهما حدث بيننا من صداقةٍ ما زال عليها رسمُ الحدود بيننا فهي الملكة في نهاية المطاف. فقط (زهير) هي من تملك الأحقية في الدخول دون استئذان، فهي المرأة الثانية في الدولة بعد (آجنيس).

لم أحتجْ لرن جرسٍ فتلك الكاميرا امتلكت تقنيةً عالية، مجرد الوقوف أمامها يُظهِرُ شاشةً لـ (آجنيس) لترى من بالباب... ثم تسمح أو ترفض دخولنا. فُتِحَ البابُ وبدأتُ بالمشي في رواق ذلك الدور الغريب، بديكوراته القديمة التي عفا عليها الزمن... وغرفه القليلة الصغيرة. لم أفهم حب (آجنيس) لذلك الدور وإصرارها على البقاء والسكن فيه، ولم أمتلك الجرأة لسؤالها عن السبب... لأن الموضوع بدا حساسًا جدًّا بالنسبة لها.

أوشكتُ على طرق الباب المفتوح قليلًا قبل أن تقول (آجنيس) من الداخل:

"تعالي يا (ميجان)"

دخلتُ غرفتها الطفولية وهي تدلّكُ قدمَها بالكريم المرطِّب على سريرها، وشعرُها الأبيضُ المبلل أثبتَ خروجها من الحمام للتو. نظرتْ لي واقشعرَّ بدني من هول المنظر وغرابته، وجلستُ على كرسي قريبٍ ليُعالجَ عقلي الصدمة ويستوعبها. عيناها... عيناها كانتا زرقاوَين لا حمراوَين!

"لا تقولي لي بأنكِ اعتقدتِ حقًّا أن عينيّ حمراوان!"

قالت بابتسامةٍ دون ضحك، محافظةً على رونقها المهيب... وعيناي تنظُران لها دون استيعاب.

"ألم تتساءلي يومًا، لِمَ ملكةٌ في مقامي وهيبتي وثرائي تنام وتسكن في غرفةِ أميراتٍ طفولية؟"

عادت ملامح الجدية على وجهها، مغلقةً علبة الكريم المرطب لترميه على الطاولة... مرتديةً روبًا حريريًّا أحمر.

"بلى بصراحة"

أومأتُ لها وكلي آذانٌ صاغية.

"عندما خرجتُ للدنيا يا (ميجان)، أراد والدي الملك (بريجيوس) إلقائي في بحر (آنجليز)... لكن والدتي أرادت إبقائي فوافق أبي على شرط ألّا يراني أبدًا ولا يراني الناس حتى"

بدأتْ بقص معاناتها عليَّ دون توقف، وقلبي ينكسر مع كل حدثٍ مريعٍ واجهته من أبيها الجحش... حتى تساقطت دموعي التي من الصعب جدًّا خروجها... لدرجة أني ظننت أن القنوات الدمعية عندي لا تعمل!

"هل لي أن أحتضنكِ؟"

سألتُ ماسحةً دموعي، وأنا أشهقُ رغمًا عني من تعاسة وظلم هذا الشعب للفتيات.

أومأت (آجنيس) دون أن تلتفت لي، في الحقيقة كانت تنظرُ للأمام طوال الوقت... حتى لا أرى دموعها وضعفها. هرعتُ لها وحضنتُها، شاعرةً بدفءٍ عجيبٍ في حضنها لم أشعر به من قبل... إلا مع (توماس).

جلستُ على السرير بجوارها لألتقط أنفاسي وأمسح دموعي، وفؤادي منفطرٌ على ما لاقتهُ من تحرشاتٍ واغتصابٍ من أقرب الأقربين لها. الغريبُ أنها أحبتْ تلك الغرفة، حينما وجبَ عليها كرهها وبغضها وعدم الرغبة في النظر إليها حتى.

"أخبريني عن فكرتك واقتراحك لنا"

غيرت الموضوع قبل أن تنهمر بالبكاء، وقد نسيتُ لوهلةٍ ما جئت من أجله.

أتت قصتها تلك في الوقت المناسب، وأعطتني الراحة والثقة لأقولها لـ (آجنيس)... حمحمتُ حلقي وشرعتُ في الحديث على الفور:

"ماذا لو استفدنا من الرضيعات اللاتي سيلاقين حتفهن في البحر، بتجنيدهن منذ الصغر؟"

شدت الفكرة اهتمامها، ناظرةً لي بعينيها الزرقاوَين اللتين لم أعتد عليهما بعد.

"نأخذُ أولئك اللاتي تُكلَّفُ المستشفيات برميهن بدون حضور آبائهن، لنربيهن في معسكراتٍ خاصةٍ بعيدًا عن

المدينة... حتى لا يعلم أحدٌ بوجودهن ولا يراهن. وبهذه الطريقة نستطيع التخلي عن جيش (أوبيا) الحالي الذي تخَلَّصُ من قادته الخونة بين الفينة والأخرى، ليكون لنا جيشنا المخلص الخاص من الفتيات المطيعات"

انتهيتُ من سردِ فكرتِي وقامت (آجنيس) من مكانها، لتجول في الغرفة واضعةً يديها على رأسها... وذاك أعطاني الأمل في قبولها أو مناقشتها على الأقل.

# مدينة (كابال)، دولة (فويجو)

## فبراير، 2019

# الفصل الثامن والستون

## المتحدثة: (آليكس)

فتحتُ صنبور المياه البارد لأملأ الدلو الحديدي الصدئ، والرياح تتخلل جسدي في تلك الليلة الشاتية. طفح الدلو بالماء حتى تساقط للخارج، أغلقتُ الصنبور سريعًا ومشيتُ له حاملةً الدلو المملوء. إضاءةٌ صفراء ضئيلة استقرت في سقف الغرفة، لتُنير محيطَها الصغير فقط فوق ذلك الرجل.

جلس على كرسيه بلا حولٍ ولا قوة، مقيدًا بإحكام وعلى فمه شريطٌ لاصق... غاطًّا في نومٍ عميق. سكبتُ الماء على وجهه ليصحو شاهقًا فزعًا، بعينيه الكهرمانيتين مفتوحتين على مصاريعهما. التقط أنفاسهُ وهو يرتجف من برودة الماء مع برودة الجو، محاولًا التملص من قيده ليتناثر الماء من شعره الأسود المبلل ناظرًا لي بخوف. أطلق صرخاته المكتومة بالشريط اللاصق، وعضلاته تبذل قصارى جهدها لتحل وثاقه. ابتسمتُ له بخبثٍ وأنا أقتربُ منه بهدوء، رابطةً شعري على هيئة ذيل الحصان.

"ششششششش، لا تتعب حبالك الصوتية"

وقفتُ أمامه مباشرةً، مخرجةً سكينًا صغيرةً من جيبي... مشمرةً أكمام قميصي الواسع.

"أتتذكرني، (بوتا)؟"

سألته مسايرةً السكين على خده بلطف، وهو ينظرُ لها

بطرف عينيه المرتعبتين.

أومأ الرعديد برأسه سريعًا، ولا مجال له للإنكار بعد أن وقع في قبضتي... سلاحه الوحيد الآن الإذعان والخضوع وطلب الرحمة.

"أووو (جيب) (جيب) (جيب)، من أين أبدأ معك؟ من استغلال مشاعر فتاةٍ مسكينة طيبة، وإيهامها بالحب... لممارسة الجنس معها؟ أم من تشليحها وسرقة أموالها كلها، لتُجبَرَ على العمل كراقصةِ تعرٍّ بحثًا عن المال؟"

حركتُ السكين ليستقر على رقبته، وعيناي تتمتعان بالنظر للرعب الظاهر من عينيه.

"استغلالُ الفتيات المسكينات واللعب بمشاعرهن، يشعرانك بالنشوة يا عديم الرجولة؟"

بصقتُ في وجهه بصقةً أخمدت بعض نيران قلبي، ليتبقى الكثير منها مشتعلةً بفعل ذلك الوغد... ولن أتركه حتى تخمد جميعها... أو القابل للإخماد منها على الأقل. بعضُ الجروح لا تُداوى، وبعضُ النيران لا تُخمَد... والكسور العميقة بعضُها لا يُجبَر!

مدينة (أليو)، دولة (سويفين)

فبراير، 2019

# الفصل التاسع والستون

## المتحدثة: (آفا)

"كلنا معكِ يا أسطورة الشطرنج، اسحقيهم من أجلي!"

قلتُ صافعةً ظهر (جيني) بلطف، لتنزل سلالم الملعب الكبير المليء بطاولات الشطرنج... وعلى رقبتها عُلِّقَت بطاقةٌ حوت اسمها كلاعبة.

بعد انبهار الجميع ببراعتها في اللعب في ذاك النادي المحلي، بدأت في دخول البطولات واستقبال عروض النوادي الكبيرة... وها هي ذي تلعبُ في تصفيات بطولة (سويفين) للشطرنج. الفائز من هذه البطولة يترشح لكأس العالم للشطرنج، أو كأس (الأسوأ) بالأصح.

أصررتُ عليها أن تلبس لبسًا رسميًّا أنيقًا، ووافقت بصعوبة وبعد محاولاتٍ وجهدٍ جهيد... لترتدي بدلةً رسميةً سوداء. لم يُسمح للمشجعين والمرافقين بالاقتراب من الطاولات، وتحتَّمَ علي الجلوس في المدرجات ورقع الشطرنج بعيدةٌ جدًّا... لا تستطيع رؤية المباريات ولا التمييز بين القطع. لم أهتم لذاك الموضوع كوني لا أفقه في الشطرنج كثيرًا، كل ما أردته مرافقة (جيني) وتشجيعها في مسيرتها البطولية.

جلستُ على أقرب كرسي للطاولات من المدرجات، وجلست (جيني) إلى طاولة مباراتها الحالية... مع لاعبٍ

كهلٍ بيده سيجار كوبي. بدا محترفًا في تلك اللعبة وخبيرًا واثقًا من نفسه للغاية، من جلسته المتغطرسة ونظراته الازدرائية لـ (جيني). كأولئك المقامرين والمراهنين في الحانات، وضع رجلًا على رجل بكرشه التي أهلكت بدلة (التوكسيدو) السوداء وكادت تمزقها... وشاربه الأبيض ولحيته الطويلة.

أعلن الحكَّام عن ابتداء المباريات، وبدأ اللاعبون في الانغماس بمبارياتهم تاركين الدنيا وراءهم... وكل منهم يفكر في أسرع طريقةٍ لهزيمة غريمه. ثبّتُّ عيني على رقعة (جيني) وهي تفكر في خطواتها بعمق، بينما يحرك العجوز قطعه بسرعةٍ دون تفكير... مستهترًا مستهينًا بقدرات خصمه. لم أَرَ تحريكاتهم للقطع لبُعدِ الطاولات، لم يتضح لي سوى اللاعبين وملامحهم.

آهٍ كم أتمنى لو تهزمه (جينيفر) شر هزيمة، ليكون درسًا له في كل مباراةٍ يخوضها ألّا يستهين بخصومه! أرجوكِ يا (جيني) لقنيه درسًا لا ينساه ما حيي. طالتْ مباراتهما وانشغلتُ بجوالي من الملل، ملقيةً نظرةً على طاولتهما بين الفينة والأخرى لأطمئن على أختي. أطفأ المتغطرس سيجاره بعد أن رأى المستوى المتقدم واللعب الاحترافي، معدلًا جلسته صابًا جام تركيزه على المباراة... والجدية باديةٌ على وجهه بعد أن اعتراه القلق من الهزيمة.

"اسحقيه يا أسطورة!"

قلتُ بصوتٍ مسموعٍ، دون اهتمامٍ بالمشجعين القلائل حولي.

اشتد النزال واحتدم حتى تبقى القليل على انتهاء الوقت، لدرجة أن بعض اللاعبين المنتهين من مبارياتهم وقفوا على رقعة (جيني) والعجوز... متأملين شراسة المباراة ودهاء المتحكمين بالقطع.

ليتني أستطيع الاقتراب والوقوف بالقرب منها، لكن قوانينهم الغبية وحراس الأمن منعوا ذلك... احترازًا من أي محاولة غش أو تحايل أو تخريب. صاحت لاعبةٌ من الواقفين حول الطاولة، ووقفت (جيني) لتحييها تلك اللاعبة بحرارة... والبقية ينظرون لها بدهشةٍ وإعجاب. أسندَ العجوز ظهره على كرسيه عابسًا مقطبًا حاجبيه، بعد أن بالت لاعبةٌ صغيرةٌ بعمر حفيدته على كبريائه وغطرسته... ومشت أسطورة الشطرنج نحو المدرج بفخرٍ لا مثيل له.

"يا فتاة، كم بردتِ قلبي في هذا العجوز المتكبر! لا أستطيع أن أشعر بفخرٍ أكثر مما أنا عليه الآن"

صفعتُ كفها عاليًا في السماء، وهي تتبسَّمُ مظهرةً أسنانها الجميلة الناصعة البياض.

أخذتُ بيدها واتجهنا للخارج، رافعةً رأسي والجميعُ ينظرون لنا باستغراب... بحكم فارق السن واللون. لم أكترث لهم على الإطلاق، فقد شعرتُ بسعادةٍ غامرةٍ وأنا أرى أختي تسحق منافسيها وتشق طريقها للبطولة.

غادرنا الملعب للمواقف مباشرةً، وفتحتُ أقفال السيارة بالمفتاح من بعد. تلك السيارة الحمراء الصغيرة استأجرتها أخيرًا وارتحنا من عناء سيارات الأجرة، نستطيع الآن التحدث على راحتنا كما شئنا... دون خوفٍ من سماع السائقين لمحادثاتنا.

"(آفا)، هل لي أن أقود هذه المرة؟"

استوقفتني (جيني)، ناظرةً لي بعينيها العسليتين المرتجيتين.

"لا لا، ما زلتِ صغيرةً جدًّا على القيادة!"

"هيا أرجوكِ! ستكونين بجواري لتعطيني التعليمات"

فكرتُ في الأمر مليًّا، محولةً نظراتي بين (جيني) وسيارتنا الحمراء... وهي تقتلني بتينك العينين اللطيفتين وتكسر قلبي.

"حسنًا لكن سأقود أولًا حتى نصِلَ لحي هادئٍ كبيرٍ لنبدأ التعليم"

قلتُ راكبةً السيارة.

لم تكن لترفض (جيني) شروطي، فمنذ استأجرنا السيارة وقلبها يتوقُ لقيادتها تحت أي ظرفٍ وشرط.

"أخبريني يا (جيني)، بين كل اللاعبين الذين واجهتِهم... أهم أقوى أم (نوفا)؟"

سألتُها وأنا أخرجُ بالسيارة من الموقف، مطبقةً تعليمات صديقتي السابقة (آليس) في القيادة... كان منها فائدةٌ في

تعليمي الكثير في النهاية.

"(نوفا) أقوى منهم بالطبع، لكن الذي جعلني قويةً الآن نصيحةٌ منها قبل أن تموت... أتتذكرين الرسائل التي كتبتها لكُلٍّ منا؟"

أومأتُ وقلبي يتفطر.. كلما تذكرت حبل المشنقة الذي أخرج روحها من جسدها.

"في تلك الرسالة أعطتني (نوفا) نقطة ضعفي في مبارياتي معها منذ بدأنا، ألا وهي تركُ جناح الحصان الأيمن والذي يتسببُ في خسارتي كثيرًا. طبقتُ نصيحتها ولم أخسر مباراةً من بعدها، لكن غدًا سأقابل خصمًا قويًا جدًّا يهابه الجميع!"

"ستسحقينه وتكسرين شوكته كما فعلتِ اليوم"

قرصتُ خدها بلطفٍ لتبتعد عني مقطبةً حاجبيها، هازَّةً رأسها وكأنها كبرت على تلك الحركة.

"ستظلين أختنا الطفلة مهما بلغتِ من العمر!"

خرجنا للشارع العام وقُدنا في صمت، لتنشغِلَ كلٌّ منا بهمومها قبلَ أن تلامس مسامعي أغنيةٌ طال عهدي بها.

*"I hate you, and I hate myself,*

*For wanting you and not someone else*

*Wild and reckless you make me be,*

*Even before the night you cut me free."*

غنتها وهي تنظرُ للأمام بالبرود المعتاد، حركتُها وهزتُها لكن دون جدوى! قرصتُها وصفعتُها بلا استجابةٍ منها! توقعنا جميعًا أن حالتها هذه تعالجت ولن تعود، لم أفهم حتى سبب عودتها في تلك اللحظة... أبسبب ذكر (نوفا)؟!

غير معقول، ذُكِرت (نوفا) أمامها مئات المرات وكانت طبيعية جدًّا... ما الذي تغير الآن؟!

*"I hate you, and I love you still*

*And wonder if I always will*

*Hurt and lonely, you're keeping me*

*Holding to your memory."*

مثّلت تلك الأغنية لنا جحيمًا لا يطاق، ووقعُها على الآذان أصبح منفِّرًا مقرفًا مزعجًا... ولم أعلم كيف استطعتُ القيادة بشكلٍ طبيعي وقتها! حاولت إشغال نفسي بتشغيل أغنيةٍ أخرى لكن دون فائدة، تمكنت أغنية (فكرة) من السيطرة على الأجواء بأنغامها وألحانها الشيطانية.

وقعتْ عيني على المرآة الوسطى لأرى سيارة توصيلِ بيتزا خلفي، لم أهتم وسرتُ في طريقي محاولةً إشغال تفكيري مع تلك الأغنية المزعجة... وسيارة البيتزا تتبعني في كل انعطافٍ ومسار! أثارتْ شكوكي وأسرعتُ في القيادة،

عاصيةً برنامج الملاحة حتى تتوه تلك السيارة... كما أرى في الأفلام والمسلسلات. انعطافٌ لليمين تارةً والاستدارة تارةً أخرى، والسيارةُ تتبعني بوضوحٍ وكأن سائقها يريد أن يخبرني أنه يلاحقني! زدتُ من سرعتي وقتها لأنعطف لأحد أحياء المنطقة، مستعدةً لانعطافي التالي وأنا أتوغَّلُ في ذاك الحي بسرعتي الجنونية.

من هذا اللعين بحق الجحيم؟! ما الذي يريده منا؟!

*"I want you and I hate you less,*

*Each time I look upon this mess*

*Cotton on to you made me be*

*The best and worst that I could be."*

لم أسمع غيرَ هذا الجواب من (جيني)، منهيةً أغنيتها لتعيدها من جديد... كمسجلةٍ في وضع التكرار اللامنتهي.

شوارع ذاك الحي تضيقُ مع تشعُّبي فيه، واللعين يزيد من سرعته معي ليلحقني... وتوتري بلغ مبلغه. وصلتُ لأحد التقاطعات بسرعةٍ فلكية، لأتفاجأ بسيارة من الجهة اليسرى. حينها لم يكن للمكابح أي فائدة، الإله وحده هو القادر على إيقاف تلك السيارة بمعجزةٍ ما! تحولتُ للمسار الأيمن حتى لا أرتطم بالسيارة -أو أخفِّفَ من الارتطام بالأصح- لتظهر سيارةٌ أخرى من تلك الجهة.

خلفي سيارة تطاردني، عن يميني سيارةٌ أخرى أنا على

وشك الاصطدام بها... وسيارةٌ أخرى قد أصطدم بها أيضًا. أغمضتُ عيني وعضلاتُ قدمي تجتهد في الضغط على المكابح، و(جيني) لا تزال تغني دون الشعور بشيء. ارتطمنا بالسيارة اليمنى لتنقلبَ سيارتنا عدة انقلابات، شعرتُ بالأولى والثانية... وفقدتُ الوعي بعدها مباشرةً وقد علق جسدي بين المقود والزجاج الأمامي من شدة ارتطاماتنا.

***

*"I hate you, and I hate myself,*

*For wanting you and not someone else*

*Wild and reckless you make me be,*

*Even before the night you cut me free."*

صداعٌ قاتل، ارتجَّ له رأسي مع كل نبضةٍ يبعثها قلبي. لو نطقت عظامي لأنَّت وصرخت من آلامها وأوجاعها! جسدي مُتعَبٌ للغاية ولا طاقة لي لتحريكِ أي جزءٍ منه. ترددت الأغنية اللعينة على مسامعي، مما جعلني أستجمع قواي لفتح عيني فقط لا غير.

ارتعدتُ وقفز قلبي من مكانه، حين رأيت ثلاثة رجال تقنَّعوا بأقنعة حيواناتٍ مفترسة... أحدها الثعلب والآخر الذئب -حسب اعتقادي- والثالث لم أعرف اسمه على وجه التحديد. وقفوا أمامي عاقدين أيديهم خلف ظهورهم،

وأنا مربوطةٌ بالكرسي بإحكامٍ والحبالُ تزيدُ عظامي ألمًا فوق ألمها من الحادث.

علمتُ وقتها أننا في قبضة (الصيادين) المعينين من قبل (الأسمى)، بعد رؤية تلك الأقنعة المفزعة لحيواناتٍ مفترسة.

على الجدار خلفهم استندت امرأةٌ مقنَّعةٌ بحيوانٍ مفترسٍ هي الأخرى، لكن الغريب أنها تجنبت النظر في عيني على عكس البقية الذين حدقوا فيَّ ببرود! كانت تُرسِلُ نظراتٍ غريبةً حول الغرفة، محاولةً تجنبَ التقاء أعيننا لسببٍ ما. أثارت استغرابي وحمةٌ كبيرةٌ حواها ظاهِرُ كفِّ المرأة المقنعة، سبق ورأيتُ هذه الوحمة من قبل أو وحمةً مشابهةً لها... لكن أين بالضبط؟!

التفتُّ لليمين لأزداد رعبًا ويهتزَّ كياني ووجداني، قُيِّدتْ (سارة) على كرسي بعينٍ منزوعةٍ ودماءٍ وجروحٍ جافة... غائبةً عن الوعي وقد فقدت أحدَ أصابع قدمها.

على الشمال (جيني) مقيدة على الكرسي تنظر للأرض ببرود، مغنيةً أغنيتها المفضلة والتي أصبحت عقدتي النفسية.

"الآن يا (آفا)، أخبريني أين بقية أخواتك؟"

قال المغطى بقناع الثعلب، مقتربًا مني.

"من (آفا)؟ اسمي (هيـ..)"

"بدأنا بالألاعيب... ناولني الكماشة"

قال الحيوان الغريب الذي لا أعرفه، جالسًا القرفصاء بجانب (جيني) المغيبة عن الواقع.

ناوله الذئب كماشةً معدنية وقربها من إصبع رجلها، فتحها ووضعها حول الإصبع وقد بدا جادًّا في قطعه... كاد أن يُحكِمَ قبضته على الكماشة لأنكسر وقتها تحت كمية الضغط الشديدة تلك. لو كان العذاب واقعًا عليَّ أنا لتحملتُ وكافحت ولو قليلًا، لكن الأوغاد علموا بالضبط كيف يضغطون علي بأختي الصغرى!

**"حسنًا حسنًا توقف! سأخبركم بكل شيء لكن توقف أرجوك!"**

ازداد الصداع مع كل حرف صرختُ به، وأيقنتُ حينها أنها النهاية. توقفَ بالطبع وأُبعد عنها الكماشة قائمًا من مكانه، وثبَّتوا أنظارهم علي خلف تلك الأقنعة... منتظرين الجواب الذي قاتل العالم من أجله.

"أنا (آفا) وهذه أختي (جينيفر)، (آليكس) موجودةٌ في مدينة (كابال) في (فويجو). (ستيفاني) في مدينة (بليس) في (أوبيا)، و(آنجيلا) موجودةٌ معنا في (أليو) هنا"

أجبتُهم بألمٍ وحسرة، واشيةً بأخواتي رغمًا عني. إجابتي تلك كانت بمثابة الجوهرة الثمينة لهم، والتي سلمتها بسهولةٍ وبأسرع وقت.

*"I want you and I hate you less,*

*Each time I look upon this mess*

*Cotton on to you made me be*

*The best and worst that I could be."*

بدت وكأنها تعاتبني خاتمةً أغنيتها، ناظرةً للأرض ببرودها بعد أن خيبتُ أملها وأمل أخواتي كلهن. خرجوا من الغرفة بعد نيل مرادهم وفكوا وثاقي وسحبوني معهم، تاركين خلفنا (سارة) و(جيني) مقيدتين على كراسيهما.

أجلسوني بعيدًا عنهم على طرف الطاولة، ولم يُثِر المقنعون الآخرون استغرابي ورعبي... لم أعد أشعرُ بشيءٍ للأمانة عدا العار والخزي من نفسي.

"أخبرينا عن أماكن وجودهن في تلك الدول، وتحركاتهن والأماكن المتوقع زيارتهن لها.. أخبرينا كل شيء"

قال الذئب، جالسًا على كرسيه.

وقتها فقط تذكرتُ الوحمة الكبيرة وأين رأيتها وعلى من، وبدأ ذهني بترتيب الحقائق والوقائع الهائلة! هل هذه المرأة المقنعة (آليس)؟! الوحمة المميزة الكبيرة على كفها، ومغادرتها لـ (كوتشينو) فجأةً دون سابق إنذار أو تبرير في الوقت نفسه الذي أعلن فيه (الأسمى) تعيينهم لـ (الصيادين)، وقولُها في الرسالة إنها ستعودُ خلال أسبوعين،

وتجنُّبها التقاء عينها بعيني... غير معقول!

# الفصل السبعون

## المتحدثة: (آنجيلا)

أسندتُ رأسي على طرف حوض الاستحمام المعبَّأ بالمياه الدافئة، وعيناي مغمضتان وجسدي مغمورٌ في الماء... والاسترخاء بلغ مبلغه عندي. (جيني) مع (آفا) في بطولة الشطرنج، إجازة نهاية الأسبوع ابتدأت للتو... ولا شيء لدي لأعمله سوى التمدد والاسترخاء والراحة. احتجتُ لذاك الحمام والهدوء التام، فالأسابيع المنصرمة أنهكتني في العمل بالصالون.

لم ألبث أن أغوص في أفكاري ويغادر عقلي العالم، حتى قاطع أحدهم الاسترخاء والهدوء... مقتحمًا الحمام بكامل قوته! هرعتُ من الحوض بارتعابٍ دون الاهتمام بجسدي العاري، وخفق قلبي وحدقتُ بذهولٍ وصدمةٍ من المقتحم الذي لم أتوقع رؤيته مجددًا! أمسكتُ رأسي بكلتا يدي، وتراجعتُ حتى استندت على الحائط... ولساني معقودٌ عاجزٌ عن الكلام.

وقف (بليد) ملتقطًا أنفاسه بصلعته المكشوفة، تكسوهُ كنزةٌ صوفيةٌ زرقاء وبنطال جينز... والقلقُ والإرهاق واضحَان على عينيه الخضراوَين.

"ارتدي شيئًا بسرعة ولنغادر، لا وقت للشرح فـ (الصيادون) قبضوا على (آفا) و(جيني)... وما هي إلا ساعات أو أقل حتى يصلوا لك هنا!"

قال (بليد) لاهثًا، دون أي استيعابٍ مني لما كان يقوله.

حين رأى تجمُّدي في مكاني وعدم استجابتي، أخذ بيدي وأسرع للخارج... ثم ناولني أجزاء ملابس متفرقة شكلها بشع بعضها مع بعض. ارتديتُها ببطءٍ وبرودٍ وهو على أعصابه، وكأن أحدًا سيداهم الغرفة بعد دقائق إن لم نتحرك فورًا. اختلطت الصدمات والمفاجآت بعضها ببعض، لم أعلم أأقلقُ على (آفا) و(جيني)، أم أستغرب من ظهور (بليد) المفاجئ وعلمه أيضًا بأنهم قبضوا على أختيّ... هل أذاعوا ذلك في الأخبار؟!

"هيا بنا بسرعة!"

قال وهو يغادر الغرفة ساحبًا إياي معه، وفمي عاجزٌ عن النطق بحرفٍ واحد.

"(الأسوأ) لم يعد آمنًا بعد الآن، عليكِ المغادرة لإحدى الدول المجاورة"

تزداد حيرتي وصدمتي مع كل كلمةٍ يقولها، هل هناك دولٌ أخرى خارج حدود (الأسوأ) أصلًا؟! الأرض الوحيدة التي اكتشفها جغرافيو (الأسوأ) هي (الجزيرة المجهولة)، وكذبوا على الناس بكونها مسمومةً حتى! آخخخ، رأسي يكاد ينفجر... والوقت لم يسمح لي بفهم أي شيء! توجهنا للمصعد والتساؤلاتُ تملأ عقلي والقلق يخالجُ قلبي، محاولةً تحليل كل ما لامس مسامعي.

العاصمة (ج)، دولة (بريجيرا)

مارس، 2019

# الفصل الحادي والسبعون

تقدمَ سبعةُ حراسٍ مدرَّعين نحو القضبان الحديدية، ممسكين (جيني) المكَبَّلة من ذراعيها. تحركت القضبان الحديدية للشمال إلكترونيًا مصدرةً جرسًا مزعجًا، ليواجهوا قضبانًا أخرى وأخرى خلفها وأخرى خلفها... مشكِّلة شبكة منعٍ للسجينة المعزولة. تجاوزوا السلسلة الحصينة من القضبان المعدنية، وكلٌّ منها يصدر الجرس المزعج ذاته... وكأن السجينة القابعة خلفها أخطر البشر. مشت (جيني) معهم مذعنة مستسلمة لا حول لها ولا قوة... بلباس المساجين البرتقالي. نظراتها أوحتْ بالقوة وعدم الاهتمام... وكأنها تقول لهم افعلوا ما شئتم بي فلن أتزعزع!

وصلوا لزنزانة الحبيسة أخيرًا متهيِّئين لأخذها، لكنها لم تكن موجودة! وجدوا جسدها فقط بالأصح، جسدًا بلا روح. لفَّت السجينة السمراء مفرش سريرها حول رقبتها، ثم علقته على حدائد الجدار وتدلت منها لتغادر زنزانتها... وتغادر الدنيا للأبد. لم يعد بإمكان (جيني) الوقوف وألقتْ بثقلها الكامل على الحراس، وعيناها تغرقان بالدموع وجسمُها يرتجف. كأختها الأولى الخنطية بالضبط، ماتت الثانية السمراء بالطريقة ذاتها... تاركةً أختها الصغرى لتواجه مصاعب السجون والمحاكم وحدها. صرختْ حتى كادت حبالها الصوتية تنقطع، واشتعل هرمون (الأدرنالين) بداخلها لتهيج وتموج. مع أن الحراس

يفوقونها حجمًا وقوةً وعمرًا، إلا أنهم سيطروا عليها بعد قوةٍ وجهدٍ جهيد... ليستديروا بها مغادرين زنزانة (آفا) الراحلة.

**"كلكم جبناء! كلكم! من أكبركم لأصغركم، من أولكم لآخركم... تركتم أختكم وحدها يا أنذال!"**

صرخت وهي تنظر للوراء، والدموع تتساقط من عينيها... مودعةً جثة أختها المشنوقة بأنواع السباب والشتائم.

جزيرة (الأسمى)، دولة (بوسكي)

مارس، 2021

# الفصل الثاني والسبعون

أخذ (آنثوني) نفسًا عميقًا متّكئًا بيديه على الطاولة، ناظراً للكاميرات والأضواء المسلطة عليه من القنوات الإخبارية... والصحفيون والمراسلون حوله كالنمل. وضع شعره الأحمر الطويل خلف أذنيه، وعيناه الزرقاوان تلمعان تحت ضوء الشمس الساطعة. خيبةُ الأمل واضحةٌ على وجهه من شؤم وسوء الأخبار التي سيوصلها للعالم... شمّر أكمام جاكيت بدلته الأرجوانية مستعدًا للتحدث والعالم بأسره ينتظره.

"بعد استنفاد كل الطرق والحلول والوسائل للعثور على فتيات (الفاولكين) الباقيات، (ستيفاني)، و(آليكساندرا)، و(آنجيلا). وبعد الجهود الجهيدة وبذل الكثير من الأموال لعامين متتاليين في سبيل القبض عليهن، يعلن (الأسمى) إغلاق القضية للأبد ووضعها تحت مسمى (نهاية مسدودة)... فالاستمرار بالبحث عنهن كالبحث عن إبرةٍ في كومة قش... لا سيما وقد ثبت لنا من التحاليل والتحقيقات أن لا علاقة دموية تربطهن ببعض أو بـ (فيوليت) و(تشارلز)"

بالكاد خرجت الكلمات من فمه، شاعرًا بعارٍ وخزيٍ شديدين... ليتبين للعالم أجمع بخيبة أمل أن (الأسمى) ليس الحل لكل شيء.

"سنحاول الاعتناء بالفتاة الصغرى (جينيفر) فلا ذنب

لها في أي شيء حصل، سنكمل جلسات العلاج النفسي معها حتى تتخلص من أفكارها الوهمية ودماغها المغسول. تعاني من الاكتئاب الشديد وجنون الارتياب، والانفصام في الشخصية بعد انتحار (آفا). أما (نوفا فاولكين) و(سارة العنقاء) و(بليد العنقاء) فقد تم تنفيذ عقوبة الشنق بحقهم، ليكونوا عبرةً وعظةً لمن يحاول الإخلال بأمن بلادنا"

استدار بعد كلماته تلك دون توديع لائق، وشعره يتطاير مع الرياح وقد كسر بقية (الفاولكين) كبرياء (الأسمى) للمرة الثانية... بعد كسر (آجنيس) له ودعسها عليه في المرة الأولى. لاحقه الصحفيون بأسئلتهم الكثيرة لكنه لم يتوقف للحظة، فلم يمتلك جوابًا لائقًا لأي منها... ولم يعد له وجهٌ ليقابل الناس بعد تخييب أملهم.

العاصمة (فريك)، دولة (أوبيا)

مارس، 2021

# الفصل الثالث والسبعون

## المتحدثة: (ستيفاني)

"أن نتولى الإشراف على جيشٍ بهذا الحجم منذ الولادة، أمرٌ صعبٌ للغاية!"

قالت (يولندا)، مضيقةً عينيها الزرقاوَين جراء أشعة الشمس القوية... واضعةً كفها على جبينها لتحجب الشمس عنها.

"اعتمدت (آجنيس) علينا وحدنا للقيام بهذه المهمة، دون مساعدةٍ من (زهير) أو من هن أكبر منا. علينا أن نثبت وجودنا ومهاراتنا"

أجبتُها ونحن ننظر للشاحنة القادمة تجاه المبنى، في تلك المنطقة النائية البعيدة عن السكان. دخلنا المبنى الذي كان أشبه بمستودعٍ من تصميمه وضخامة حجمه، لنرى التقسيمات المجهزة للطفلات من حاضناتٍ ومرضعاتٍ بغرفة لكل طفلة. نأخذ الطفلات المفترض رميهن في بحر (آنجيلز) دون علم آبائهن، ونخصص لكل طفلةٍ حاضنة ومرضعة تربيها وتستمر معها حتى تكبر، ثم نأخذها نحن للتدريبات القاسية الشديدة.

أكان ذاك العمل وحشيًا وغير إنساني؟ لم أعلم ولم أهتم أصلًا، تجنيد أولئك الرضيعات رحمةٌ بهن وخيرٌ لهن من ملاقاة حتفهن بالغرق.

لم أعتقد للأمانة أن تنصّبني (آجنيس) قائدةً لذاك المشروع العظيم مع (يولندا)، وكم شعرتُ بالتوتر والضغط حين عينتني... فالثقل على عاتقي كبيرٌ وفشل المشروع يعني فشلنا.

"حسنًا! كما علمناكن بالضبط وتذكرن: كل ما نقوم به سري للغاية... والإفصاحُ عنه لأي سببٍ كان يعتبر جريمةً توجِبُ عقوبة الخيانة العظمى للدولة. فلتأخذ كل منكن الطفلة الموكلة بها، وسنسميهن حسب الأرقام المكتوبة على غرفهن"

قلتُ بصوتٍ عالٍ وقليل توتر للحاضنات، لأبدأ أول مشروعٍ عظيمٍ لي... شاعرةً بعظمة القيادة والريادة.

مدينة (كابال)، دولة (فويجو)

أغسطس، 2034

# الفصل الرابع والسبعون

## المتحدثة: (ستيفاني)

الليل على وشك انتصاف، بقمرٍ مكتملٍ وجوٍّ معتدلٍ خالطت فيه الرياحُ الخفيفة رطوبةَ المدينة المعتدلة. احتسيتُ قهوتي ناظرةً للأغنياء وكبار الشخصيات حولي في ذاك المقهى الفاخر.. كلهم من أصحاب البشرة السوداء وأنا الوحيدة البيضاء بينهم. لم يكن ذلك ليثير استغرابي مطلقًا، كامرأةٍ قاربت الخمسين من العمر وقد ذاقت مر (الأسوأ) وبشاعته لما قارب العشرين عامًا.

دخلت المقهى امرأةٌ سمراء، بشعرٍ قصيرٍ بني حُلِقَ من الجانبين. جينزها القصير وقميصها العاري البطن لم يلائما عمرها البتة، كيف لامرأةٍ مقاربةٍ لعمري أن ترتدي لباسًا كهذا؟!

اتجهت لطاولتي مباشرةً، مشيرةً للنادل الذي علم طلبها منذ دخولها... يبدو أنها ترتاد هذا المقهى كثيرًا. تنهدتُ بعمقٍ شادَّةً قلنسوة قميصي ناظرةً للطاولة، حتى لا تتعرف عليَّ على الفور. سحبت الكرسي أمامي وجلست عليه، ورفعتُ نظري لها لتفتحَ عينيها على مصاريعهما. كادت تقومُ من مكانها وتغادر المقهى، لولا أني أمسكتُ بذراعها وثبَّتُّها في مكانها.

"اسمعي ما لدي ثم ارحلي إن شئتِ يا (آليكس)، لا تجعلينا نُحدِث مشهدًا يا سيدة الأعمال!"

همستُ بصرامةٍ محدقةً بعينيها العسليتين.

"تملكين الكثير من الجرأة لتظهري في حياتنا مجددًا يا خائنة"

امتعضتْ بصوتٍ خافت، عاقدةً ذراعيها وهي تنظر لي بحنق.

"دعينا نتجنب اللومِ الآن ونؤجله لوقتٍ لاحق، ولا تتظاهري بالشهامة والنُّبل وقد تركتِهن أيضًا!"

كادت تنفعل وتصرخ وتضربني حتى، لكنها تمالكت أعصابها وأخذت نفسًا عميقًا... عاقدةً ساقيها اللتَين حافظتا على نعومتهما ولمعانهما.

"عندي خطةٌ محكمةٌ لإخراج (جيني) من حبس المصحة، ونيل الثأر اللائق الذي تستحقه (فيوليت) و(نوفا) و(آفا) والبقية. بالتعاون مع..."

"كفي عن هذا الهراء (ستيف)! أي انتقامٍ تتحدثين عنه ضد (الأسمى) وجيوشهم والعالم بأسره؟!"

قاطعتني هازّةً رأسَها بعناد.

"أرجوكِ استمعي لي حتى النهاية، ولا تقاطعيني..."

توقفتُ عن الحديث حين اقترب النادل ليضع قهوة (آليكس)، شكرته وأكرمته بالبقشيش وانصرف فرِحًا مسرورًا.

"تركي لكم آنذاك لم يكن عبثًا، ألقى مجندات (آجنيس) القبض عليّ واضطررتُ للعمل معهن. ولو استمررتُ معكن في تلك المكالمات لعلمن وقتها ولواجهنا جميعًا حبل المشنقة! احتجتُ الكثير من الوقت حتى كسبتُ ثقة الملكة ونصّبتني من المخلصات لها"

أخذتُ آخر رشفةٍ من قهوتي السوداء، متجرّعةً مرارتها على مرارة الحياة... قبل أن أكمل:

"بدأنا وقتها بناء جيشٍ من الرضيعات المفترض إلقاؤهن في البحر، أخذناهن من الولادة وبدأنا بتربيتهن وتجنيدهن... حتى تكوّن لدينا الآن جيشٌ عرمرم من 15000 فتاةٍ في الثالثة عشرة من عمرهن مستعداتٍ للموت من أجلنا في أي لحظة"

سكتُّ بعدها وخيّمَ صمتٌ مهيبٌ على طاولتنا، هي تحتسي قهوتها وذهنها مشغولٌ جدًّا بالتفكير.. بينما انتظرتها وكلي رجاءٌ ألّا تعاند. اقتربتْ فجأةً مني وأشارت لي لأقترب، ألصقتْ فمها في أذني هامسةً:

"أعتقد أنكِ مليئةٌ بالهراء ولا خير فيك لأحدٍ كالعادة"

استعدت للرحيل وقد خيبت أملي كثيرًا، بعد أن اعتقدتُ مساندتها لي ومساعدتها.

"سأنفذ الخطة معكِ أو بدونك، لكن تذكري فقط مشاعر (جيني) حين تعلم أن أختًا لها كانت قريبةً منها... استثقلت مساعدتها حتى لا تجرح كبرياءها الأرعن حين

رفضت وضع يدها في يد أختها الأخرى التي ظنت أنها تخلت عنها"

استوقفتها كلماتي أخيرًا، ونجحتُ في استعطافها بعد أن كادت ترحل للأبد ولا أراها.

"وما هذه الخطة الموثوقة التي ستجعلنا نحظى بالانتقام المتفجر هذا؟"

سألت باهتمام، بعد أن شحذتُ همتَها ونخوتَها ولم يخب ظني فيها.

سردتُ لها خطتي بالتفصيل الممل، وهي تقطب حاجبيها تارةً وتُكوِّرُ شفتَيها تارةً أخرى... متعجبةً من جنون الخطة وغرابتها.

"لكن ضعي في الحسبان، أن القيامَ بها يعني إعلان الحرب الصريح الواضح على (الأسمى) والعالم كله... ولا مجال للتراجع حينئذٍ"

نبهتُها بهمسٍ ونبرةٍ محذرة، مُلاعِبةً شعري البني المجعد.

"الحربُ بدأت أصلًا في اللحظة التي جَروا فيها أبانا لأشلاء!"

لم أرَ عينين متعطشتَين للانتقام كعينيها في تلك اللحظة، في حياتي كلها.

# جزيرة (الأسمى)، دولة (بوسكي)

# أغسطس، 2034

# الفصل الخامس والسبعون

"تعلمون جميعًا سبب هذا الاجتماع الطارئ، اقتحم رجالٌ مجاهيل (الجزيرة المجهولة) وسيطروا عليها... قاتلين من أبى الخضوع لهم من جنودنا وآسرين المستسلمين منهم. اختاروا أحد جنودنا وأطلقوا سراحه ليوصِلَ لنا رسالةً منهم"

صمتَ (آنثوني) قليلًا، جامعًا شعره الأحمر الطويل ليربطه ربطة ذيل الحصان. لم يغير من هيئته وهويته على مرور السنين، وحافظ جسده على رشاقته وعضليته رغم تقاربه من بلوغ الخمسين عامًا.

كما جرت العادة مع اجتماعات (الأسمى)، سيطرت الهيبة والجدية والقلق على المجلس... فمصير العالم كله يعتمد على قرارات الرجال الثلاثة في تلك الغرفة. شيءٌ واحدٌ اختلف عن بقية الاجتماعات، جلس مكان الكفيف (لوكاس) رجلٌ آخر أسمر في الأربعين من عمره... أعطاه الشيب الذي ملأ لحيته وشعره وقارًا ورزانة.

"وصفُ ذاك الجندي لهم فاق الخيال، واعتقدنا أنه متوهمٌ أو فاقدٌ لعقله لولا محاولتنا لدخول الجزيرة ومنعهم لنا بتهديدٍ صارم. معهم أسلحةٌ متقدمةٌ جدًّا عن أسلحتنا، أعينُهم جاحظة للغاية، وبنية أجسادهم هزيلةٌ نحيفة. لهم لغةٌ غريبةٌ يتحدثون بها، ولكنتهم حين التحدث بالإنجليزية عجيبةٌ لم أسمعها أنا شخصيًا من أي مخلوقٍ في بلداننا. يطالبون

في الرسالة -والتي كُتِبَت بإنجليزية ركيكة- بـ (الجزيرة المجهولة) ويزعمون أنها حقهم الشرعي، وإن أعلنا عليهم الحرب فسيهاجموننا بجندٍ لا قبل لنا بهم"

"هل لأيٍّ من العامة علمٌ بالموضوع؟"

سأل (أوين)، وقد ترهَّلَ جلده الأبيض وسيطر البياض على لحيته السوداء القصيرة.

"الخبر يعتلي القنوات الإخبارية والصحف والمجلات، وعلينا التصرف سريعًا"

أجاب (آنثوني) مومئًا برأسه.

"أراك صامتًا يا (كريبتون)، شاركنا رأيك. نحتاج لحكمة (لوكاس) -الرحمة على روحه- في وقتٍ كهذا"

نظر له (آنثوني) وتبعه (أوين)، مسلطين عليه الضوء ينتظران مشورته ورأيه.

ارتبك (كريبتون) قليلًا مُحمحِمًا حلقه قبل أن يقول:

"إن وافقنا على مطالبهم فسيتمردون، ولن يتوقفوا حتى يسيطروا ويستولوا على أراضينا كلها. أرى أن نجازف بجيش (الأسمى) فمهما بلغت قواتهم وأسلحتهم، لن يستطيعوا مجابهة جيوشنا ولا تنسوا أن جيوش الدول جميعها تحت طوعنا وإمرتنا"

حديثٌ بليغٌ تهجمي، أدلى به (الأسمى) الحديث العهد بالمنصب.

"أعتذر عن المقاطعة بشدة، سيدي... أعتقد أن عليك رؤية هذا الآن وفورًا"

قاطع اجتماعهم أحد القادة الكبار للجيش، وعليه علامات الدهشة والتعجب. ناول (آنثوني) ورقةً كبيرةً قد طُويَت، ضاربًا له التحية العسكرية على عجل. فتحها باهتمامٍ وبدأ القراءة وعيناه مفتوحتان على مصاريعهما، قطبَ حاجبَيه نازلًا بعينيه متبِعًا الكلام المكتوب في تلك الرسالة... والجندي يغادر الغرفة ضاربًا التحية مرةً أخرى.

"حسنًا حسنًا حسنًا، إن لم تكن (آليكساندرا فاولكين) بأم عينها! رسالةٌ من شخصٍ يدعي أنه المجرمة الهاربة (آليكساندرا)، مستعد لمساعدتنا على التخلصِ من المحتلين لعلمه بمداخل ومخارج (الجزيرة المجهولة)... الظاهرة والخفية التي لا نعلمها نحن حتى... بمقابل تسليم (جينيفر) له سليمةً معافاةً!"

قال متأملًا الورقة بتركيزٍ وهو يقلبها.

ناولها لـ (أوين) مسندًا ذقنه على كفيه، وقد داهمهم هم من نوعٍ آخر كانوا في أشد الغنى عنه.

"إن كانت هي فعلًا، فأرى أن الاتفاق معها قرارٌ سديدٌ بصراحة"

قال (أوين)، مسلمًا الورقة لـ (كريبتون) الذي استلمها باهتمامٍ وتشوق.

"أن يتعاون (الأسمى) مع مجرمةٍ إرهابيةٍ ويضعوا يدهم بيدها أمرٌ لم يسبق من قبل، وما الذي يضمن لنا أصلًا أنها (آليكساندرا) فعلًا؟"

رد عليه (آنثوني) والحيرة تقتله.

"وما الذي يعنينا نحن؟ هذا اعترافٌ مكتوبٌ منها وسنجعلها تقرُّ حين تأتي بأنها فعلًا (آليكساندرا فاولكين)، وسواءٌ كانت هي أو لا فعلينا باعترافها بالذنب. نضرب عصفورين بحجر وقتها، نستخدمها للتخلصِ من الاحتلال ثم ننفذُ فيها عقوبة الإعدام دون تسليمِ (جينيفر) أصلًا"

"لن تنجح هذه الفكرة، اشترطت تسليم (جيني) لهذا المكان في رسالتها... وحين تصل سليمةً تأتي لنا هي"

ردَّ (كريبتون) خطة (أوين) وفكرته، وهو يريهما اشتراط (آليكس) في الورقة التي في يده.

خيَّمَ الصمتُ على الغرفة والجميعُ غارقُون في أفكارهم، أيثقون بالمجرمة الإرهابية ويتفقون معها... أم يجعلون كبرياءهم وخوفهم من الناس يتحكمان بهم؟

"لا أرى لنا خيارًا أفضل من الاتفاق معها، حتى لو سلمنا لها (جينيفر) فلا مشكلة. لن نذكر أيًّا من ذلك للإعلام وحين الانتصار وطرد المسوخ أصحاب العيون الجاحظة، نعلن لهم استخدامنا لجيشنا فقط والقبض على (آليكساندرا) وإعدامها... دون ذِكر ترابط بينهما البتة"

أشار (كريبتون) قاطعًا دائرة الصمت.

بدا الآخران موافقَين على قراره وإشارته، دون أن ينطقا بحرف.

"دارت عجلة الزمن، لنصبحَ في أمس الحاجة لوضع يدنا في يد من أردنا القبض عليه منذ سنين... من كان ليتوقع؟!"

ختمَ (آنثوني) الاجتماع بجملته المؤلمة تلك، وكأنه شاعرٌ باقتراب نهاية الزمان أو موته القريب... فتلك العبارات تشابه عبارات من هم على فراش الموت أو في سكراته.

# العاصمة (فريك)، دولة (أوبيا)

## أغسطس، 2034

# الفصل السادس والسبعون

بصفٍّ مستقيمٍ لا اعوجاج فيه، تقدمت سيارات الدفع الرباعي السوداء نحو سلسلة الجبال الوعْرَة المُشجِرة. ترابطت سلسلة الجبال تلك مع تخلل الشجيرات الخضراء لها، مكونةً منظرًا ساحرًا نادرَ الحدوث. خلت المنطقة من البشر تمامًا، لتعطي الحرية والحياة الكاملة للنبات والحيوان... دون مضايقة الجنس البشري لهما أو تطفله عليهما.

توقفت السيارات عن الحركة مع توقف السيارة الأولى في المقدمة، عند وقوف امرأةٍ سمراء على ناصية أحد الجبال... مشيرةً للسيارات بعلمٍ أسود... وفي يدِها الأخرى مكبر صوت.

فُتِحَتْ نافذة إحدى السيارات في الخلف ليطل منها رأس (آنثوني)، وعيناه تختبئان تحت النظارات الشمسية... مصغيًا بتركيزٍ لما ستقوله غريمته. لم يساعد الجو على تقليل التوتر البتة، بل زاد هيبة الموقف ورهبته بأشعة الشمس الصيفية الحارقة.

"المنطقة برمتها محاطةٌ بالقناصين المحترفين، وأنتم أذكى من محاولة الغدر وعدم الإيفاء بالشروط. ستصعد السيارة التي تحمل (جيني) فقط وبقية السيارات تمكث في الأسفل، وحين الوصول لأعلى ستخرجُ (جيني) أولًا ونراها سليمةً معافاة... ثم أركب على متن السيارة أنا. وتغادرون معي

دون إبقاء سيارةٍ واحدة!"

صرختْ (آليكس) بالمكبرِ من أعلى الجبل، مُمليَةً شروطها على (الأسمى) وهي تضيق عينيها جراء الشمس الساطعة.

"لقد سمعتم السيدة، ستصعد سيارتنا نحن فقط و..."

"لكن هذا خطِرٌ جدًّا يا سيدي، لا..."

**"نفِّذ ما يقوله لك سيدك واترك الثرثرة!"**

قاطعه (آنثوني) موبِّخًا، مذعنًا لأوامر المطلوبة العالمية... وقلبه يحترق.

"لتبقَ كل السيارات مكانها، سنتقدم نحن فقط"

قال الجندي في الخلف في جهازه اللاسلكي، و(آنثوني) يغلقُ نافذته والسيارة تتحرك نحو طريق الجبل الوعر.

تنهد بعمقٍ والسيارةُ تصعد ذلك الطريق، لم يكن خائفًا أبدًا من الصعود لمنطقة العدو وأي عدو... إرهابيةٌ طال البحث عنها حتى أُغلِقَ ملف القضية من اليأس.

انعطافٌ شديدٌ لليمين، ثم آخر للشمال في الطريق الترابي الممتلئ بالأحجار.. وهلُمَّ جرًّا إلى أن وصلوا لـ(آليكس) الواقفة بجينزها القصير وتيشيرتها الأسود المربوط من المنتصف. أشارتْ لهم بكفها ليتوقفوا مكانهم، وشعرُها البني المحلوق من الجانبين يلمع تحت شعاع الشمس.

لا خيار لهم إلا أن يطيعوا أوامرها آنذاك، بعد أن أصبحوا في قبضتها وحولها القناصون والحراس الشخصيون... جاهزون لقتلٍ من يحاول اللعب بذيله.

"أرونا (جيني)!"

صرخت بمكبر الصوت، ناظرةً بحدةٍ وبرودٍ للسيارة المظللة بالكامل.

خرجَ أحد الجنود المتشحين بالسواد من الباب الخلفي، ووجهَ التابعون لـ (آليكس) أسلحتهم نحوه... احترازًا من أي خيانة. أخرجَ الأختَ الصغرى من السيارة، بلباسِ المساجين المحجورين عقليًا... مقيدةً بآلاف القيود. أكلَ عليها الدهرُ وشَرِب، بعد مقاربتها للثلاثين من عمرها في سجونهم ومصحاتهم العقلية... بوجهها الذي كَبُرَ وطولها الذي ارتفع كثيرًا. لم تصدق عينيها حين رأت أختها الكبيرة بعد كل ذلك الوقت، رمشت أكثر من مرة لتتحقق من مصداقية الموضوع... لتضحكَ بشكلٍ هستيري استغرب منه الجميع.

حبست (آليكس) دموعها بالكاد، وهي تنظُرُ لأختها الصغرى التي تعفنت في الحبس... وكبرت ونضجت بعيدًا عن عينيها. أمسك الجندي بـ (جيني) من ذراعيها وتقدمَ نحو (آليكس)، دون أي مقاومةٍ من (جيني) التي اعتادت على الانصياع لهم وعدم مقاومتهم... ضاحكةً كمجنونةٍ مشردة. دفعها نحو (آليكس) التي أمسكت بها

واحتضنتها بقوة، لتسيل دموعها رغمًا عنها.

"كيف حالك حبيبتي؟"

سألتها (آليكس)، وقلبها ينفطر مع كل نظرةٍ لأختها التي يرثى لها.

"لقد بدأتُ أسأمُ من هذا الحلم، أتمنى أن أستيقظ بأسرع وقت!"

قالتْ (جيني)، فاركةً شعرها البني المجعد الطويل... متوقفةً عن الضحك ناظرةً للمكان حولها.

أُضيءَ نور السيارة مرتين، مما أعطى الإشارة لـ (آليكس) بأن وقت الرحيل قد حان. أشارت لأحد الرجال حولها ليستلم (جيني) وتحركت نحو السيارة آخذةً نفسًا عميقًا. ما الذي يخططونه لها من مكايد؟! لا علم لها... فقط مشت نحو سيارتهم موكلةً أمرها للقدر. صعدت على متنها واستداروا بالسيارة ليعودوا أدراجهم، بينما اتجه الحارس مع (جيني) للمغارة القريبة منهم.

"أووو، انظر لهذا الجسد العضلي، فلنجعل هذا الحلمَ مثيرًا قليلًا... ما رأيك؟"

غمزت له وهي تضحك، دون أن ينطق هو بحرفٍ أو كلمة.

لم يلبثا أن يدخلا المغارة حتى استقبلتهما (ستيف)، حاضنةً أختها دون سابق إنذار... و(جيني) تنظر لها دون

تصديق.

"انظري لنفسك، كم كبرتِ ونضجتِ وتغير جسدكِ!"

قالت متعجبةً من طول (جيني)، وقد اتّسخت أظافرها الطويلة وحوت أقدامها القليل من الشعر المنتشر في أماكن متفرقة.

"نعم نعم، وأنتِ بلغتِ مرحلة الشيخوخة بحلول هذا الوقت... صحيح؟"

أطلقتْ ضحكةً أخرى من ضحكاتها الهستيرية، وتجولتْ بنظرها في ذلك الكهف المجهز بالمجندات والأسلحة.

"لطالما لعب عقلي بي بتخيلاته وتهيؤاته وأحلامه، لكن هذا الحلم هو الأغرب يا (ستيف)... لوجودكِ فيه! ربما لأنكِ تخليتِ عنا ذاك الوقت"

أبعدتْ (ستيف) عن طريقها وهي تتحسس جدران المغارة، ولباس المستشفيات قد كشف عورتها من الخلف.

"هيا يا (جيني)، فلنبدل ملابسكِ هذه ثم أخبرك بالخطة بأكملها"

"لا داعي، كل هذا السيناريو في عقلي فقط... لمَ أتكبد عناء التغيير؟"

"(جيني) حبيبتي، ما ترينه حقيقةٌ وليس خيالًا! استيقظي!"

قالتْ (ستيف) واضعةً يديها على كتفي أختها، محاولةً علاج حالة الإنكار التي عاشتها المسكينة... ومن يلومها؟!

خمسة عشر عامًا في غرفة المصحة، دون تواصل مع البشر سوى الحراس وأوامرهم... بالوجبات أنفسها التي تقدم للمساجين كل يوم. المرحاض في الغرفة البيضاء القاتلة نفسها، ليأكل المحبوس ويشرب ويذهب للحمام وينام... ويقوم في اليوم التالي ليفعل الروتين ذاته... لخمس عشرة سنة!

التفتت (جيني) لأختها وتحسست وجهها بيديها المتشققتين، ناظرةً له بعينيها العسليتين المتعبتين... وكأنها تحاول معرفة إذا كان ما تراه حقيقةً أم محض خيالٍ أو حلمًا.

# (الجزيرة المجهولة)

# أغسطس، 2034

# الفصل السابع والسبعون

## المتحدثة: (آليكس)

اتكأتُ على درابزين السفينة والهواء يتلاعب بشعري ويلامس وجنتيّ، ناظرةً لغابة الجزيرة الشمالية تلوحُ لي بالأفق... زافرةً بعمق. بعد غياب خمس عشرة سنة عن أرض الوطن، أعود لها الآن بخطة جنونية لا يوافق عليها عقلٌ سليمٌ في هذه الدنيا. لولا انعكاس أضواء السفينة الحربية البيضاء على الغابة، لما كانت ظاهرةً جراء ظلام الليل الحالك.

توجَّب علينا مباغتة الجيش العجيب الذي احتل جزيرتنا، في وقتٍ لا يتوقعونه البتة... ومن الجهة الأخيرة التي قد تخطر على بالهم. من الجزء الشمالي الحاوي للغابة، والذي كذب علينا أهلنا بشأنه قائلين إنه سام وغيرُ صالحٍ للعيش. ألقيتُ نظرةً حولي على جنود (الأسمى)، كادوا يختفون بلباسهم الأسود لولا الأضواء... مستعدين للهجوم مباشرةً. قائدهم يتحدث مع نائبه -في اعتقادي- في أعلى السفينة، أيخططون لاغتيالي بعد انتهاء العملية؟! أم يسلمونني لـ (الأسمى) والذين سيعدمونني في نهاية المطاف؟!

أعدتُ النظر للغابة التي اقتربنا منها شيئًا فشيئًا، راميةً الوساوس خلفي فلا مجال للتراجع الآن بعد كل ما اجتزته... وحنينُ الرجوع للوطن يغمرني. هناك وُلِدتُ

وترعرعت، معظم حياتي كانت هناك... وهناك حصلت المجزرة التي أهلكت أمي وأغلب نادي (العنقاء الرمادي).

**"خذوا مواقعكم أيها الجنود، وتذكروا أن الهدوء أولوية مهمة عند النزول والتقدم!"**

صرخ القائد نازلًا للأسفل، مصفِّقًا بيديه لتحميس وتعجيلِ الجند.

كان هو المسؤول عن العملية، نجاحها يعني نجاحه وفشلها يعني فشله وموتنا جميعًا. بالطبع لم يكن (آنثوني) أو أيٌّ من (الأسمى) ليتواجدوا في مكان التنفيذ، خوفًا على أرواحهم الرخيصة.

ارتصَّ الجند واستعدوا للنزول، بينما بقيتُ مكاني على الدرابزين... ببدلتي الواقية من الرصاص على تيشيرتي وجينزي القصير. بدأت السفينة بالتباطؤ حتى رسونا على ساحل الجزيرة، ووقف القائد مع نائبه بجواري وكأنهما يمنعان أي فرصةٍ لي للهرب. نزل الجنود المدججون بالسلاح بهدوءٍ خوفًا من إحساس المحتلين بنا، وكان هذا سبب مجيئنا للجزيرة بسفينةٍ واحدةٍ حتى لا نُشعِرهم بقدومنا.

سنباغتهم عبر نفق الطوارئ الذي بناه أبي في حالات الطوارئ لمغادرة (الجزيرة المجهولة)، يربط الشمال بالجنوب، بدايته في المطعم المهجور القريب من بيتنا... ونهايته في مبنى صغير بالغابة على أطراف الساحل وهذا الذي سنسلكه. تقسموا على أرض الشاطئ وكل منهم قد

حفظ ترتيبه ومجموعته عن ظهر قلب، وتقدمتُهم مع القائد وقد أحاط بنا عدة جنودٍ لحمايتنا... وبدأتُ بالتوغّل مع كشافات الجنود حتى أرى الطريق.

هيا يا ذاكرتي لا تخيبي ظني، على ما أتذكر أن مبنى النفق يجب أن يكون على الجهة اليمنى. تحت هواء الجزيرة الصيفي العليل، مشيتُ وخلفي جيشٌ فتّاك لأرشدهم... على الرغم من قلتهم إلا أن تدريبهم العالي وبنية أجسادهم وأقوى الأسلحة التي امتلكوها ترهب أشجع المخلوقات. وما هي إلا خطواتٌ قليلاتٌ حتى ظهر لي المبنى، وأشرتُ للقائد الذي أعطى الجنود الضوء الأخضر للاقتحام. فتحَ أحدهم الباب ودخل مع اثنين آخرين، متفحصين المكان قبل دخولنا حتى لا نتفاجأ بهجومٍ من الأعداء. أومضَ جندي بكشافه من المبنى الذي شابه الكوخ في صغر حجمه، مطمئنًا قائده أن المكان آمن. تقدمناهم مرةً أخرى حتى أرى المبنى، وكما تركناه كل تلك السنين... كان النفق موجودًا في المكان ذاته. أشرت لمكانه دون النطق بحرف، فكل ما أردته الانتهاء من تلك العملية الغبية.

دخلوا للنفق واحدًا تلو الآخر، ونحن ننتظر نزولهم جميعًا حتى ننزل بعدهم مع بعض الجنود. لم يكن النفق كبيرًا واستغرقَ نزولهم بعض الوقت، حتى حان دورنا في النزول... لتبدأ اللحظة الحاسمة لي.

بمجرد سماعي للجنديَّين اللذَين أبقيناهما في خارج المبنى يسقطان صريعَين، استعدَّ كل جزءٍ من جسدي لتنفيذ

الخطة الأصلية... تلك الخطة السرية التي لم يعلمها أحدٌ منهم... ظنَّ الحمقى أني فعلًا سأنصاع لهم! تظاهرتُ بالخوف حين سماعي ورؤيتي للجنديَّين القتيلين، حتى لا يعلموا أني مع العدو أصلًا. وقف الجنود الموكلون بحراستنا أمامنا مستعدين لأي هجوم، مشيرين بأسلحتهم نحو الباب. وأتى الهجوم من خلفي ليسقط قائد الجيش ونائبه، حمتهما السترات الواقية بالكاد... وسقطا فقط من ألم ارتطام الرصاص بها. جُنَّ جنون الجند وقتها، وتحدث أحدهم باللاسلكي بسرعة، مبلغًا من بالنفق بالخروج. لكن الأوان قد فات، أحاط بالمبنى جنود العدو وفرَّغوا طلقات أسلحتهم في جميع من بقي حيًّا... عداي أنا. خرجتُ من المبنى بعدها مباشرةً ركضًا، فأنا أعلمُ ما سيحدثُ لمن في النفق ومن حوله. على الرغم من ظلمة الليل والمكان، إلا أني تعرفتُ عليها هناك... وقفتْ (آنجي) متبسمةً في الخارج لتركُضَ معي وحولنا بقية الجنود. كان معها جهازٌ حوى زرًّا، واستنتجتُ مباشرةً أنه جهاز التفجير. كانت قد ضغطتهُ قبل ثوانٍ معدودة، نظرنا بعضنا لبعض ونحن نركض... وبادلتُها الابتسامة على الفور.

تغيرتْ كثيرًا وتقدمتْ في العمر، وعنقها قد تغطى بوشم ذئبٍ مماثلٍ لذاك الذي غطى رقبة (بيثاني).

# الفصل الثامن والسبعون

## المتحدثة: (ستيفاني)

"للحظة واحدة فقط، اعترفي أنكِ تخليتِ عني! لا تحاولي التبرير أبدًا... زيارةٌ واحدةٌ لأختك الصغرى القابعة في مصحةٍ قذرة... لم تكن لتكلفكِ شيئًا مع علاقاتك القوية بالملكة (آجنيس)"

قالت (جيني)، عاقدةً ذراعَيها وهي تنظر لشُطآن جزيرتنا ومسقط رأسِنا ... بخيبة أملٍ مريرة.

انعقد لساني ولم أملك أي مبرر بعد جملتها تلك، حدقت بصمتٍ والآلام تخالج بصدرها وقلبها... بجينزها الأسود وتيشيرتها الأبيض. لم تعترض على ارتدائه ولو لثانية، غيرت من لباس المصحات إليه بلا تردد... لأتيقن عندها أن الحياة لم تعد تهمها البتة. (جيني) التي لطالما كرهت ارتداء الجينز ولم تقبل به، ترتديه دون تردد وكأن الأمر عادي!

"أرجوكِ قولي لي على الأقل إنا متيقنون من نجاح هذه الخطة"

أطلقتْ تنهيدةً نمَّت عن كمية المتاعب والآلام التي يحويها قلبها، لو اجتمعت تلك الكمية من الهموم والمشاعر في أحدٍ منا لفقد عقله وأقدمَ على الانتحار.. لكنها لعبت دور (نوفا) في القوة والصلابة.

أومأتُ لها وأنا أربّتُ على كتفها الهزيل، من سوء تغذيتها وقلة حركتها مع الغموم التي أثقلت كاهلها.

"الفتيات على أتم الاستعداد للنزول"

نطقت (يولندا)، متقدمةً نحوي بشعرها الأحمر المنسدلِ مع دقاتِ كعبها على الأرض.

"لا نستطيع تضييع ثانية حتى، علينا أن نسرع فالشمسُ تكاد تنتصفُ السماء"

أعطيتُها التعليمات لتومئ بشرود، ناظرةً لـ (جيني) وكأنها مخلوقٌ فضائي غريب.

"انظري للمسوخ يحرسون الشاطئ، لا أصدق أن (آنجي) وضعت يدها في أيدي هؤلاء الإرهابيين!"

كل ما في قلبها أصبحَ على لسانِها، كأولئك الطاعنين في السن والذين لا يملكون الجهد ولا الوقت للمجاملة. كنا قد اقتربنا من الساحل آنذاك ولا وقتَ لمناقشة (جيني) وإفهامها، فاكتفيتُ بالصمتِ حتى نصل إلى هناك بسلامٍ وهدوء.

اصطفَّ المجنَّدات ريثما أرسى القبطان العبّارة كما ينبغي، والحنينُ يملؤني لأخطو بقدمي على أرض الوطن مجدداً. نزلنا على الساحل وبدأنا في المشي بانتظام، وكلي فخرٌ بهذا الجيش من الفتيات المدرَّبات تحت إشرافي. خمسة عشر ألفًا من الفتيات اللائي لم يرَين الحياة الخارجية، دُرِّبنَ منذ

الصغر للحرب والغزو والدفاع والقتال... بعد أن كُنَّ على وشك الغرق بفعلِ آبائهن.

لم تكن سعادتي وفخري ليكتملا حين تسقط عيني على أختي الصغرى -التي تؤمن أنا تخلينا عنها جميعًا- وأنا آخذةٌ بذراعها دون مقاومةٍ منها، لتمشي معي وهي تتأملُ جزيرتنا والذكرياتُ تغزو عقلها. كل بقعةٍ على الشاطئ لها ذكرياتها الخاصة، لو نطقت تلك الكُتَل من الرمال الناعمة... لصرخت من الألم وأنّت على ما حصل من مذبحة لأهلِ هذه الجزيرة. لكنها تعود لتضحكَ وتقهقه أو تبتسم، حين نتذكر اللحظات السعيدة التي تمَّت على أصواتِ أمواجِ بحرِها المتلاطمة.

لم يوقفنا أحدٌ من الجيش الغازي للجزيرة، ولم يتعرض لنا أحدٌ منهم بسوء... فولاؤهم لنا مضمونٌ بوجودِ (آنجي) التي عاشرتهم وكسبت ثقتهم.

استمرَّ تقدمنا إلى أن وصلنا لمباني (الجزيرة المجهولة)، ليزيدَ الشوقُ وتداهم الذكريات عقولنا أكثرَ وأكثرَ... كان لتلك المباني رائحةُ مميزةُ أشتمُّها من مكاني. منزلنا... ذاك الذي لم يخرُج منه إلا كل خيرٍ وطُهر... على نقيضِ (الأسوأ) الذي لا تُخرِجُ منازله إلا السوء والشر والقذارة! توقفَ الجيش مع (يولندا) وأحاطوا بمنزلنا مختلطين بجنود المحتلين، كما كان الاتفاق والتعليمات. ابتعدَ المجنداتُ واخترقت إحداهن الصف، وهي تدفع كرسيًا متحركًا يحمِلُ عجوزًا طاعنًا في السن تفصِلُه عن الموتِ أيامٌ ولربما ساعات حتى!

حرصتُ بشدةٍ ألّا تراه (جيني) في العبارة حتى لا تفقد عقلها وتخرج عن طورها، فلو رأت العجوزَ آنذاك لخنقته بيديها. أخذته (يولندا) منها وأدخلتُ (جيني) بيتنا سريعًا، آملةً ألّا تكون قد رأت الشيطان على ذاك الكرسي.

**"يا إلهي... انظري لكِ كم كبرتِ ونضجتِ!"**

صرختْ (آنجي) وهي تستقبلنا على عتبة الباب، محتضنةً (جيني) التي استجابت للحضن ببرود كما فعلت معنا... بفستانٍ أسودَ كاشفٍ للساقين... أُظهرَ الأوشامَ التي ارتسمت على ساقيها وقدميها. تغطتْ بالأوشام من رقبتها لأخمصِ قدميها، كـ (بيثاني) بالضبط وبالوشومِ أنفسها وأشكالِها. تأملتها (جيني) من الأعلى للأسفلِ، بنظرة برودٍ شابها القليلُ من الاشمئزاز والعار.. لتكونَ تلك النظرةُ كافيةً عن ألف كلمة توبيخٍ لها ولنا جميعًا!

تجولتْ في غرفة المعيشة ذاتِ الأثاثِ القديم الغابر، وأشرطةُ الطب الجنائي تحيطُ به من كل جانب. أظهرَ الشعرُ القليل -المنتشر على أجزاء متفرقة من وجهها- سوءَ اهتمام المصحة بها، ناهيك عن عينيها العسليتين الناعستين من الإعياء... وشعرها الطويل البني المتقصف الذي لم يُغسَل منذ مدة طويلة. عرضتُ عليها الاغتسال لكنها أبت وكان آخر اهتمامها، بل لم يكن على قائمة اهتماماتها أصلًا... برائحتها المتعرقة والكريهة.

"حسنًا، الكاميرات جاهزةٌ واخترقنا أكبرَ القنوات

الإخبارية حول (الأسوأ)... سندخِلُ (دريكسِل) الآن وسأتولى أنا الخطاب والتحدث للعالم و..."

**"(دريكسِل)! أهو موجودٌ هنا؟!"**

قاطعت (جيني) (آليكس) صارخةً، بعينين كادتا تخرُجان من مكانهما ناظرةً لنا بصدمة.

"نعم ولكن علينا ألّا نتسرع ولا..."

لم تُكمِل (آليكس) حديثها، لثَورَةِ (جيني) علينا وغضبها الذي لم يستطِع أحدٌ منا إخماد ناره.

"أوتعلمن يا أخوات الغفلة؟ لن أتحدثَ عن ترككن لي لأتعفنَ في مصحةٍ لخمسة عشر عامًا، بين ممرضاتِ الجحيم اللاتي عاملنني كحيوانةٍ هناك... دون تفكيرٍ أي منكن أن لها أختًا صغيرةً محتجزةً في مصحة!"

وضعتْ إصبعَها على الأريكة وحركته ليتسِخَ بالغبار المتراكم، ونحنُ ننظرُ بعضنا لبعض باحثات عن جواب وتبرير.

"صدقيني حبيبتي لم يكن بوسعنا..."

**"ششششششش أنتِ بالذات يا جبانة لا تتكلمي!** هربتِ منذ ألقوا القبض علينا بلا تردد، لتنعمي بعيشٍ رغيدٍ مع الإرهابيين الذين لجروا أطفالنا الأبرياء!"

اقتربتْ من (آنجي) ببطءٍ ملقيةً نظراتها القاتلة عليها، بينما صمتت الأخيرة ولم تنطق بحرف.

"بحق الله، أتاني المحيضُ هناك دون مساعدةٍ أو إفهامٍ لي عن سبب نزيف جسدي السفلي! بلغتُ ونضجتُ هناك في غرفة المصحة الانعزالية، بين أربعة جدرانٍ متقاربة وكأني في قفص... آملةً أن تظهر إحداكن في اليوم التالي. أضعُ رأسي على الوسادة التي غرقت بدموع الليالي حتى تغيرَ لونُها وتعفنت، واضعةً لكلٍّ منكن ألفَ عذرٍ على أملِ ظهوركن في وقتٍ قريبٍ لإنقاذي. أضعتُ حسابَ الأيام، لم أعد أعلم في أيِّ يومٍ أنا حتى اختلطَ عليَّ حسابُ الشهور.. لأصلَ لمرحلةٍ متقدمةٍ لا أعلمُ فيها كم مرَّ من السنين!"

سقطتْ دمعةٌ من عينِ (آليكس) وهيِ تنظر للأرض، و(جيني) تحومُ حول الغرفة متحسسةً الأثاث العتيق المتسخ... ملقيةً نظراتها علينا بين الفينة والأخرى.

"أحيَّاتٌ هن أم ميتات؟! أبى أن يخبرني الممرضات أو الحرس عما يدور في العالم الخارجي، ولم أعلم أيَّ الخبرين أدهى وأمر... موتكُن أو تخليكُن عني"

أنهتْ محاضرتها التوبيخية متجهةً للدرج، لم تنتظر تبريرًا أو عطفًا وشفقةً منا... عبَّرت عن خيبةِ أملها فقط.

نظرنا بعضنا لبعض باحثات عن حل معها، فاقدات الجرأة على الكلام بعدها.

"ماذا الآن؟"

سألتْ (آليكس)، ماسحةً دموعها متكئةً على حائط المنزل بظهرها.

"سأستلمُ أنا الخطاب للناس بالبث، وسأقتل (دريكسِل) بعدها بيدي ولا أريد اعتراضًا!"

اعترضت (جيني) المحادثة وهي تصعدُ السلالم للدور الثاني، دون التفاتةٍ منها.

"جهزتُ الخطابَ الأنسب وحفظتهُ عن ظهرِ قلب يا (جيني)، يحتاج الأمر لمهاراتٍ عاليةٍ في الخطابة والإقناع!"

بررت لها (آليكس) وأنظارُنا تلاحِقُها بترجٍّ وتوسُّل، لا تحتمل الخطة أدنى إخفاقٍ والوقتُ يداهمنا... فـ (الأسمى) وملوك العالم -على الأرجح- يستعدون لتوجيه ضربتهم الأولى لنا... بعد تفجير جنودهم في النفق وعدم سماعِ خبرٍ منهم.

"أوه أوه، أرجوكِ يا بليغة العالم أنتِ! نهايتكِ تاجرة مخدراتٍ وقوّادة، لا تنسي قدركِ ومكانتك. والأخرى حليفةٌ لإرهابيين وعاشت معهم وعاشرتهم حتى أصبحت جزءًا منهم. والأخيرة قاتلةٌ مأجورةٌ وحذاءٌ أيسر للملكة (آجنيس)، تستعملها لأعمالها القذرة برضاها! سأقدمُ أنا الخطاب... انتهى النقاش"

غسلتْ أشرعتنا وأسكتتنا بكلامها اللاذع المُحرِق، لنذعن لها ولرغبتها دون جدال حين رأينا إصرارها على الأمر... ولن نتحملَ توبيخًا وتسفيلًا أكثرَ من ذلك. استدارتْ

لتتأملَ دور بيتنا الثاني، بينما وقفنا جميعًا في صمتٍ تام. إلقاء (جيني) للخطاب خطيرٌ جدًّا، فالخطابُ للشعوب هو ورقتنا الرابحة والأسرع للانتصار... فشله سيكلفنا الكثير. لكنها الصغرى والأنسب لاستعطافِ القلوب، وحتى إن لم ينجح خطابُها فسيرى العالم أثرَ معاملة المصحات والسجون على عقلها.

فتحتُ البابَ وأشرتُ لـ (يولندا)، أسرعت دافعةً (دريكسِل) نحو المنزل وقد طعنَ في السن... واصلًا لأرذلِ العمر وآخر الأيام. خسرَ شعره وترهَّلَ جلده فوقَ ترهُّله، ناظرًا للأمام ببرودٍ غيرَ شاعرٍ بما حوله.

ما أقصر الحياة وأصغر العالم، الملك (دريكسِل) المتجبر الطاغي الذي طالما خشيناه وأرعب مضاجعنا... مُقعَدٌ بين أيدينا بلا حول ولا قوة!

"أهلًا بك أيها الوغد، أتتذكرنا؟"

رحبت به (آليكس) كما يليق، و(يولندا) تدفع كرسيه للداخل... دون أن يجيبَها أو ينظرَ لها حتى أو يشعر بأي شيءٍ حوله أصلًا.

"أردتَ إيجادنا واستنزفتَ قواكَ في البحثِ عنا، وها قد تحقق مُناك"

قالت (آنجي) ساخرةً، معدِّلةً نظارتها السوداء الجديدة.

غادرتْ (يولندا) مغلقةً الباب، واتجهت (آنجي) لحقيبةِ

كبيرةٍ على طاولة الطعام. أخرجتْ مجموعة أوشحةٍ ريشيةٍ زرقاء ورمتها لنا، لأضع وشاحي حول رقبتي ليذكرني ملمسه بأمي الراحلة. رأيتُ بعدها مجموعةً من العكاكيز الرمادية ذات رأس الذئب التي وضعتها (آنجي) على الطاولة لتكتمل حفنة الذكريات، شاعرةً بنغزةٍ في قلبي ككل مرةٍ تمرُّ فيها (نوفا) على بالي.

**"(جيني)! لقد حان الوقت!"**

صرختُ آخذةً عكازًا من العكاكيز التي شابهت كثيرًا عكاز (نوفا)، حتى كدتُ أشك أنه عكازها الفعلي.

"حسنًا حسنًا حسنًا، انظروا من شرفنا بالزيارة!"

احتفت (جينيفر) بتهكم، مبتسمةً نصفَ ابتسامةٍ حين رؤية (دريكسِل).

تناولت وشاحها من (آنجي) وعكازها، ومشت نحو (دريكسِل) الذي ظلَّ ناظرًا للأمام... روحه موجودةٌ لكن عقله مفقود. فتحتْ (آنجي) الكاميرا ووقفنا بشكلٍ أظهرنا جميعًا فيها، (جيني) في المنتصف وأنا و(آليكس) على الشمال... و(آنجي) على اليمين. دفعتْ (دريكسِل) بعيدًا حتى لا يظهر على الكاميرا.

الأوشحةُ الزرقاء أحاطت برقابنا، واتكأنا على عكاكيزنا الرمادية ذاتِ رأس الذئب... ظاهرات بشكلٍ غريبٍ مهيب.

ملامح (جيني) البريئة تلاشت تمامًا، محاها الزمن وسوؤه وقسوته وتبدلتْ بأخرى مُرهقَة باردة مالت للشر قليلًا.

"جاهزة؟ سنخترِقُ كل قنوات الأخبار العالمية الشهيرة عند ضغطي للزر"

سألتْ (آنجي) رافعةً جهازَ التحكم. أخذتْ شهيقًا وأطلقتْ زفيرًا، مومئةً برأسها وهي على وشك الحديثِ أمام الملايين حول العالم إن لم يكن المليارات.

"(الأسوأ)... هذا ما أطلقناه نحن سكان (الجزيرة المجهولة) على من سكن خارجها في بقية الدول. منذُ خرجنا للدنيا وهذا ما قاله لنا أهلونا وأصدقاؤنا، أن الحياة خارج الجزيرة جحيمٌ لا يطاق... وليتهم كذبوا فيما قالوه!"

افتتاحيةٌ بليغةٌ قوية... بدأت بها صغيرتنا الخطاب الأقوى على مر التاريخ.

"تُتاحُ لنا الفرصة لزيارة (الأسوأ) أخيرًا للمرة الأولى، ليغمرنا الحماس والإثارة لزيارة تلك الأرض المشؤومة. لم نلبث أن خطونا قدمًا على تلك الأرض... حتى وقعت علينا الفِرية العظيمة أننا عائلة (الفاولكين) ونادي (العنقاء الرمادي) إرهابيون. دون دليلٍ قاطعٍ أو بينة، اتهمَنا ملك (بريجيرا) السابق (دريكسِل) و(لوجان) ملك (بوسكي) بالإرهاب الحاصل في العالم.. كيف سمحت لكم أنفسكم أن تصدقوهما؟!"

نظراتُها فاقت أمهر المتحدثين، وهي تدورُ في مكانِها داقّةً

العكاز بهدوء.

"لا ألومكم بصراحة، فقد سمحت لكم أنفسكم أيضًا قبولَ القاعدة المسخة التي سمحت برمي الفتيات الرضيعات... في بحر (آنجيلز) من قِبَل أُناسٍ مجانين آمنوا أن الفتيات سيتحولن لملائكة أطهار! انطلت عليكم الأكاذيب من قِبَل (الأسمى) وصدقتموهم وأذعنتم، دون مقاومةٍ أو تفكيرٍ بما فرضوه عليكم من ظلمٍ وإجحاف.

لن أتحدثَ بلا دليل، احترامًا مني لعقولكم... إليكم اعترافًا مُسجَّلًا من الملك (دريكسِل) باتهامه لنا ظلمًا لأحقادٍ قديمةٍ حملها قلبُه"

سكتت ليحينَ دورُ (آنجي) في الأمور التقنية، اتجهت للأجهزة المثبتة بالكاميرا وعبثت بها... ليظهرَ فيديو واضحُ بدقةٍ عالية... جلسَ فيه (دريكسِل) على كرسيه المتحرك بلباسٍ رسمي.

"(فيوليت) تستحق ما جرى لها بعد خيانتي، لم أتردد للحظةٍ حين قتلتها بيديَّ هاتين... وما كنتُ لأذرِفَ الدموعَ على ما حصل لكم أيها الحثالة! كم استمتعتُ حين رأيتُ كره العالم لكم وبغضهم الشديد"

قال بحنقٍ وعيناهُ الرماديتان الشيطانيتان تشتعلان غضبًا وغِلًا.

"(دريكسِل بليس) هل تقر بأن التهم الموجهة بحق سكان (الجزيرة المجهولة)، باطلةٌ لا أصل لها؟"

سألتهُ جالسةً أمامه في ذلك المقطع، وقد حرصنا على إيضاح وجهه واسمه.

"ولم أندم على ذلك البتة!"

قال مومئًا برأسه، متبسمًا بخبثٍ ظنًّا منه أنه الغالب... واعتراف الأحمق ذاك قد هزمَهُ ودمرَ كل ما بناه.

"(دريكسِل بليس) هل كان بقية الملوك و(الأسمى) عالمين بما فعلتَهُ أنتَ و(لوجان)؟"

"أعتقد ذلك، لم يكونوا ليهتموا بشرذمةٍ أمثالكم"

كل إجابةٍ منه كانت بمثابة قنبلة للحُكّام و(الأسمى)، وردُّ له الصاع صاعين بعد اعتراف (نوفا) المُدمي للقلوب!

عادت الشاشة لنا بالكاميرا الموجهة علينا، واستلمت أشجَعُنا زمام الحديث... ببلاغتِها التي صدمَتنا جميعًا. كيف لحبيسةٍ في مصحةٍ لخمسة عشر عامًا أن تخرُجَ بهذه الفصاحة والبلاغة؟!

"كما رأيتم، كان هذا الملك السابق لـ (بريجيرا) ... (دريكسِل) المُصاب بـ (الهربس)! لا أعتقد أنكم تحتاجون لتوضيحٍ أكثر من ذلك، هذا ما ظلَّ يفعلُهُ بكم (الأسمى) والحكام تحتهم منذ البداية... أكاذيبُ فوق أكاذيبَ حتى أصبحوا يطلقون الكذبة ويصدقونها.

يزرعون في عقولكم ما يريدون، وأنتُم تصدقونهم وتتبعونهم كالخِراف في القطيع ولا ألومكم. أختي الكبرى (نوفا)

شُنِقَت بلا ذنبٍ أو خطيئة، لأنها أرادت حماية أخواتها فقط اعترفتْ وأُقرَّت بمسؤوليتها عن الحوادث الإرهابية!

إليكم دليلًا آخر دامغًا، على كذبةٍ أخرى من آلاف الأكاذيب... التي ساقها (الأسمى)"

شغَّلت (آنجي) المقطع التالي وظهرتْ (آجنيس) بفرائها الأبيض المُجنَّح، ناظرةً بعينيها الحمراوَين المرعبتين... وشعرِها الأبيض الثلجي.

"اسمي (آجنيس)، ملكة (أوبيا) الحالية... ابنة ملك (أوبيا) الراحل (بريجيوس). أبلُغُ من العمر أربعةً وخمسين عامًا وأقر أن ما سأذكره من معلوماتٍ صحيحٌ لا شك فيه.

لستُ ملاكًا ولم أكن يومًا ما مؤمنةً بدين أهل (أوبيا) المليء بالهُراء، كل ما في الأمر أن والدي أراد رميي في بحر (آنجليز) لكن أمي أبت إلا أن أعيش... وبعد موتها أصبحَ اللعين يعنِّفني ويغتصبني. حتى عندما كبرتُ قتلتُ الملك (بريجيوس) وأرحتُ العالم من شروره، لأختلِقَ كوني ملاكًا على الجميع"

أخرجتْ عدساتها الحمراء لتظهرَ عيناها الزرقاوان الجميلتان، ونزعتْ أجنحة فرائها المزيفة واقتربتْ من الكاميرا حتى تُظهِر أطرافَ شعرها التي عادت للون الأشقر.

عادت الكاميرا علينا بعد أن أدت الملكة (آجنيس) دورَها على أكمل وجه، ولم تكذِب في حرفٍ قالته.

"كم من طفلةٍ في (أوبيا) رُمِيَت في البحر لتغرقَ بلا خطيئة، فقط لكونها أنثى لها رحِم؟! أذعنتم للهراء الديني الذي لا أصل له ولا دليل عليه، قاتلين ملايين الطفلات. صبيحة كل يومٍ يخرج قاربٌ يحمل عشرات الطفلات، ليعود حامِلًا على متنه الآباء دون بناتهم.

صدقت الراحلة (نوفا فاولكين) حين قالت إن الحياةَ لن تنتهي عند موت الإنسان، فهناك حياةٌ أخرى تبدأ بعد موته وهي الحقيقية التي ستمتد إلى ما لا نهاية... فيها نُحاسَبُ على أعمالِنا في الدنيا.

**إلى متى استخفاف العقول والاستغلال؟! من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كرامة ورحمة، سيقِفُ معنا وفي صفِّنا... حتى يحيا العدل والإنصاف.**

**(جيني) محدثكم، مع (ستيفاني) و(آليكساندرا) و(آنجيلا)"**

لم أرَ أشجعَ منها بعد صرختها تلك، هزَّت العالم كله وحركت فيهم النخوة والإقدام.

أغلقت (آنجيلا) الكاميرا مع انتهاء خطاب (جيني)، لينطقَ آخر من توقعنا خروج كلماتٍ من فمه:

"أتعلمين، أنا و(فيوليت) و(تشارلز) وأفراد (العنقاء الرمادي) نشابه بعضنا كثيرًا... وكلنا حاربنا لأجل الشيء ذاته!"

ضحك (دريكسِل) ضحكةً استفزازيةً رافعًا نظرته القذرة لـ (جيني). اقتربت منه بحنَق وحقد، ماثلةً أمام قاتل أمها وأختها -بالتبني- شادّةً قبضتَيها وفكَّيها.

"أمي وأبي لا يشبهانك في أي شيءٍ يا مجرم!"

امتعضتْ صافعةً (دريكسِل) بشدة، ليزيدهُ ذلك ضحكًا على ضحكه!

"كلنا أردنا الأموال وجمعَها بأي طريقة، دون التفكير بالآخرين وضررهم... أوهمتْني أمك العاهرة بحبها لي في الجامعة لتنقُلَ لي مرض (الهربس) الخطير الذي لا علاج له. وعند تنصيبي هددوني بفضحي إن لم أعطهم (الجزيرة المجهولة) بأكملها. مجرد حثالةٍ إحداهم عاهرةٌ انتقل لها المرض من زبائنها، تلك هي أُمك التي علمَ أبوكِ بقذارتها وأحبَّها لذلك و..."

ما تركتْ لهُ مجالًا لينطقَ بكلمةٍ أخرى، وضعتْ وشاحَها حول رقبتهِ وشدَّتهُ حتى منعت الهواء من الوصول لرئتيه... وعيونها العسلية تكاد تخرجُ من مكانها غضبًا.

"(جيني) (جيني) (جيني)، ليس بهذه الطريقة أرجوكِ... قد خططنا للانتقام المثالي معًا!"

حاولتُ إبعادَها عنهُ لكن قوةً غريبةً تملَّكتْها، قوة شيطانية ليست من عالمنا على الإطلاق! ساعدتني (آنجي) بكل قوتها لكن لا فائدة، لم تتزعزع (جيني) البتة... واستمرت بشنقه وهو يحاول تخليص عنقه من الوشاح

بيديه الهزيلتين.

رأسُهُ يهتز مع كاملِ جسدِه، وبصرُهُ للأعلى باحثًا عن الخلاص وعن مصدرٍ آخر للهواء.

"لن نتوقف (جيني)، فلنُشارِكها في تخليصِ هذا اللعين من حياته الفاسدة... سنُسدي له معروفًا على أية حال"

قالت (آليكس) وهي تضعُ وشاحها الريشي أيضًا حول رقبته، ليشتدَّ الاختناق على العجوز المتهالك... فما كان لنا بدٌّ أنا و(آنجيلا) من مشاركتهما.

متَّعتُ عينيَّ بتأمل وجهه الذي يصارعُ الموت، في لحظةٍ تخيلتُها كل يوم بعد موت أمي. ما كان ذلك ليُرجِعَ (نوفا) أو (فيوليت) للحياة، لكنهُ بمثابةِ مخدِّرٍ للقلب العليل الممتلئ بالجروح والآلام. مرَّ طيفُ (نوفا) أمامي ووقفَ بجوار التلفاز، ناظراً لنا بحب وحنان ذارفًا الدموع.

حولتُ نظري لـ (آليكس) التي حدقت في غريمها ويداها المرتعشتان تشدّانِ الخناق عليه، بعينين امتلأتا بالدموع.

ما كان بكاؤنا عليه ولم يبكِ عليه أحدٌ في الدنيا، بل على ما سببه لنا من جحيمٍ أردى حياتنا. توقفَ قلبهُ عن النبض معلنًا موتَه، وتحركَ رأسُهُ طوعًا للأوشحة الريشية الخانقة له... معلنة نهاية حياة الطاغية الجبار.

أفلتُّ قبضتي لاهثةً والعرقُ يتصببُ من جبيني، نامي

في قبركِ قريرة العين يا (نوفا) و(فيوليت) وغيرهما ممن ظلمهم... فقد أُخِذَ اليوم بثأركم.

توقعتُ أن أشعر بالارتياح التام بعد انتقامي، لكن قلبي لن يرتاح في هذه الحياة. أفلتنا جميعًا أوشحتنا عدا (جيني) التي استمرتْ خانقةً له وعيناها مثبتتان عليه، وكأنها دخلت في غيبوبة!

"هيا (جيني)، لقد مات الرجل وانتهى"

حاولتْ (آنجي) سحبَها لكنها ظلت ممسكةً بالوشاح، والدموعُ تتساقطُ من عينيها وجسدُها يرتجفُ بالكامل.

"علينا مغادرة الجزيرة إلى (أوبيا) في أقرب وقت، ستتعرضُ للقصف عن قريب... لم تعد آمنةً وستُدَمَّرُ بالكامل باعتقادي"

استعجلتُ الفتيات ساحبةً (جيني) بكل ما أوتيت من قوة، متجهات للخارج وقد تغلبتُ على قوتها الشيطانية بطريقةٍ ما.

"لقد قتلتُ شخصًا!"

قالت (جيني) بصدمةٍ وهي تتأمل يديها المحمرتين من شدة السحب.

# جزيرة (الأسمى)، دولة (بوسكي)

## أغسطس، 2034

# الفصل التاسع والسبعون

**"سيطروا على (أوبيا) أولًا ثم (فويجو)، والآن تقول لي إنهم بدؤوا بـ (بوسكي)؟!"**

صرخَ (آنثوني) ضاربًا الطاولة بقبضته، ليرتعد قلبُ الضابط أمامه.

"سيدي، لديهم أسلحةٌ تفوقُ الخيال... والشعوبُ وبعضُ الجنود الخونة يساندونهم قلبًا وقالبًا! (ثعلب البحر) في صفهم وقد اشترى أكبر المهمين في دولة (فويجو)، حتى استطاعوا السيطرة عليها بسهولة وفرَّ الملك (فيكتوريو)"

**"وما فائدتكم أنتم؟! أخبرني!"**

أمسكَ بياقة بدلته العسكرية وشدها، حتى كادت تتمزق مع حبال (آنثوني) الصوتية من شدة الصراخ.

"اهدأ يا (آنثوني) وحافظ على رباطة جأشك، هذا ما يريدونه بالضبط... أن نتفرق ونختلف"

قال (أوين) ممسكًا ذراع (آنثوني)، محاولًا الهدوء في أوقاتٍ صعُبَ فيها التحكم بالأعصاب.

"الهدوء واللين والرفق لن تجدي لإيقاف هذه المهزلة، حان وقت استخدام الترهيب... لا أرى حلًّا سوى التهديد بالقنابل الذرية، وإن لم يُذعِنوا فسنستخدمها!"

وقعُ إجابته على مسامعهم كان بمثابة القنبلة بحد ذاته،

وسكتوا جميعًا وكأن الفكرة لاءمتهم... دون التفكير بالعواقب والأرواح التي ستُهدر.

"أبلغ القنوات الإخبارية بتهديدِنا، وجهز المعامل النووية واجمع العلماء من كل بقعة... سنفتحُ عليهم أبواب الجحيم ابتداءً بـ (أوبيا) إن لم يخضعوا"

## العاصمة (بوسكينو)، دولة (بوسكي)

## أغسطس، 2034

# الفصل الثمانون

بدأت الشمس عملية الصعود للسماء، منيرةً الكون شيئًا فشيئًا بينما حلَّقت الطائرات الحربية البيضاء نحو القصر الملكي... ممطرةً الطائرات والجنود الحارسين له بالرصاص الدامي. تساقطت طائرات الحراسة واحدةً تلو الأخرى، وترامى القناصون من أسطح القصر جراء الطلقات التي اخترقت صدورهم ورؤوسهم. ما كانت الطائرة الهاجمة لتتأثر بطلقات الحراسة من جودتها وقوتها، كانت مسألة وقتٍ فقط حتى أسقطوا الطائرات كلها وأخلوا البوابة من الجنود... مضرَّجين بدمائهم محتضرين.

تدلَّت حبال الطائرات الحربية على حديقة القصر، وبدأ الجُند بالهبوط عليها... وبعضهم يُقتَل والآخر ينجو وينجح في الهبوط بسلام. قتلوا أولئك الذين حرسوا القصر من الداخل وفتحوا البوابة، وتقدموا في حديقة القصرِ ببُطءٍ ممهدين إياها للقادمين بعدهم.

اقترب صف سيارات الدفع الرباعي البيضاء الباهظة الثمن من القصر، وفوقها طائراتُ حراسةٍ صغيرة... حتى توقفت عند البوابة وجثث الجنود مترامية عليها.

خرجَ من الأولى (ثعلب البحر) ببدلة (التوكسيدو) السوداء، مُحاطًا برجاله الذين فاقوه طولًا بل فاقه الجميع طولًا آنذاك... لشدة اقترابه من الأرض. من الجهة الأخرى خرجتْ (آليكس) بفستان أسود كاشفٍ

للساقين، بمساحيق التجميل المالئة وجهها... وكعبها العالي وكأنهم ذاهبون لحفلٍ أو زفاف.

من الثانية خرجت (ستيفاني) و(جيني) بفساتين سوداء أيضًا، بكعوبهما العالية متأنقتين بزينتهما الكاملة. من الجهة الأخرى خرجت (آجنيس) بشعرِها الأبيض المتلاشي للأشقر، وعيناها الزرقاوان تلمعان مع فستانها الأسود الجلدي... مع مجنداتها المحيطات بها من كل جانب.

آخر سيارة خرجت منها (آنجي) مع حلفائها من الدولة الغازية، دون أن تقل عن أخواتها أناقةً وجمالًا وزينة.

مشوا جميعهم بالترتيب ذاته نحو القصر، رافعين رؤوسهم ودقات أقدامهم تزلزِلُ الأرجاء... داخلين الحديقة باعتلاء. اخترقوا العساكر الذين شكلوا صفين لحماية الحلفاء، حتى دخلوا القصرَ بإرشادات الجنودِ الذين نجحوا في الاقتحام بسرعة.

بثباتٍ وقوة ونصر، صعدوا السلالم بلا تردد أو تباطؤ... وقادهم الضابط في الأعلى للغرفة المنشودة التائقين هم لدخولها. ما أقبحَ الضعفَ والذل والانكسار بعد القوة والعز، استلقى الملك (لوجان) على سريره الممتلئ ببائعات الهوى... وقد طعنَ في السن. لم يرتعد البتة حين رأى أعداءه، فقط ارتشفَ زجاجة (الفودكا) بصمتٍ وهو يبادلهم نظرات الحقد.

ثار هلع العاهرات عند رؤية الحلفاء والجنود وبدأن

بالصراخ، بملابسهن الداخلية ومساحيق تجميلهن المبالغ فيها.

"ششششششش، اغربن عن وجوهنا فلن نتعرض لكن بسوء"

قالت (آليكس) مشيرةً لهن بالمغادرة، وسرعان ما هرعن للخارج غير مفكراتٍ البتة بأجورهن التي لم يتقاضينها من الملك.

"لطالما أُعجبت بكبريائك أيها الملك"

تهكمت الملكة (آجنيس)، مبتسمةً نصف ابتسامةٍ عاقدةً ذراعيها أمامه... وهو ممددٌ بسرواله الداخلي يعاقِرُ الخمر دون اكتراث.

"افعلوها بسرعة وحسب، لا داعي للمماطلة"

ما كان ليهابَ الموت للحظة، فقد منعهُ كبرياؤه القاتل.

"حسنًا دعونا وحدنا، هيا جميعكم!"

صفَّقَ (ثعلب البحر) حتى يخرج الجنود والحرس، ليتركوا الرؤساء والكُبَراء يتولَّون الطاغية الذي أثار الرعب مع صديقه الراحل. نظرَ له (لوجان) بازدراءٍ لقزامته وأطلقَ ضحكةً تهكمية.

"أحسدكَ على جرأتك، وجبَ عليكَ التوسل لنا وله عوضًا عن الكبرياء والغطرسة"

قالت (ستيف) ناتفةً أجزاء من شعرِ ساقَيه العاريتين،

ليرمقها بنظرةٍ قاتلةٍ وتلتقي أعينُهما الخضراء... كشيطانين.

"وهل سيوقفكم التوسل عن قتلي؟ لا أعتقد"

نقطةٌ سديدةٌ وتفكيرٌ جيد، خرجَ من في السكِّير زير النساء.

"معكَ حق، لكنك ستتمنى الموتَ على ما ستلقاه عزيزي"

نطقت (جيني) بعد صمتٍ طويل، مقتربةً منه وهي تخرج سكيناً من جيبها... كمجنونةٍ عطشى للدماء.

ثبتتهُ (آنجيلا) و(آجنيس) حتى لا يتحرك، وقربت (جيني) السكين من بؤرة عينه... وحركتها عليها بلطف.

"لمصلحة تلك المسكينة التي اقتلعتَ عينها"

ما انتظرتْ ثانيةً لتنالَ انتقامها المنتَظر، غرست السكين بأعلى عينه اليسرى حتى آخرها... لتتفجرَ شلالات الدماء على ملابسها وجسده نصف العاري. صرخَ صرخةً كاد يسمعُها الأصم من علوها، وهي تنظرُ إليه شادةً فكيها وعيناها العسليتان قد فقدتا براءتهما... أو بالأصح أفقدهما (الأسوأ) تلك البراءة!

حرَّكت السكين والدماء تتناثر في كل مكان، لتزيدَ آلامه وصرخاته والجميعُ يُمتِّعُ عينه بالثأر المتفجر. تدلَّت العينُ على خده بعد أن خرجت من مكانها، معلَّقةً بوريدها. أمسكتْها (جيني) وسحبتْها بكل ما أوتيت من قوة، ليكتمل عور

(لوجان) وعينه الأخرى تنظرُ للمنزوعةِ بألمٍ وخوف.

ما خرجَ من فمه سوى الصياح والآهات، ولم يتركوا له فرصةً ليلتقطَ أنفاسَهُ حتى أمطرتْهُ (آليكس) بالكلمات في أماكن متفرقة... ثم أمسكَتْهُ بدل (آنجيلا) لتحوزَ على انتقامِها. أخرجتْ كمّاشةً من جيبها ووضعتها على أحد أصابع قدمه اليسرى، وقد علم فورًا ما ستفعله منذ رأى الكماشة... وبدأ يتخيل الألم الذي على وشك مداهمته. ثبّتت قدمه حتى لا يحركها، ثم قطعتْ إصبعًا دون سابق إنذارٍ أو انتظار، وهو لا يعلمُ أيتألّمُ من عينه المقلوعة أم إصبعه الذي قُطِعَ للتو.

"لا أعتقد أن القصر سيكون آمنًا قريبًا، عليكم أن تنهوه سريعًا"

قال (ثعلب البحر) وهو يحدق ببشاعة المنظر، لذاك العجوز نصف العاري والدماء تغطي جسده... والصراخُ يملأ الأرجاء والأجواء.

تركه من كان يُمسِكُ به وأخرج الفتياتُ سكاكينهن، ثم اقترن منه لتبدأ (ستيفاني) بطعنِهِ في جنبه الأيمن... وانهال البقيةُ عليه في أماكن متفرقة من جسمه. كلُّ طعنةٍ كانت بمثابة الثلج على قلوبهن المحترقة، حتى فارقَ الحياةَ وتراخى رأسه الأعور للشمال.

التقطن أنفاسهن والدماء قد لطخت فساتينهن السوداء، ناظراتٍ للملعون الذي حرمهن لذة النوم لليالٍ طوال.

بصقت (آليكس) على جثته واتجهت للخارج، وتبِعَها الجميعُ عدا (جيني) التي اتجهت للنافذة... تنظرُ للحديقة المقتحمة بصمت وهدوء. اتسخ وجهُها ويداها وفستانها بالدماء، وحدقت بشرودٍ والسكين الدموية لا تزال في يدها.

"هيا (جيني)، علينا أن نغادر الآن"

قالت (آنجي)، واكزةً أختها الصغرى الشارد ذهنُها.

"أما أنا فسأمكثُ هنا، نلتُ ثأري واكتفيتُ ورضيت... ما عاد لي سببٌ للبقاء والاستمرار"

قالت بكل برود متأملةً الحديقة، واضعةً شعرَها البني الطويل المجعد خلف أذنَيها... لترتسِمَ ابتسامةٌ أعادت البراءة لوجهها على الرغم من الدماء التي لطخته.

غادرت (آجنيس) و(ثعلب البحر) تاركين الأخوات ليتفاهمن بعضهن مع بعض، شاعرين بالرضا التام والفرحة على وجوههما... بعد تحقيق العدل لأولئك الفتيات المظلومات.

"أرجوكِ عزيزتي، قد قطعنا شوطًا طويلًا وها نحن أولاء على وشك الوصول لـ (الأسمى)"

قالت (آليكس) واضعةً يدها على ساعد (جيني)، محاولةً إقناعها بعينيها المترجيتين.

"لا ثأر لي مع (الأسمى)، ثأري مع (دريكسِل) و(لوجان)... ولن أضع يدي بيدِ الإرهابيين وأستمد

المساعدة منهم بعد الآن!"

أزاحت يد أختها بفظاظة، رامقةً (آنجي) بنظرةٍ حادة.

"ألا تريدين إحداث تغييرٍ للمجتمع؟ للظلم الحاصل من (الأسمى) وقوانينهم الجنونية؟!"

"بمساعدة ومعاونة وتسليح الإرهابيين الذين قتلوا مئات الأطفال حول العالم؟ لا، شكرًا، إن لم يكن لديكم مبادئ فهذه مشكلتكم... أما أنا فلن أقبلَ تلطيخَ يديَّ بوضعِهما في أيدي الغازين الإرهابيين... الغاية لا تبرر الوسيلة يا عديمي المبادئ"

أفحمتهم كالعادة وأسكتتهم، غاسلةً أشرعتهم في كل نقاشٍ يحاولون فيه التبرير والشرح.

حوَّلَ الجميع أنظارهم لـ (ستيفاني)، فهي الوحيدة التي قد تنجح في إقناع الأخت العنيدة، عالمةً في قرارة نفسها أنها لن توافق بهذه السهولة... متأملةً ورقةً مطويَّةً على أدراج السرير.

أثارت اهتمامها وتناولتها باستغرابٍ والفضول يقتلها، ناسيةً تمامًا (جيني) وعنادها. فتحتها لتقرأ فحواها... وما لبثت أن فتحتْ عينيها على مصاريعِهما.

"ابدأ العد التنازلي عند اقتحامهم"

قرأتْها بصوتٍ عالٍ مقطبةً حاجبيها، محوِّلةً أنظارَها بعينيها المفتوحتَين على آخرِهما لأخواتِها... ليفهمْن كلهن المقصود

حتى (جيني).

**"إما قنبلةٌ موقوتةٌ أو صواريخُ من (الأسمى)، فلنغادر فورًا!"**

صرخت (آنجي)، مغادرةً الغرفة لتتبعها (ستيف) محاولةً سحبَ (جيني) التي أبت التحرك... متشبّثةً بقضبان النافذة.

**"هيا يا غبية، ما تفعلينه غباءٌ وليس شجاعة!"**

كانت تلك أقوى صرخةٍ أطلقتها (ستيف) على (جيني) في حياتها كلها، من شدتها قفز قلبُ (جيني) دون إذعانٍ منها.

**"اخرجن وسأتعامل معها أنا، بسرعة!"**

قالت (ستيف)، مشيرةً لهن بالخروج من القصر.

"قفي عند النافذة لاستلامنا حين نقفز"

همست في أذن (آليكس) التي أومأت على عجل، لتغادرَ هي و(آنجي) نحو السلالم ركضًا... رافعتين فساتينهما بأيديهما حتى لا تتعرقلا. توقفت (آنجي) لبرهة وخلعت كعبَيها، لتكمل ركضها في سباقٍ مع الزمن... بينما استمرت (آليكس) بكعبها.

"الملاعين علموا بقدومنا لـ (لوجان) وضحّوا به حتى ينهونا في مكانٍ واحد"

قالت (آنجي) وهي تتنفس بصعوبة، نازلةً السلالم مع

أختها.

"لن أتحرك شبرًا لعلمك"

قالت (جيني) ببرود، ناظرةً لـ (ستيف) التي تسارعت نبضات قلبها.

"تعلمين أن (الأسمى) هم السبب في موت (آفا)"

أجابتها (ستيف) بالبرود ذاته، عاقدةً ذراعَيها خلفَ ظهرها... ووجنتاها ملطختان بالدماء التي بدأت تجف.

"(آفا) سلبت روحها بيدها"

انتهت المحادثة بكلام (جيني)، ووقفتا بصمتٍ متأملتَين حديقة القصر.

لوَّحت (آليكس) و(آنجي) من الأسفل لـ (ستيف)، وما انتظرت ثانيةً لتدفعَ (جيني) من النافذة بغتةً... عنصر المفاجأة لم يدع لها مجالًا للتشبث بأي شيء. سقطتْ والتقطتْها (آليكس)، وبمجرد وضعِها على الأرض... أُصِمَّت الآذان بصوت القنبلة المدوي وتناثرت شظايا القنبلة والغرفة في الأرجاء!

سحب الجنود (آليكس) و(جيني) و(آنجي) اللاتي وقفن مذهولاتٍ صارخات، دون أثرٍ لـ (ستيفاني) البتة... فقط الدخان الكثيف والشظايا المتطايرة.

**"قد تكون جريحةً فقط، دعوني أصعد لأنقذها... اتركوني!"**

صرخت (آليكس) والجنودُ يسحبونهن، وكل منهن تحاول التملُّص لإنقاذ أختها.

أتاهم الرد مباشرةً من الانفجار الآخر الذي قدِمَ من المبنى، ليتبعه عدة انفجاراتٍ متتالية... مرغمةً القصر على التهاوي شيئًا فشيئًا.

تحرك عددٌ من الجنود نحو القصر المتهاوي واقتربت إحدى الطائرات نحوه، في محاولةٍ لإنقاذ ما تبقى من (ستيفاني) التي لا أثر لها.

(آليكس) تصرخ وتحاول التملص من أيدي الجنود لتلحقَ أختَها وتنقذها، والدموع تتطاير من عينها والمخاطُ يسيلُ من أنفِها... بفستانها الأسود الدامي وشعرها البني المختلط بحُمْرة الدماء.

عجزت قدما (آنجي) عن حملِها وانهارت ليحملها أحد الجنود، وهي تُهمهِمُ وتغمغِمُ بما لا يُفهم ولا يُسمع... من أصوات الانفجارات وصرخات الجنود... وجسدها يرتجف بالكامل.

أما (جيني) فقد فقدت وعيها تمامًا وإحدى مجندات (آجنيس) تحملها، غارقةً في كوابيسها بفستانها الممزق من الجانب... ووجهها الذي أنهكته الحياة.

# العاصمة (فريك)، دولة (أوبيا)
# أغسطس، 2034

# الفصل الحادي والثمانون

صمتٌ رهيبٌ خيّمَ على غرفة الاجتماعات الكبيرة، مختلطٌ بالحزن والاكتئاب. جلس الحلفاء بعد خسارتهم لقائدةٍ مهمة للغاية، وقد فقدوا الشغف والحماس والهمة... بعد رحيلِ (ستيفاني) للأبد.

على الطاولة أمامهم استقرت الخريطة المفرودة لـ (الأسوأ)، وعليها الخطط والاستراتيجيات والدول التي وقعت تحت إمرتهم باللون الأزرق... أما الحمراء فهي التي لا تزال تابعةً لـ (الأسمى).

تلونت (أوبيا) و(فويجو) وأجزاءٌ من (بوسكي) باللون الأزرق، مما يجعلها خاضعةً للحلفاء... أما البقية فما زالت حمراء مقاوِمةً تحت سلطة (الأسمى).

استأذنتْ إحدى مجندات (آجنيس) في الدخول وأذنت لها، كما كان الحال فلا أحد يتدخل بجنود غيره.

(آجنيس) تحتها المجندات اللاتي دربتهن (ستيف) و(يولندا).

(آليكس) و(ثعلب البحر) تحتهما أفراد عصابتهما.

وأخيرًا (آنجي) فهي حليفةٌ للعدو الإرهابي من الدولة المجاورة.

"سيدتي، أتتنا عجوزٌ شمطاء اسمها (آليس) تدّعي معرفتَها بـ (آفا) وألحَّت أن تقابلكم وتقابلَ أخوات (آفا)، مقسمةً

لي أن بحوزتها الكثير من المعلومات الخطيرة الهامة"

"(آليس)... ألم تكن صديقةً لـ (آفا)؟"

قفزتْ (جيني) بسؤالها ذاك مقطبةً حاجبَيها، ناظرةً لـ (آليكس) التي أقرَّتها على ما قالته.

"وكيف لصديقةٍ لـ (آفا) بمعلوماتٍ خطيرة؟"

تساءل (ثعلب البحر)، ظاهراً بالكاد من قِصَر قامته.

"فلنسمعْ ما لديها ولن يضرنا ذلك شيئًا"

قالت (آنجي)، ناظرةً للجالسين على الطاولة.

"فتشيها جيدًا قبل إدخالها، حتى لو اضطررتِ إلى خلع ملابسها فافعلي"

أعطت (آجنيس) تعليماتها للجندية التي خرجت ضاربةً التحية العسكرية.

"ماذا عن تهديدهم باستخدام النووي؟"

سألت (جيني)، حانيةً ذقنها على الطاولة.

"هراءٌ محض، مجرد تهديداتٍ فارغة... لن يتجرأ أحدٌ منهم على استخدام هذا السلاح الفتاك"

أجابتها (آجنيس)، رافعةً شعرها الأبيض المشقَّرَ للأعلى.

"ما زال علينا أن نتوقع الأسوأ"

قالت (آليكس)، مشمِّرةً أكمام قميصها الواسع.

أنهت المحادثة العجوزُ الشمطاءُ الجالسةُ على الكرسي المتحرك، وقد شابَ شعرُها وترهَّلَ جسدُها وهزُلت عظامها... متأملةً وجوه الحلفاء لتُشيرَ بإصبعها المرتجف على (آليكس).

"تشبهين (آفا) كثيرًا يا ابنتي"

نطقت بلسانٍ متثاقل، والحروف تخرج منها بالكاد... بعد أن أوقفت عربيتها على الطاولة.

لم تعلم (آليكس) كيف ترد، أتكتفي بالابتسام أم ماذا؟

حدقت بالخريطة بعد ذلك باهتمام، والحلفاء ينظرون لها بصمتٍ وتعجب... منتظرين المعلومات المهمة التي ستقدمها كهلةٌ كُتلك.

"حسنًا، ما هي المعلومات التي تحملينها؟"

سألها (ثعلب البحر) لتلحظَهُ أخيرًا، وتحوّلَ نظرَها له بدلًا من الخريطة... متعجبةً من قصره ككل شخصٍ يقابله للمرة الأولى.

"لن أطيل في الحديث وأماطل، كنتُ صديقةً مقربة من (آفا) وأحببتها كثيرًا... وأنا هنا لأكفِّر عن خطيئتي وأسددَ ديني لها"

ناقضَ جزءُ الجملة الأول، الجزء الثاني... ونظرَ الجميعُ لها باستغراب منتظرين فك الشفرة وحل اللغز الذي قالته.

"أنا (كوجار) عضو فريق (الصيادين) التابع لـ

(الأسمى)، وكم ندمت على عملي ذاك خصوصًا حين أودى بحياة (آفا) للهلاك"

زاد استغرابهم ونظروا لها ولسان حالهم يقول: "من هذه العجوز الخرِفة التي دخلت علينا، مدَّعيةً أنها فرد من المنظمة السرية الأقوى لـ (الأسمى)"

"أعلمُ أن ما أقوله صعب التصديق، لكن أخوات (آفا) يعلمن أني اختفيتُ كـ (آليس) في الوقت ذاته الذي أعلن فيه (الأسمى) تعيينهم لـ (الصيادين)... أليس هذا غريبًا؟"

ثقلُ لسانِها أرغمَ الجميعَ على التركيز، رامين آذانهم نحو العجوز التي شارفت حياتُها على الانتهاء.

نظرَت (آنجي) و(جيني) بعضهما لبعض، متذكرتَين مجيء (آفا) لهما فجأةً... دون سابق إنذار وهي تشتطُّ غضبًا على رحيلِ (آليس) دون توديع.

"أتذكر هذا، نعم. لكنا نحتاجُ دليلًا أقوى، قد تكون مجرد مصادفة"

قالت (آنجي)، فاركةً ذقنها وهي تمحَّصُ (آليس).

"أحملُ معلوماتٍ خطيرة وأعلم أنكم لا تثقون بي حاليًّا، لكني سأعطيكم معلومةً سريةً عن هجوم (الأسمى) القادم... وأعلنُ أنا وبقية (الصيادين) الأحياء الانضمام لكم ومساندتكم"

"انتظري لحظةً، ما مصلحتكم من الانضمام لنا؟! لا

أعتقد أن الهدف المال، لأن (الأسمى) على الأرجح يغرقونكم بالأموال الطائلة"

سألت (آجنيس)، واقفةً من مكانها لتجولَ في أنحاء الغرفة.

"قد سئمنا العيشَ بتلك الطريقة، لا سيما وقد فارق معظمنا الحياة ولم يتبقَّ سواي أنا و(فوكس) و(وولف). ولو علم الناس كيف اختارنا (الأسمى) لازداد حقدهم عليهم ولناصروكم أكثر مما هم عليه الآن... كنا مجموعةً من المجرمين المطلوبين وحين قبضوا علينا أعلنوا إعدامنا للناس... لكن في الحقيقة دربونا لنصبح فريقهم الخاص للتدخل السريع. وبعد ما حصل لـ (آفا) الحبيبة، ما عاد النومُ يزورني وثار جنوني... وأود فعل ما أستطيع لتكفير ذنبي رغم أنه لا يُغتَفَر"

بدت واثقةً من كلامها بشدة، ناظرةً للأمام.

قامت (جيني) عن كرسيها وركضت نحو (آليس) بحنق، التي -كما زعمت- كانت سببًا في القبض عليها وقتلِ أختها. أمسكت بها (آليكس) لتمنعها وهي أشد حنقًا على من لاحقهم وآذاهم، و(جيني) تحاول التملُّص للانقضاض على تلك الكهلة.

"كلنا نريدُ قتلَها لكن علينا أن نستفيدَ منها حية، اهدئي!"

خاطبتها (آليكس) بحدة، وهي تلتقطُ أنفاسها وتعود لعقلها.

عادت لكرسيها وهي ترمق (آليس) بنظراتٍ قاتلة، وكأنها تتوعدها بالقتل بعد استعمالها.

"خطط (الأسمى) لرمي قنبلتين ذريتين، الأولى على العاصمة (فريك) بـ (أوبيا)، والثانية على العاصمة (فويجو). أنصحكم بإخلاء المدينتين وما جاورهما حتى لا يتأذى أحد، أو مباغتة الطائرات التي سترمي بالقنابل في الجو والتهيّؤ لها"

عمَّ الصمت الغرفةَ بعد معلومتها الخطيرة تلك، دون أن يتوقعها أحدٌ من الحلفاء أو من غيرهم... أن يكون (الأسمى) بتلك الشراسة والنجاسة!

"استعدوا للهجوم فليس لديكم ما تخسرونه، إن كان ما أقوله صحيحًا فقد ضربتم عصفورين بحجر... وجودُ حليفٍ موثوقٍ مثلي وصد هجمةٍ فتّاكة. وإن كان خاطئًا فليس لديكم ما تخسرونه وستقتلونني بكل بساطة"

كلامها المنطقي أجبرهم على الاقتناع نوعًا ما، وغاصَ الجميعُ في أفكارهم المختلفة... هل يتكبدون عناء الوثوق بـ (آليس)؟! وكيف سينشرون خبر الإخلاء دون علم (الأسمى) ووصولِ الخبر لهم؟

"نصيحتي لكم بعد صد الهجوم أن تباغتوا (الأسمى) فورًا، بدلًا من استراتيجية احتلال الدول. إذا قُطِعَ رأسُ الأفعى كُفيتم شرها، بدلًا من قطع ذيلها"

استأذنَ أحدُ القادة الحلفاء لـ (آنجي) في الدخول، وأذنت له ليدخل.

"سيدتي، أعلنَ الملك (ليو) الانضمام إلينا والدخول في حلفنا... مع كامل جيوش وقوات (كوتشينو)"

نقلَ لهم القائد الخبر السار، كاد يتبسَّمُ لولا بروتوكولات العسكرية التي تمنعه من إظهار أي مشاعر.

"سأنهي ثأري الأخير مع (الأسمى)، حتى لا يذهبَ دم (ستيفاني) هباءً منثورًا... ثم افعلن ما يحلو لكن ولا أريد رؤية وجوهكن بعد ذلك أبدًا... اتفقنا؟!"

قالت (جيني) مشيرةً لأخواتها. لوَّنتْ (كوتشينو) بالقلم الأزرق، عاقدةً العزمَ أخيرًا على إنهاء ما بدأته.

# جزيرة (الأسمى)، دولة (بوسكي)

## سبتمبر، 2034

# الفصل الثاني والثمانون والأخير

## المتحدثة: (آليكس)

هنا يسكن أثرى أثرياء (الأسوأ) إذًا؟ همممم، ليست الجزيرة بذاك الحسن والبهاء على أية حال.

ما شعرتُ بقوةٍ وسيطرةٍ واعتلاء كتلك اللحظة، حين تقدمنا جميعًا في صف واحد بعد أن أخلت لنا قواتنا الساحة... وقد اتّحدت غايتنا ضد من كانوا -في يومٍ ما- أقوى البشر وأعلاهم منصبًا.

على جانبيَّ (آنجي) و(جيني) بهيبةٍ لم يسبق لي رؤيتهما عليها، حاثتَين الخُطا لنيلِ الانتقام الذي لن يُشبِعَ قلوبنا لكنه سيخفف من نيرانها قليلًا.

على اليمين مشى الملك (ليو) و(آجنيس) و(تسونج) قائد القوات المسلحة للغازين الإرهابيين، بأرقى ألبِستهم وأغلاها قيمةً... دون أن يقلوا عنا رغبةً في محو (الأسمى) من الوجود.

على الشمال (آليس) بعربيتها و(فوكس) يدفعُها، مختبئين خلفَ أقنعتهما الحيوانية مع (وولف)... وقد اكتسوا جميعًا بأفخم البدلات الرسمية السوداء.

شبّكنا الأيدي ليزداد مظهرنا قوةً وسيطرةً ونخامة، لنكون كتلةً واحدةً وصفًا موحدًا... والشمسُ تؤذنُ بالمغيبِ وكأننا اخترنا هذا التوقيت لنُعلِنَ اختفاء (الأسمى) مع غياب

شمس اليوم. اقتحمنا القصر والجنودُ المختلطون أمامنا، مشكلين من جيوش العالم كلها.

دخلنا غرفة الاجتماعات التي جلَس فيها الملوك الباقون اليائسون، مع أفراد (الأسمى) وقد علموا تمامًا أنها النهاية. تركَنا الجنودُ وحدَنا ووقفَ كلٌّ منا بسلاحه على رأس كل منهم، عدا (تسونج) الذي اتكأ على الحائط بعيدًا. (جيني) على رأس (آنثوني) المستسلم، (آنجي) على رأس (أوين) الذي حنى رأسه على الطاولة، وأنا على رأس (كريبتون) لسوء حظه.

(آجنيس) عند رأس (لاندون) ملك (بريجيرا)، (ليو) عند رأس (فيكتوريو) ملك (فويجو)، و(ثعلب البحر) عند رأس (نيلسون) ملك (سويفين)... بينما اجتمع (الصيادون) على رأس (ثورن) المرتعد ملك (ديستينيجا).

"قِفوا!"

قالت (جيني)، شادّةً شعر (آنثوني) وهي تَشهَرُ سلاحها في وجهه.

وقفَ الجميعُ عابسين ذليلين، متمنين موتهم بأسرع وقت.

"تعلمين.."

ما انتظرتْهُ ليُكمِلَ جملتهُ حتى، ضغطتِ الزناد لتخترق الرصاصة جبينه إلى دماغه... وخرَّ صريعًا على الأرض. تبعناها جميعًا حتى أرحنا البلاد والبشر من شرورهم،

لأتفاجأ بشيءٍ غريبٍ عندئذٍ!

خلف (جيني) بالضبط وقفت الطفلة الدموية العارية، التي طالما طاردتني في أحلامي... بشعر بني طويل وعينين عسليتين... متبسِّمةً بلا أسنان وهي تحدقُ بجثة (آنثوني).

خلف (آنجي) وقفت طفلةٌ أخرى، بشعرٍ أشقرَ قصيرٍ والدماء تغطي جسدها العاري... لتلمعَ عيناها الخضراوان ناظرةً لجثة (أوين).

التفتُّ خلفي ليرتعِدَ قلبي، حين رأيت طفلةً سمراءَ دموية بقصة شعري نفسها... محدقةً بجثة (كريبتون) والابتسامة تعلو محياها. قربتُ يدي منها ببطءٍ وحذر، لتغوصَ داخل جسدها وكأنها شاشةٌ هولوجرامية!

نظرتُ لـ (آنجي) لأرى ثلاث طفلاتٍ أخريات بجانبها، إحداهَا سمراء... وأخرى بيضاء بشعرٍ بني وعينين خضراوَين... والأخيرة حنطيّةٌ متكئةٌ على عكازٍ رمادي برأسِ ذئب. كنَّ ينظرن للجثث بابتسامٍ وفرحةٍ جنونية، حينها وحينها فقط... فهمتُ المغزى والمقصد من أولئك الطفلات.

في كل مرةٍ أرى طفلةً تمثل إحدى أخواتي، وكأنهن يحاولن إخباري وإنبائي بما سيحصل في المستقبل... كنبوءةٍ من نوعٍ ما!

تبقّى لنا خطوةٌ واحدةٌ فقط، غفَلَ عنها أحدُ الحلفاء وتوجَّبَ علينا إخفاءُ الخطوة عليه.

شَهَرَتْ (آنجي) المسدس في وجهِ (تسونج) قائد قوات الدولة الإرهابية، ليفتَحَ عينيه على مصاريعِهما غيرَ متوقِّعٍ الخطوةَ تلك أبدًا... وممن؟ من الفتاة التي رعوها وكفلوها وعاشت معهم لخمسة عشر عامًا!

حاولَ استلام اللاسلكي ليُخبِرَ جنودَهُ، لكن سرعان ما رفع بقية الحلفاء أسلحتهم نحوَه... لتتجمدَ يده مكانها.

"إن سمعنا منك حرفًا فسنُمطِرُكَ بالرصاص، ضع يديكَ فوق رأسِكَ سريعًا... **الآن!**"

قال (ليو) بصرامة، شاهِرًا مسدسه في وجهه.

وضعَ يديه على رأسه بهدوء، ناظرًا للحلفاء الذين خانوه وقد وثق بهم أيما ثقة.

"هل توقعتَ حقًّا أنا سننسى ما فعلتموه بأطفالنا الأبرياء من تفجيرٍ وتدمير؟!"

تساءلت (جيني) مقتربةً منه ببطء، رابطةً شعرَها على هيئة كعكة... ومسدسها لا يزال في قبضتها.

" أنت تعلمُ أن أبي (تشارلز) قُتِل بأحد أعمالكم الوحشية، صحيح؟"

قلتُ ناظرةً له بحقد، بعد أن ظن اللعين أنا سنتغاضى عما فعلوا بوالدنا المتبني بكل بساطة.

"اجثُ على ركبتَيك!"

قالتْ (آنجي)، ملصقةً مسدسها برأسه ليخضع.

بحلول الوقت الذي جئنا فيه، كان الطفلات قد تلاشين واختفين للأبد... مريحات كوابيسي من أشكالهن المسخة.

"ادخلي يا (صوفيا)"

قالت (جيني) بجهازٍ لاسلكيّ أخرجتهُ من جيبها للتو، واقفةً أمام (تسونج) الذي رماها بنظراتٍ لحدة السهام... باصقًا أمامها بحقد.

لحظاتٌ ودخلتْ (صوفيا)، بفستانٍ جلديّ قصيرٍ للغاية... كاد يُبين سروالها الداخلي من قصره. نضجتْ ونما جسدُها، متجاوزةً الثلاثين من عمرها ببشرتها السمراء الساحرة وشعرِها الأسود المصفَّفِ بعناية... منسدلًا على كتفَيها المكشوفَين.

تقدمتْ نحو (تسونج) بكعبها العالي الأسود متبسّمةً وهو يقطّبُ حاجبَيه، متسائلًا عن هوية تلك الفتاة في داخله... وملايين الأسئلة تجولُ في خاطره.

"ماذا؟ أوه صحيح، لا تعرفني... فقد كنتَ تنعمُ بالرخاء بينما فجّرَ أحدُ ضحاياكَ أختي (أوليفيا)"

نطقت متبسّمةً، وبيدها قنبلةٌ موقوتة لم يبدأ عدادها بالنزول بعد.

تناولتُ القنبلة من (صوفيا)، لتُربّتَ على كتف (تسونج) مما زاده رعبًا وقلقًا.

"حُرِمتُ لذة النوم لليالٍ طويلة، أغفو كلَّ ليلةٍ لأقومَ على الكابوس المرعب ذاته... حتى ليلة البارحة! كابوسٌ يُعيدُ لي مشهدَ أختي الصغيرة، التي ذهبت لتشتري الآيسكريم ولم تعُد... بل تقطَّعت ذراعاها وتفجَّرَ وجهُها حتى لم تعد ملامحها تُعرَف... فاقدةً روحها الطيبة جراء الانفجار"

أخرجتْ لهُ صورةً لجثة (أوليفيا) المتفجرة، ليرى عواقب أفعاله الشنيعة هو وقومه... ممسكةً بالصورة المأساوية قريبًا من وجهه. ما كان جوابهُ إلا إغماض عينيه آخذًا نفسًا عميقًا، عالمًا في قرارة نفسه ما سيحدث له.

استرجعت (صوفيا) القنبلة مني لتربطها بإحكامٍ حول صدره، ضامنةً موتَهُ المُحتَّم.

"لن تنجوا بفعلتكم! جنودي في الخارج في كل مكان، وسيقطعونكم إربًا إربًا حين يعلمون ما حصل لقائدهم!"

هددنا وهو يحرقنا بنظراته.

"أووووه (تسونج) يا عزيزي، لا تقلق... أعطينا جنودنا التعليمات بمهاجمةِ جُندِك في اللحظة التي تموتُ فيها... وسيكون إنهاؤهم سهلًا لوجود عنصر المفاجأة"

قالت (آجنيس)، حارمةً الحقيرَ من الشعور بالرضا قبل وفاته.

ضغطتْ (صوفيا) زر القنبلة ليبدأ عداد الدقيقتين بالنزول، ووضعتْ صورة جثة (أوليفيا) أمامه على

الأرض. القتلُ بحد ذاته أهونُ من انتظارِ الإنسان له... قد يموت قبل انفجار القنبلة جراء التوتر!

"هنا تنتهي رحلتي وثأري، صدقت (نوفا) -على روحها الرحمة- حين قالت إن الحياة غير عادلة... أنا ذاهبةٌ لأنتظِرَ حياتي الحقيقية بعد الممات"

قالت (جيني) وهي تغادرُ الغرفة ودماءُ (آنثوني) تلطخ وجهها، راميةً بمسدسها على الأرض.

*"I hate you, and I hate myself,*

*For wanting you and not someone else*

*Wild and reckless you make me be,*

*Even before the night you cut me free."*

ختمت حفلة الانتقام بغناء أغنيتِها المفضلة، متراقصةً عليها وهي تتخيل أنغامها... وكأنها ملاكٌ نزل من السماء في مهمةٍ على الأرض... وهي الآن في طريقها للسماء بعد إنجازها.

التقطتُ أنفاسي مغمضةً عينيَّ في سلام، على الرغم من بشاعة منظر الجثث أمامي... وصوت عداد القنبلة المثير للتوتر القاتل. غادرْنا كلنا وأغلقنا الباب عليه بإحكام وأوصدناه، ليُواجِهَ مصيره الدامي وحده بين جثث الملوك.

دقيقتان ويبدأ الصراع بين الجنود، وعلينا الوصولُ للعبارة الآمنة سريعًا من المخرج الخلفي... حتى لا يلحظَ

الجنودُ اختفاءَ سيدهم. حرَصنا أن يكون جنودنا فقط في قصر (الأسمى)، لئلا يشك جنود (تسونج) بالأمر حين يلاحظون اختفاءه».

هل شعرنا بالارتياح بعد كل ذلك؟ قطعًا لا، لكن القليل من الهم انزاح عن القلوب العليلة... كم كانت (نوفا) حكيمةً حين لم ترفع سقفَ آمالها في هذه الدنيا الفانية! ها نحنُ أولاء حققنا مرادنا وانتقامنا والعالم بأسره أصبحَ تحت أيدينا، إلا أن الرضا لم يملأ أفئدتنا بعد!

أعتذر عن كل مرةٍ سخرتُ فيها من نظريتك عن الحياة الآخرة يا (نوفا)، فقد كنتِ محقةً وبشدة. مهما حصَّلَ الإنسان في هذه الحياةِ من أموالٍ طائلة، فسيرغبُ بالمزيد ولن يشعرَ بالرضا أبدًا. علّنا نشعر في الحياة الأخروية بالرضا والقناعة، فلا أحد على وجه هذه الحياة سعيدٌ بلا أحزان. كيف لهذه الحياة التي تنتهي ببلوغ الإنسان الثمانين والتسعين، أن تكون هي الوحيدة والدائمة الأزلية؟!

**تمت بفضل الله.**

# الملاحظات

[←1]

بوتا: كلمة إسبانية تعني عاهرة.

[←2]

الجداجِد: جمعُ جَدجَد: وهو الحشرة المعروفة بـ (صرصور الليل)، تسمح له رجلاه الخلفيتان أن يقفز مسافات تبلغ أضعاف حجمه. ينشط الجدجد ليلًا ويصدر الأصوات المزعجة التي اعتادها الناس... أيضًا يحفر نفقًا في التراب أحيانًا ليرتاح فيه خلال النهار.

[←3]

الهربس: هو مرضٌ جنسي مُعدٍ جدًّا وينتقّل عن طريق مُمارسة الجنس، وتشمل أعراض المرض: الألم، الطّفح، الحكّة والحساسية الزائدة في منطقة الأعضاء التناسلية. بعض الأنواع الخطيرة منه مُستديمة ولا علاج لها.

[←4]

الاسم الحركي: اسمٌ مُستعارٌ يُطلَقُ على أفرادِ تنظيمٍ مُعين، بقصد إخفاء أسمائهم الحقيقية.

[←5]

هرمون الأدرنالين: ويسمى أيضًا الإبنفرين، هو هرمون وناقل عصبي تفرزه غدة الكظر وهي تقع فوق الكلية. يعملُ على زيادة نبض القلب وانقباض الأوعية الدموية وبالمجمل يؤدي إلى تحضير الجسم لحالات الكر والفر.

[←6]

القوادة: وظيفة يعمل شاغرها كوسيط بين طرفين يرغبان بعلاقة جنسية فيصلهما بعضهما ببعض مع إعطائه نسبة الدلالة.

[←7]

وولف: هو الذئب.

[←8]

كوجار: حيوان بري مفترس يسمى (الأسد الأمريكي)، هذا استخدامه العلمي ... أما في اللغة الدارجة فيُستخدم لوصف المرأة التي تُفضِّل علاقات غرامية مع شباب يصغرونها سِنًّا بسنوات كثيرة.

[←9]

جاكال: يسمى (ابن آوى) بالعربية، هو حيوان ينتمي لعائلة الكلبيات ويتميّز ابن آوى بوجهه الصّغير الشّبيه بوجه الثّعلب، وذيله الزّغبي، وسيقانه الرّقيقة، وآذانه الشّبيهة بأذنيْ كلب الرّاعي الألماني.

[←10]

فوكس: هو الثعلب.

[←11]

كانيس: فصيلةٌ من عائلة الكلبيات شبيهةٌ جدًّا بالذئاب.

[←12]

كويوتي: حيوان بري مفترس يسمى (الذئب الأمريكي).